المرتضى
مكتب السودانيه

أحمد حسن مطر

سندباد السودان

مذكرات أول رحالة سوداني عالمي ومغامراته في الصحافة والسياسة الدولية

احمد حسن مطر
سندباد من السودان
مذكرات أول رحالة سودانى عالمى
ومغامراته فى الصحافة والسياسة الدولية
O CONFLICTO PERU
VIO-COLOMBIANO

الطبعة الاولى
المطبعة الحكومية ١٩٦٠ «صدق او لا تصدق . .
ولكن»
الطبعة الثانية
المركز الطباعي ١٩٨٦ «ستديد من السودان»

حقوق الطبع محفوظة

اخراج إلكتروني / ابوبكر خيري

مكتبة دار الكتب
رقم التسجيل ١٠٥٨٤
رقم التصنيف G-٩٢٣
١٩٩٤

احمد حسن مطر

بقلم: الاستاذ / محجوب عمر باشري

* لم يكن احمد حسن مطر بالرجل الذي ينكشف سره لكل انسان ، وكما انه لم يكن غامضا ، بل ان فكره وحياته متصلان ، فهو ليس من الذين يتحدثون عن انفسهم ، ويفخرون باعمالهم ، لان حياته متجددة ومتواصلة ، ولم تتوقف احداثها حتى وفاته.
* فعندما سلم العمل في مصلحة البريد والبرق ، وعمل مع اسكندر رينو الذي تولى بناء خزان سنار ، استطاع في فترة وجيزة ان يتحدث الايطالية ، وسعى للحصول على كتب خصصت لتعليم اللغة الايطالية ولكنه سئم العمل مع شركة اسكندرينو لانه كلف بمراقبة العمال والاشراف على الحسابات.
* واتصل بشركة انجليزية في ودمدني وكان ذلك عام ١٩١٨ ، وهي شركة جيمس لينج ، فكان هو المحرك لكل اعمال الشركة في مكاتب الحكومة ومع الشركة الزراعية السودانية . . وكان يرتدي بدلة اروبية ويعتمر قبعة ، ويتحرك في دراجة ، ويتصل مع الارمن واليونانيين ويغشى انديتهم ، واستاء مدير النيل الازرق من ذلك ، واستدعاه وحذره ، واصر عليه ان يعرف حجمه ، فهو ليس اروبيا ، بل هو سوداني ، واحمد حسن مطر كان في تلك الفترة قد تعلم الرقص ومارسه كما انه من المبرزين في رقص الانزلاق الذي يعرف بالبتناج ، وصمم احمد حسن مطر ان يهجر السودان ، فلما ذهب الى القاهرة عام ١٩٢٢م رأى ان ميدانه هو الصحافة ، فاتصل بجريدة الاهرام ، فلم ترحب به ، فحاول جريدة المقطم ، ولم يكن لجريدة المقطم مكتب في باريس فعرضت عليه ان يعمل مراسلا لها في باريس بمكافأة ، فذهب الى باريس واستطاع ان ينشىء مكتبا باسمه ، وليس باسم المقطم وتأخرت المكافأة شهرين ، فكتب للدكتور فارس نمر وشاهين مكاريوس مهددا انه سيستقيل ، ويمنع رسائله ، فارسلت المقطم له مبلغ ثلاثين جنيها استرلينيا ، ولكن احمد حسن مطر شق طريقه ، وامتد مكتبه الى التعاون مع صحف امريكية ، وصحف في امريكا اللاتينية وحقق انتصارا في مبادراته الصحفية ، فنجح في لقائه مع السياسي الفرنسي الشهير حينذاك كليمنصو ، كما التقى بالعالم السياسي بونكاريه ، واستطاع ان يخرق كل الحجب ، ويحطم كل القيود فالتقى

بالفنانة العالمية سارة برنار ، ونشر لقاءه معها فى اكثر من عشرين صحيفة ـ ابرقت له جريدة الاهرام ليتعاون معها وعرضت عليه مكافاءة شهرية قدرها عشرين جنيها استرلينيا ، فوافق واحتجت صحيفة المقطم ، وكانت لم ترسل له المكافأة المستحقة عن تسعة اشهر.

* وعاد الى القاهرة عام ١٩٢٤ ، والاحوال السياسية ملغومة ، والمطالبة بالاستقلال والجلاء هى الشغل الشاغل للمصريين ، فنفذ للجمعيات السرية ، وتوطدت علاقته مع عبد الرحمن بك فهمى المشرف على التنظيم السرى ومع الدكتور احمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى ، والتقى بسعد باشا زغلول ، واجرى معه حديثا نشر فى عدد من اكبر الصحف الفرنسية.

* وشاء الحظ ان يعتقل فى نوفمبر ١٩٢٤ فى القاهرة متهما بالمشاركة فى اغتيال حاكم عام السودان حينذاك السيرلى استاك باشا ، ولكنه برئت ساحته وطرد من القاهرة فعاد الى باريس ليمضى مكتبه المعروف باسم مكتب الصحافة العربية ، وفى تلك الاثناء التقى ببعض السياسيين السوريين كالامير عادل ارسلان ، وفارس الخورى والدكتور عبد الرحمن شهبندر والرفاعى ونورى السعيد وكان اول صحفى عربى يعلم ان فرنسا لم ترفض ان يكون الملك فيصل الاول ملكا على سوريا ونشر هذا الخبر ، فهاجمه الصحفيون السوريون.

* وفى عام ١٩٢٥ رأى ان سفره الى امريكا اللاتينية سيهىء له فرص النجاح ، ويحكى انه لم يكن يملك اكثر من عشرة جنيهات استرلينية بعد ما دفع ثمن التذكرة على باخرة فى الدرجة الاولى.

* وصل الى الارجنتين ، وهو لا يعرف احدا هنالك ، فنظم لنفسه عددا من المحاضرات التى القاها فى الاندية العربية نظير أجر دفعته له وكالة صحفية فى بونس ايرس ، وبعد اسبوع حصل على ترخيص لاصدار جريدة باللغتين العربية والاسبانية ، ويحكى انه لم يكن يعرف من اللغة الاسبانية غير الالفاظ المشتركة بينها وبين اللغة الفرنسية والايطالية ، ولكنه استعان ببعض الشبان العرب فى تحرير القسم الاسبانى وبعد اسبوع اتقن اللغة الاسبانية.

* عانت الارجنتين انقلابا عسكريا ، وأغلقت كل الصحف وعطلت غير صحيفة مطر واسمها السلام البيزا ، واستطاع مطر ان يلج مغاليق السياسة ، وخاصة الانتخابات

وحصل على مقعد فى البرلمان الارجنتينى ونال كل اصوات العرب هناك.

* ضاق بالعيش فى الارجنتين فهاجر الى بوليفيا واخرج صحيفة اخرى باسم الوطن باللغتين العربية والاسبانية ، وشخص بعد ذلك الى البرازيل واخرج صحيفة بالعربية والبرتغالية ، ودخل البرلمان وكاد ان يكون وزيرا.

* ولما نشبت الحرب الايطالية الاثيوبية ، جاء الى ميدان القتال كمراسل عسكرى ، يرتدى بدلة ضابط برازيلى برتبة عميد ، وبعد ذلك ذهب الى برلين ، فالتقى بصديقه القديم يونس بحرى وبالسياسى الفلسطينى تاج الدين الحسينى ، ورتب له لقاء مع أدولف هتلر ، ولم يستقر ببرلين طويلا وكتب مقالا نشرته الديلى تلغراف تنبأ بنشوب الحرب العالمية الثانية ، وتصدع عصبة الامم.

* أختفت أخبار مطر خلال الحرب العالمية الثانية ، ولما انشئت عصبة الامم المتحدة عام ١٩٤٥ ظهر مطر فى نيويورك ، وافتتح مكتب الصحافة العربية فى ماهاتان ، وكان اول المتعاونين معه المملكة العربية السعودية ، ثم العراق ، واثيوبيا . ولما بدأت حركات التحرير العربى يمتد تيارها الى اروقة الامم المتحدة ، ابلى مطر بلاء حسنا فى الدفاع عن استقلال السودان ، والقضية الفلسطينية.

* وفى عام ١٩٥٦ دعاه السيد / عبد الله بك خليل للرجوع الى السودان فنظم وزارة الخارجية السودانية وكان من رأى عبد الله خليل ان يعينه سفيرا ، ولكن وقفت عقبات امامه ، فعين مسئولا عن المراسم والترجمة.

* ولما استولى العسكر عام ١٩٥٨ على الحكم فى السودان ، استطاع مطر ان يدعو وفودا من امريكا اللاتينية ، وكان اول وفد هو وفد كوبا وكان به شى جيفارا ، وظهر جيفارا فى حديث فى الاذاعة السودانية ترجمة مطر.

* لم يكن سعيدا فى عملة خلال فترة الحكم العسكرى ، ولكنه اصلح ذات البين بين السودان واثيوبيا ، ووطد علاقة السودان بجمهورية المانيا الاتحادية.

* كان مطر منظما فى حياته الخاصة ، وكان المحرك للعلاقات الخارجية والمشرف على الوفود وبعد ثورة اكتوبر شق طريقه فى استقطاب كل زعماء التحرير الافريقى والعربى.

* وصفه المرحوم الاستاذ محمد احمد محجوب ان احمد حسن مطر دبلوماسى بالفطرة ، وهو رجل موهوب ، لم يستطع السودان ان يستغل مواهبه.

* وقال عنه عبد الله بك خليل:
«ان مطر هو الرجل الذى يطوع الاسود ، فلو استطعنا ان نعينه سفيرا لنا فى الامم المتحدة لحققنا امجادا للسودان».

* وقال عنه مبارك زروق:
«انه لم يتعلم الدبلوماسية فى الكتب ، ولكن تجاربه هى المدرسة التى كنا نحتاج لها».

محجوب عمر باشرى

مقدمـــة

بقلم : تـــوم ليتـــل

كان لقائى الاول مع احمد حسن مطر فى ربيع عام ١٩٤٧ فى (بارك اوتيل) بنيو يورك . وكان يتحدث الى عبدالرحمن عزام باشا وهو صديق لى من عهد بعيد . . فقدمنى عبد الرحمن باشا الى مطر واتبع التقديم بكثير من عبارات الثناء ، وتحدث الى مطر بطريقته المعروفة لدى جميع اصدقائه طالبا الى ان نلتقى مرة اخرى وبالرغم من اننى كنت اجهل سبب هذا اللقاء الا اننا التقينا بالفندق الذى انزل فيه بعد ان حددنا موعدا لهذا اللقاء . وعند لقائنا ابلغنى لاول مرة ان البريطانيين نفوه عن بلده لمدة ثلاثة وعشرين عاما . وقد اقتنعت بان نفيه كان ليس عادلا الامر الذى حتم على ان اواصل مساعى هنا وهناك حتى يسمح له بالعو دة الى السودان . وهذا الامر وان بدا سهلا فى مظهره الا انه استغرق ثمانية عشر شهرا وما ذلك الا لان اسم مطر كان مسجلا بالقائمة السوداء ولم يكن احداً يذكر السبب الذى من اجله ادرج اسمه بالقائمة السوداء كما لم توجد اية وثائق توضح السبب .

وقد حصل على حق الرجوع عندما كنا نحن الاثنين نحضر دورة الجمعية العامة للامم المتحدة التى انعقدت فى مدينة عام ١٩٤٨ بباريس وفى وقت لم يكن يملك فيه سوى الف فرنك فرنسى أى ما يعادل ثمانى جنيهات استرلينية وتذكرة سفر بالطائرة الى غرب افريقيا . ولكن ذلك لم يثبط همة مطر عن السفر الى غرب افريقيا .

والمرة الثانية التى سمعت فيها عن مطر . كانت خلال محادثة تلفونية من مطار الخرطوم حيث حدثنى مطر فى الشقة التى اسكن بها فى لندن الساعة الخامسة صباحا وكان هذا اول مافعله لدى وصوله الى بلده ليعبرعن شكره للمجهود التى بذلتها نيابة عنه .

وعلمت انه كسب حوالى ثلاثة الاف جنيه فى فترة قصيرة من الزمن . وذلك عن طريق بيع دليل اعده عن العرب فى غرب افريقيا وبهذا المبلغ اشترى منزل والدته بواد مدنى وتبرع بمنحة دارسية وبدا يزاول نشاطه مرة اخرى فى بلاده .

ربما يعطى هذا فكرة عن عبقرية وحسن نية مطر .

والمرة التالية التى قابلت فيها مطر كانت عندما هبط مطر فجأة بمكتبى بالقاهرة وكان مفلسا لا يملك سوى تذكرة طائرة لرحلة حول العالم اهداها له الامبراطور هيلا سلاسى امبراطور اثيوبيا . وقد اعتنه بقليل من المال على ان يرده عند نهاية السنة ثم انقطعت اخباره

عنى الى ان تلقيت تحويلا مرسلا من بنك استرالى فى مدينة سدنى وكان ذلك فى ١٣ ديسمبر عام ١٩٤٩ وهذه الواقعة ربما تعطى مثلا لامانته وصدقه تجاه اصدقائه .

انه يوسعنى ان اروى العديد من القصص الطريفة حول علاقتى الوثيقة بمطر وكلها تكشف عن شخصية قلقة كالزئبق لا تستقر على حال . ولكن اكثر هذه الحقائق تضمنها هذا الكتاب ولذا رأيت ان اتحدث عنها حديثا عاما .

ان قسوة الحياة الطاحنة لم تستطع ان تغير من شخصيته الرقيقة . انه رجل لا يهتم بالمال . وانه على استعداد لان يتقبله من الغنى ليعاون به الفقير وينفقه دون ان يفكر فى الغد . وكما كان الحال معى فهو يستدين من صديق ليرد الدين دائما . كما انه مخلص لعائلته ووفى لاصدقائه وقت الشدة .

اننى خلال الاربعين عاما التى عملتها فى الحقل الصحفى قابلت الكثير من الناس من مختلف الطبقات ابتداء من الشحاذين إلى الملوك.

وانه لفخر ان اذكر كل لحظة من لحظات علاقتى مع مطر المرموق . ان هذا الكتاب يسمى (سندباد السودان) ولكن كان يمكن ايضا ان يسمى «روبنسون كروزو من الخرطوم » لانى رايته مرة اخرى وقد بلغ الخامسة والستين من العمر . ولكنه ما زال مرحا وغير مبال كما كان دائما.

توم ليتل

مقدمات لبعض كتب المؤلف

ان كثيرا من الشخصيات البارزة قد وضعت مقدمات للكتب العديدة التى الفتها . ولكن وحدا من تلك الكتب اثير لدى نفسى واحب ان اسميه « مطر بقلم مطر » اذ كتبت مقدمته بنفسى وكان ذلك عام ٣٣ بمدينة ماناواس عاصمة الامازون حيث لم يكن لى اصدقاء هناك وكنت حريصا على نشر كتابى المسمى « الحرب على ضفاف الامازون بين كولومبيا وبيرو » وجاء فى المقدمة :

عزيزى القارىء

لما كنت غير معروف فى هذه المنطقة ، ولما كنت غير راغب فى ان افرض على اى شخص تبعة تقديمى ، فقد آليت ان اقدم نفسى بنفسى كمؤلف لهذه المغامرة العسكرية .

انى انسان كسائر البشر قصير القامة ولى شارب قصير مثل شارب شارلى شابلن اتوكا على عصى واضع على راسى قبعة من القش وادخن الغليون وهذه هى سماتى التاريخية المميزة

وربما كنت ترغب فى مشاهدتى فانك ستجدنى فى ٢٦ شارع الاوبرابباريس او فى انتردن ليبون ، برلين ٦٢ شارع رواناسيوريودى جانيورى وتتمالكنى عزيزة حب الاستطلاع التى قادتنى لتتبع الاحداث وهى اهم سماتى التاريخية كصحفى

لقد كنت فى مهمة صحفية بسان باولوكلفت بهامن قبل جريدة « دياريو دى نوتسياس » وذلك عندما تواترت الانباء بان البروفيين قد انتشروا فى ليتيسيا وهى قرية قيل انها تنبر كولومبيا وتتقر على ضفاف نهر(السولوموسى) فغادرت ريو كمراسل حربى واتجهت شمالا ممثلا لعديدمن الصحف منها (فانجراردا) وجورنال . كوريو باولستاتو ، ووديارو دى بيرنا موبو كووكنت كذلك مراسلا لعدة صحف اخرى ولوكالة يونايتدبرس لا كتب عن الحرب بين الصين واليابان .

نعم الصين واليابان وذلك لاننى لم اكن اتوقع ان تستمر الحرب بين بيرو وكولمبيالفترة طويلة لذا اعددت نفسى لاتابع رحلتى الى الشرق الاقصى عبر المحيط لباسفيكى ومنشوريا ، ولكنى اصبت بخيبة امل عندما استمرت الحرب بين بيرو وكولومبيا لفترة طويلة مما حدا بى لان ابقى هنا واؤلف هذا الكتاب .

روبرتو دى باروس

صورة تذكارية لخطاب الأمير عبدالكريم الخطابي أمير الريف المراكشي وفيه يشكر المؤلف على خدماته البارزة لعشرين عاما خلت

مقدمة الدليل الذى اصـــــدره المؤلف فى عام ١٩٤٧ عن الجالية العربية فى امريكا الوسطى والمكسيك

● بقلم الاستاذ محمد احمد محجوب ●

لقد خط عام ١٩٢٤ حرفا أحمر فى تاريخ السودان الحديث اذ كان بمثابة نقطة التحول فى حياة هذا الجيل اجتماعيا وسياسيا • ففى تلك السنة انبعثت حركةسياسية قادتها « جمعية اللواء الأبيض » أدت الى حدوث تمرد واضطرابات فى البلاد وصدور أحكام بالسجن لمدد طويلة على زعماء هذه الحركة كما تم اعدام بعض الضباط الذين كانوا على رأس التمرد •

اما السيد أحمد حسن مطر الذى كان يضطلع بدور سلمى فى تلك الحـــركة السياسية والذى كان غائبا فى خارج البلاد فقد صدر أمر بمنعه من العودة لبلاده ، وكان ذلك فى اكتوبر من عام ١٩٢٤

ومنذ ذلك الحين أخذ أحمد حسن مطر يجوب أقطار عديدة فى افريقيا وآسيا وأوروبا وأخيرا حط رحاله فى الدنيا الجديدة •

ولقد أسعدنى حقا أن التقى به فى نيويورك بعد غياب عن وطنه دام قرابة ربع قرن من الزمان • فهو مازال يكن حبا عميقا لبلاده ولكل ما يتصل بالعالم العربى • ولقد أتاحت له مقدرته اللغوية على السيطرة على زمام عدة لغات مما مهد أمامه فرص السفر من بلد لآخر وكذلك سهل له سبل التعرف على شتى المجتمعات فى عديد من الأقطار وبذا غدا شخصية عالمية بحصيلة وفيرة وافية من الالمام بالمجتمع الانســانى كما ان عمله فى الصحافة والاذاعة الاخبارية جعلته وثيق الصلة بالأحداث السياسية الجارية ومكنته من أن يرى تطورات السياسة العالمية فى مظهرها الحقيقى •

وبوصفه عربيا فانه شديد الاهتمام بالجاليتين السورية واللبنانية فى نيويورك فهو ما فتأ يرقب تقدمهما بحماس ويعتد باخلاص بما يحرزانه من نجاح وليس غريبا والحالة هذه أن يقدم على القيام باحصاء لهما فى كل مكان زاره فى جنـــوب امريكا

وأواسطها . ولا ريب انه عمل شاق ولا يتسنى تحقيقه الا على يدى شخص على شاكلته لا يرى صعوبة ما فى الاتصال بكل شخص عربى فى هذه الأنحاء ويحصل منه على أدق المعلومات التى يريدها ولا ريب فى أن الدليل الذى يقوم باصداره عن الجالية العربية فى أواسط امريكا والمكسيك وجزر الكاريبيان سيكون ذا قيمة لا تقدر بثمن لأنه سوف لن يقتصر على ايراد الأسماء والعناوين بل انه سيوضح نوع العمل أو المهنة لكل مستوطن والقطر الذى هاجر منه .

وسيوضح كذلك كيف أمكن للعرب أن يقوموا انفسهم فى الدنيا الجديدة ويحققوا لهم نجاحا فى شتى مرافق الحياة .

فالعرب بتر لهم العريق قد تمكنوا فى الواقع من أن ينهلوا من معين الثقافة العربية وان يلموا بأساليب الحياة الغربية فى أكمل صورة ممكنة فهم بذلك يمثلون التزاوج الموفق بين الثقافتين الشرقية والغربية .

وهذا الدليل الذى يشرفنى أن أقدمه للقراء مصداق لما قدمت ويستحق كل ثناء وتقدير .

محمد أحمدمحجوب ـ المحامى
السكرتير العام الجبهة الاستقلالية السودانية

نيويورك فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٥٧

☆☆☆

مطر كما عرفته ...

لا أذكر من طفولتى وحياتى الأولى الا النذر اليسير ولهذا فأنا أستعين برفيق صبى الأستاذ عبد القادر الأمين وهو يؤرخ تلك الطفولة ويقص عليك طرفا من حياتى الأولى التى أظن ان ٨٠ ٪ منها صح .

« احمد حسن مطر »

احمـــد حسن مطـــر

بقلم الاستاذ عبد القادر الامين

ولد أحمد فى مدينة أم درمان فى اليوم الثـــانى من فبراير عام ١٩٠٤ عن أب سودانى هو الحاج حسن ابراهيم على عبده ، وأم سودانية الحاجة آمنه بنت محمد من قرية « عوج الدرب » قرب قرية المسيد جنوب الخرطوم ، ووفد جـــده الأكبر الحاج على عبده من المحلة الكبرى من مصر الى السودان فى عهد الفتح الأول حوالى عام ١٨٢٠ م

وأنجب ابنه ابراهيم جد أحمد من زوجة لبنانية ، وكان ابراهيم هذ صديقـا حميما للزبير باشا رحمه رحمه الله ويعمل معه فى التجارة وولد ابراهيم بدوره الحاج حسن والد أحمد فى الخرطوم وقد عرف فيما بعد باسم حسن مطـر ، الذى كان فى عهد المهدية ملازما للخليفة عبد الله التعايشى .

ذهب والده للحج مرة قبل ولادته وبرفقة والدته ومطر لا يعرف شيئا عن هذه الرحلة وفى المرة الثانية أخذ عائلته الصغيرة معه الى الحجاز وأقام بالمدينـــة المنورة وعمل كمساريا للتذاكر فى سكة حديد الحجاز حيث تلقى أحمد دروسه الأولية كما ولدت بها بعض اخوته من البنات .

وحوالى عام ١٩١١ عادت العائلة من الحجاز للسودان عن طريق درعا والشام وحيفا ومصر وأقاموا بمدينة وادى حلفا حيث كان المرحوم اليوزباشى يوسف نجيب والد اللواء محمد نجيب رئيس جمهورية مصر سابقا مأمورا هناك وكانت بينه وبين حسن مطر صداقة لا يعرف اذا كانت سابقة لوجودهما فى وادى حلفا .

وعندما نقل اليوزباشى يوسف نجيب من وادى حلفا الى وادى مـدنى كتب لحسن مطر فى وادى حلفا يصف له مدينة واد مدنى من حيث كبرها واتســـاعها والجاليات الأجنبية بها وسوقها الكبير بالنسبة لوادى حلفا المدينة الصغيرة ويستحثه فى الحضور لواد مدنى ليفتح صالونا أفرنكيا للحلاقة بها ويقول أحمد فى ذلك أنى أذكر جواب اليوزباشى يوسف نجيب لوالدى كان كله سجعا فى وصف واد مـدنى من هواء الى ماء الخ ...

حضرت العائلة لواد مدنى وحلوا ضيوفا على منزل المأمور الى أن وجدوا لهم مسكنا بالمدينة على مقربة منه فانتقلوا اليه وقد تعرفت فيما بعد على عائلة المأمور عن طريق أحمد وكنا صغارا نتردد على منزلهم فى بعض الأوقات نسبة الى صلة أحمد بهم وبما أن الطالب محمد نجيب وأخيه على كانا معنا فى المدرسة وكان ذلك حوالى ١٩١٢ ـ ١٩١٣ فقد نشأت تلك الصداقة التى ربطت بين محمد نجيب ومطر فى السنين التى تلت .

ولما سافر مطر فى رحلاته كان كلما عاد الى مصر يزور محمد نجيب ويريه ما يكتبه فى الجرائد عن مصر والسودان وبلاد العرب فكان نجيب يقول لمطر « لماذا لا تذهب الى المنك وتعمل فى الخارجية » وكان نجيب يعجب ايما أعجاب بكتابات مطر كل هذا مما ساعد فى سنة ١٩٥٢ على ترقية مطر الى درجة مستشار للسفارة المصرية فى الأرجنتين ولو بقى نجيب فى الحكومة لكان مطر سفيرا لمصر هناك

وها أنا أنظر اليه عبر تلك السنين الطويلة وهو مازال يافعا ممسكا بيد والده عندما حضرا لادخاله المدرسة الابتدائية وكان ذلك عام ١٩١٢ فتجمعنا حوله نسأله ، وقد كنا من سنه تقريبا ، من أين هو ومن أى مدرسة قادم فأجابنا فى عجمة خفيفة أنه من اتحاد مكتبى مدينة منورة . ولما كنا صغارا لا نعلم عن المدينة المنورة شيئا حسبناه قد هبط من واق الواق أو فاس التى ما وراءها ناس على حد تعبير ذلك الوقت .

مطر فى المدرسة

أدخل أحمد المدرسة ومرت بنا الأيام ووضح لى فى يسر أنه كان فى اتحادمكتبى بالمدينة المنورة والمدرسة فى العهد العثمانى فى تلك البلاد كانت تعرف « بالمكتب » أى مدرسة الاتحاد وان لكنته الأعجمية كانت من أثر اللغة التركية التى تعلمها فى الحجاز ويفهمها والده كلغة التخاطب فيما بينهما بوجود غريب كما يفعل أخواننا السوريون .

ورغم نضوجه الذهنى المبكر نسبة الى ما شاهده من بلاد لم نكن نحن نعرف حتى عن أسمائها شيئا فقد كان مستوى ذكائه العلمى والعملى دون الوسط وخصوصا

فى الحساب فكان « لوحا » ولكن بتقدمنا فى الدراسة بدأ يكون ملكة الحفظ(الصم) فقد كان فى سنيه الأخيرة فى المدرسة لا يجارى فيه . وأنني لا أذكر الآن حصص الجغرافيا ونحن فى السنة الثالثة الابتدائية وكان المنهج يشمل جغرافيا القارات الخمس واتسعت مداركنا وعرفنا الكثير عن العالم الخارجى وأسماء العواصم وطرق المواصلات بين أمهات المدن الكبيرة فى أوربا وآسيا وكان الطلب منا يطلب منه أن يقوم بسياحة على الخريطة تبتدىء مثلا من باريس وتنتهى فى فلاديفوستك عبر صحارى سيبريا فكان صاحبنا من المبرزين فى حفظ أسماء العواصم والمدن الكبيرة ذات الاهمية التى يجتازها فى هذه الرحلة المجانية .

ويحضرنى أنه كان له شغف خاص بهذه الرحلات وكم كان يتمنى أن يتمكن من تحقيق أمثال هذه السياحات فى مستقبل أيامه فما كنا نعزو هذا النزوع الا لما انطبع فى نفسه من صور البلاد التى شاهدها فى تلك السن المبكرة أو ما تركته تلك الرحلات التى كان والده يقوم بها فى تأدية أعماله بين الشام والحجاز من آثار ظلت عالقة بذهنه .

وما كان يدور بخلد احدنا أن ذلك الحلم الذى ظل يساوره قد تحققه الايام كما سنرى فيما هو آت .

فما أن أتم صاحبنا تعليمه الابتدائى حتى بدت عليه بوادر التمرد على الدراسة وتملكه نوازع المغامرة وتفتح ذهنه تبعا لذلك عن ذكاء حاد ملك عليه نفسه ، فصار لا يستقر على حال ـ تراه يتكلم سريعا لا تكاد تلاحقه فى فهم ما يقول ، ويمشى سريعا كأن بداخله قوة محركة ، يأكل كثيرا ، ويعمل كثيرا ، وقد حبته الطبيعة صحة موفورة وقوة فى البنية كانت هى ذخيرته فى مستقبل أيامه .

اولى مغامراته الفرامية

التحق صاحبنا فى عام ١٩١٨ بمدرسة البوستة والتلغراف بمرتب ابتدائى شهرى لفترة تعليمية قدره ٣٠٠ قرشا على أن تبلغ خمسة جنيهات عندما يتخرج فى ظرف ستة أشهر موظفا بالمصلحة . تخرج عاملا بالبوسته بعد تلك الفترة فى الخرطوم ولم تتعد مغامراته الخارجية فى المدينة عن مسلك أى شاب فى سنه ولكنه انتحى

ناحية كانت تجديدية بالنسبة للغير من شبان البلد اذ ظلت تنحصر فى الفتيات الأجنبيات وهو مالم نعتده نحن ، وأخيرا انتهى به المطاف أن تتلمذ بصفة خاصة وهو موظف صغير بمدرسة الجالية اليونانية بالخرطوم ليتعلم اللغة اليونانية بتؤدة لأن يخاطب بها احدى فتيات الاكروبول وكان اسمها هلين جلانيدس التى وقع فى شرك غرامها وأصبح لا يرى الا معها فى أثناء ساعات فراغه من العمل وخروجها هى من المدرسة ، ولما علم والدها بجلية الأمر بعد أن أصبح أمرهما مشهورا فى المدينة أرسلها لبخارج لتكملة تعليمها وابعادها عن محيط دون جوانها الصغير .

وكتب اليها مطر يشكو لوعة الفراق وما الى ذلك من أحاديث الغرام فما كان من ناظرة المدرسة الا أن وافت والد الفتاة بالخطاب المرسل لفتاته لاتخاذ الحيطة من تكرار الحادث ـ فما عتم هذا أن أرسل الخطاب الى المحامى العمومى لحكومة السودان شاكيا الموظف الصغير ، ورئيس مصلحته وهذا بدوره بعث به الى مدير البريد الذى لم يرى بدا من فصل الموظف فكانت فضيحة وكانت مأساة وكانت هذه أولى مغامراته .

مطر ضابط فى الجيش العربى

وما أن وجد نفسه فى الطريق حرا طليقا يعرف التركية وبعض الانجليزية وقليلا من اليونانية حتى عاودته نزعة المغامرة والسياحة ، وفجأة اختفى من المدينة وظهر فى جدة وكتب يقول أنه الآن فى خدمة جيش الشريف الحسين بن على شريف الحجاز كضابط ومحارب محترف ، وكتب يقول عن حالة البلاد الداخلية واضطرابها المالى لدرجة أن المرتبات الشهرية لا تدفع فى أوانها لعدة شهور بدعوى أن الخزينة معذورة ، وعلى كل موظف أو عامل فى الدولة أن يتدبر شئون نفسه سواء بسلفيات من الخزينة المعذورة على حساب المرتب أو بطريقتهم الخاصة ـ وبعد أشهر قليلة ظهر فجأة فى الخرطوم بزيه العربى الحجازى الجديد ومنه علمنا أنه قد أبعد عن الحجاز لاشتراكه مع آخرين من الضباط فى حركة تمرد نظرا لسوء الحال واضطراب حالة الأمن ولا سيما الاعتداء على الحجاج ، وقد أرسل الى القنصل البريطانى العام فى جدة القائمقام

مارشال Marchall فاخذ القنصل على نفسه ترحيله الى السودان وقد ساعده على ذلك الشيخ فؤاد الخطيب الذى كان وزيرا للخارجية الحجازية وذلك لماضى معرفته بوالده الحاج حسن مطر من السودان .

فى الطريق مرة اخرى أو مطر فى شركة مكوار

وجد صاحبنا نفسه فى الطريق مرة أخرى لا يستقر على حال وبعد أيام أختفى أيضا ـ هذه المرة فى داخل البلاد ـ وظهر فى مكوار (سنار) حيث كانت شركة السندريس الايطالية التى يشرف عليها السنيور بزعالى والسنيور بشانتى تقوم ببناء خزان سنار الحالى ، وكان من حسن طالع هذه البلاد كما سيتضح فيما بعد أن وجد صاحبنا عملا مكسبا فيها .والغريب فى أمر هذه الشركة أنها لم تحصل على هذا العمل الضخم عن طريق المناقصة الدولية كما يبدو للقارىء ، وقد يسأل ولماذا لم تكن تلك الشركة انكليزية .. والانكليز يتحكمون فى مصائر هذا البلد كما أن القرض المضمون الذى استدانته حكومة السودان للقيام بهذا العمل من ابيوتات الانجليزية كان بضمان الخزينة الانكليزية بقى أن تعرف أن سكرتير مالى حكومة السودان فى ذلك الوقت السير ادجار برنارد باشا كان انجليزيا مالطيا وزوجه ايطالية ، ورأى الباشا بثاقب رأيه الاقتصادى الا فائدة من عمل مناقصة دولية تنافس فيها شركات البناء العالمية بل رأى أن تتولى الحكومة نفسها القيام بالعمل عن طريق مقاول يستورد العمال ويدير الحركة مقابل أن تدفع له حكومة السودان عشرة فى المائة عن كل مبلغ يصرف سواء فى المرتبات أو الأشغال الأخرى اللازمة لاتمام البناء ، أو بمعنى آخر وكل الى هذا المقاول تبديد مبلغ القرض بجميع الطرق وكل الطرق لتزيد حصيلته من العشرة فى المائة تبعا لذلك واليك أمثلة لما حدث فى تلك الفترة الغامضة .

كان مرتب كاتب العمال أو ما يسمونه (حافظ الوقت) لا يقل عن اثنى عشر جنيها وللكاتب العادى فى المكتب عن خمسة عشرة جنيها بينما كانت الحكومة تستخدم خريج الثانوى بثمانية جنيهات ، وقد كان أن أغرت شروط الخدمة بعضا من الخريجين للعمل فيها بدلا من دواوين الحكومة وكان بينهم ممن أذكر الأستاذ

ميخائيل بخيت المفتش بوزارة الداخلية والأستاذ اسماعيل الجوهرى من كبار موظفى مصلحة الاحصاء كما أستوردت الشركة موظفين كثيرين من كل الجنسيات وكانت تغدق عليهم المرتبات الضخمة وتوفر لهم المسكن المريح كل ذلك على حساب دافع الضرائب (محمد أحمد له الله) .

كانت تلجأ الشركة الى عقد اتفاق مع من ذكرنا لتوريد مواد للعمل سواء كانت من الأخشاب أو من الأحجار أو الطوب للمساكن وغيرها كمتعهدين فرعيين وتطلب منهم أن يتقدموا بالسعر الذى يرتضونه مربحا سواء كان بواقع المتر أو الألف حسب الحال ، ويكتب العقد بهذا السعر ويوقع عليه من قبل الشركه والمتعهد ثم يعمدون الى عمل عقد آخر بنفس الكميات والوحدة ، ولكن بسعر كان فى بعض الأحيان أضعاف السعر الأصلى فى العقد الأول . وبموجب ذلك كانت تسحب المبالغ لحساب المتعهد بموجب العقد الأخير ويدفع له على حساب العقد الأول بالسعر الذى قبله لنفسه وأن يكون الفرق سعر العقدين لمديرى الشركة .

مطر يكشف اختلاس الشركة ويوفر الملايين من الجنيهات للسودان

بهذه الطريقة كانت تسير الشركة فى عملها الى ان قيض الله لصاحبنا أن يعمل فى مكتب الشركة وفى مكتب مديرى الشركة بالذات وان يكشف بثاقب ذهنه هذه الألاعيب بواسطة موظف يونانى يحفظ الملفات كجزء من عمله

فما أن وافت عطلة نهاية الأسبوع التى تبدأ من بعد ظهر السبت الى صباح الاثنين حتى ظهر صاحبنا فى الخرطوم يقص على حكاية العقود التى أعطاها له صديقه اليونانى فتشاورنا فى أمرها مليا ثم قر رأينا على أن نخبر مدير المخابرات فى ذلك الحين المستر ولس ونستطلع رأيه فى شأنها ، فما كان من الأخير الا أن رحب به أيما ترحيب ، كما أتفق وأياه على أن يفيده عن أى عقود من هذا النوع فى نهاية كل أسبوع ثم تفحه ببعض المال لتغطية مصروفاته من أجور السكة الحديد بين سنار والخرطوم

وبالعكس ووسائل النقل الأخرى بين سنار ومكوار وكانت قاصرة على الحمير فى ذلك الحين .

كان كل ذلك يجرى فى الخفاء لا يعلم به أحد سوانا ومدير المخابرات وتوالت رحلاته الأسبوعية بين مكوار والخرطوم فى صباح الأحد عند وصوله بقطار الأبيض بعد أن تجشم مشاق السفر على ظهور الدواب بين مكوار وسنار فى انتظار قطار الأبيض الذى يصل الى سنار بعد منتصف الليل ويصل الخرطوم فى السادسة صباحا من يوم الأحد ، ثم يعود اليها بقطار نفس اليوم فى الخامسة مساء ويصل الى سنار فى الساعة الثانية صباحا ، ثم يمتطى الدابة بالأجرة من هناك ليصل مكوار عند تباشير الفجر .

وعندما اجتمعت لدى قلم المخابرات التقارير الكافية لدمغ الشركة بهذا التلاعب المنكر تألفت لجنة تحقيق برئاسة مدوتر باشا مدير عام السكة الحديد وعضوية المستر ركس المراجع العام لحكومة السودان وموظفين آخرين من الانكليز وبمنتهى السرية تحركت هذه اللجنة الى مكوار وأمرت فورا بايقاف العمل فى الخزان وبدأت تحقيقا مع الشركة ومحاسبتها ــ وبهذه العملية تقوضت الشركة وأعلن عن مناقصة دولية جديدة كانت من نصيب شركة بيرسون وولده ليمتد الانكليزية التى أستلمت العمل الذى بدأته شركة السنديكا وكان الفضل كل الفضل لهذا المواطن الذى كشف النقاب عن ألاعيب الشركة ووفر على بلاده ملايين الجنيهات التى كانت ستذهب بددا لحفنة من الأفاقين وأنقذ بلاده مما كان يراد لها من تكبيل بقيود القروض التى لا يعلم الا الله مدى ما كانت ستصل اليه من ضخامة اذا استمرت الحال على ذلك المنوال لو لم يقيض لها الله ذلك المواطن الذى سردنا سيرته ويجعل الله كيدهم فى نحرهم ويبؤوا بالخزى والخسران .

التحق صاحبنا بشركة بيرسون ولم يمر معها طويلا ، وفى يونيو من عام ١٩٢٣ خرج من السودان عن طريق بورتسودان وهو لا يحمل معه ثمن التذكرة ــ خرج الى العالم الفسيح الواسع ليشبع رغبته فى السياحة حول العالم ثم عاد الى السودان

فى عام ١٩٤٩ أى بعد ربع قرن من الزمان طاف فيها حول العالم مثقلا بالتجـــارب واللغات والدبلوماسية وقد أبيض شعر رأسه .

يغادر السودان فى جولته الكبرى

أننى اذ أنظر الى صباح ذلك اليوم من يونيو ١٩٢٣ وقد حضر صـــاحبى الى منزلى لينقل الى خبر عزمه على ترك البلاد والضرب فى بلاد الله على غير وجهة معينة تاركا للمقدير تقرير ذلك لم أكن أتوقع أن تمتد به أوبة الأيام حتى نلتقى مرة ثانية فى هذه الحياة وان آخذ على عاتقى كتابة سيرته التى أشعر أننى جزء مكمل لها لمـا بيننا من تقارب روحى وفهم صحيح لبعضنا البعض ، وقـــد أعانى على استكمال الصورة الواضحة لمغامراته فى الحياة ، أنه أعتاد أن يراسلنى من كل بلد أو قطر حط رحاله فيه ، موضحا فى تعبير غير موجز جميع ما يصادفه من نجاح أو فشل وما يتكبده من مشاق وما يلاقيه من ظروف قاسية ، وصلت فى بعض الأحيان الى مستوى النشرد فى بلاد ليست لها غير المادة معبود .

وصل صاحبنا بورتسودان ومن هناك أنتقل فى أول باخرة صدفته واختبأ الى أن أقلعت به فما أن ظهر وهى فى عرض البحر حتى أرغموه على أن يعمل بها فى الكنس ومسح الأرصيات والعمل فى مطبخ الباخرة فى تقشير البطاطس وحلافه مقـــابل أجرة السفر التى لم يكن يمتلكها وعلى أن ينزلوه فى أول ميناء تصله الباخرة كما تقضى بذلك قوانين البحار .

فما أن وصل ميناء عدن حتى أنزلوه وبقى بها أربعة أيام ضنطره فيها بوليس الجوازات على أن يغادر البلاد لعدم الرغبة فيه كمتعطل وليس معه من المال مايقوم بأوده .

فعاود الكرة فى باخرة أخرى أنزلته فى ممباسا بشرق افريقيا فما بث أن وجد عملا فى مكتب ضابط الصحة . ومن هناك كتب يتحدث عما صادفه من أحداث وأنه بدأ يتعلم لغة السواحيلى ، اللغة الســائدة فى المعاملات فى تلك البـــلاد مع اللغـــة الانكليزية .

وما هى الا أشهر قليلة حتى وصلنى منه خطاب فجأة من لندن وفيه يخبرنى بأنه ستبدل اسمه الى المستر لدر ، وكان ذلك فى أواخر عام ١٩٢٣ ، وفى أوائل عام ١٩٢٤ وصلنى منه خطاب وكنت قد نقلت الى مديرية كسلا ، من طنجة فى المغرب الأقصى ، وفيه يعرفنى بأنه فى طريقه الى الريف لمقابلة الأمير عبد الكريم الخطابى وأنه الآن فى خدمة الأمير كمندوب فى ألمانيا يعمل على شراء الأسلحة والمعدات الحربية وتمريبها للامير فى حربه التحريرية ضد اسبانيا ، ثم انقطعت مكاتباته فترة ، ولما سافر الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول باشا الى لندن لمفاوضات سعد ــ ماكدونالد فى سبتمبر ١٩٢٤ ظهر فجأة فى لندن برفقة الوفد المصرى ، وصارت تنشر له الأهرام فى الصفحات الأولى تلغرافاته المشهورة مذيلة باسمه « من أحمد حسن مطر بلندن الى رامزى مكدونالد » وكان من أمره أن أسس جمعية الاتحاد السودانى المصرى فى طنجة وأتمنى ، وهو بعيد الى جمعية اللواء الأبيض السودانية المعروفة وأسس لها فرعا هناك

وقد كان لتلغرافاته تلك فى الأهرام وقع حسن فى نفوس جميع الذين عرفوه فى السودان لكونه أول سودانى يتكلم باسم السودان بشخصه وكانت جريدة الأهرام تعرب كذلك مقالات المرحومين عرفات محمد عبد الله وحسن عثمان اسحق فى الصحف الانجليزية .

فى قضية السردار

وعندما فشلت مفاوضات سعد ــ ماكدونالد حضر مطر الى مصر قبل الوفد وبينما هو هناك أخذ يسعى عن طريق الأمين الخاص لحاكم السودان العام السير لى أستاك وهو المرحوم « أحمد الطيب » وقد كان من معارفه للعودة للسودان وقد تصادف يوم مقتل السير لى استاك أن مطرا حضر الى وزارة الحربية يسأل عن ميعاد خروج السردار من الديوان وذهب ، وفى نفس اليوم أغتيل السردار عند عودته من الوزارة ، ولذا فقد قبض عليه مع آخرين من السودانيين وبتفتيشه وجدت لديه خطابات منى ، فأتصلت النيابة عن طريق وكالة حكومة السودان بمدير الخرطوم لتسألنى عن بعض ما جاء فى خطاباتى فى فقرات يشتم منها روح المؤامرة والقتل فما

عنهم أن داهم البوليس منزلى وأخذ أوراقى ووجد من بينها خطابات منه أيضا تؤيد ما ذهبوا اليه .

وباستجوابى عن بعض الجمل التى وردت فى خطابى اليه وأهمها الجمله الآتية « مسألة المسدس خطرة أما أشياء أخرى فلا مانع » أفهمتهم بأن التاريخ الذى كتبت فيه هذا الخطاب وفيه هذه الجملة بالذات يرجع الى عام ١٩٢٣ عندما كان مطر فى طنجة ، ويعمل مع الأمير عبد الكريم الريفى اذ كتب يقول لى ـ وخطابه لم يعثر عليه ـ أنه يرغب فى ارسال مسدس لى كهدية ، اذ كان يضمن أن أحد أصحابى فى الجمارك سيساعد على تهريبه لى فأفهمته بأن هذا خطر ، وله أن يرسل أى هدية من أى نوع آخر ، وان حادث مقتل السردار كان فى نوفمبر ١٩٢٤ أى بعد سنة تقريبا من هذا الخطاب ولم يكن مطر يعرف أنه سيذهب الى لندن ويساهم فى القضية المصرية التى تمخضت عن مقتل السردار فأن ليس هناك ما يبرر أن هذه الجملة لها علاقة بمقتل السردار ، كما أننى ليست لى صفة المشورة فى نوع السلاح الذى سيستعمل حتى اذا كان مطر أحد القتلة ، أما الجملة التى وردت فى خطابه لى فتقول « سوف أقوم بعمل تهتز له الأسلاك البرقية » وقد فسرتها بأننى أدركت أنها مبالغة كبيرة يقصد بها التهويل وأنى من معرفتى التامة له أستبعد أن يشترك فى قتل أى حيوان بله أنسان لأنه بطبعه غير غدار . وقد عرفنى مدير الخرطوم أن هذه الأقوال التى سردتها والتى سترسل الى النيابة فى مصر ، ستستدعى مناقشتى فيها عندما يحين نظر القضية أمام القضاء ولا بد لذلك من شخوصى لمصر فى الوقت الذى سيحدد .

وما هى الا أشهر قليلة حتى وصلت الأخبار الى حكومة السودان بأنه قد تم القبض على شفيق منصور وأولاد عايت وآخرين كمرتكبى هذا الاغتيال وأن جميع السودانيين الذين قبض عليهم قد أفرج عنهم .

وقد كان لهذه الأخبار عظيم الأثر عند والديه الذين ظلا شهورا فى حالة حزن عميق هد كيانهما وقد كنت أول من سمع بالخبر من نائب مدير الخرطوم المستر بيلى ، وبدورى نقلته لوالديه مهنئا . فما أن خرج من السجن حتى كتب يقول أن جوابك

لدى تقول فيه « مسألة المسدس خطرة » قد أقام النيابة وأقعدها ، وأنه قد طلق السياسة ثلاثا ولا يريد أن يبقى ببلاد لا يعرف لأهلها مبدأ ...

مطر يطرد من مصر والسودان

واضطر الانكليز الى اخراجه من مصر مبعدا سياسيا وكانت ذريعة المصريين فى أسباب أبعاده أنه وان لم يشترك فى مقتل السردار الا أن وجوده فى مصر أصبح غير مرغوب فيه وتولى البوليس المصرى توصيله الى ميناء الاسكندرية واعطيت له تذكرة سفر بناء على طلبه الى البرازيل وكان ذلك فى ابريل سنة ١٩٢٥

نشاطه الوطنى فى اوربا

وفى عام ١٩٢٦ عاد مرة أخرى الى أوربا وطاف بفرنسا وايطاليا ثم حط رحاله أخيرا فى برلين حيث اشترك مع آخرين من الألمانيين منهم الهر ولى مونزنبرج عضو الريخستاغ والهر جبارتى شمدت فى تأسيس جمعية تحرير الأمم المضطهدة وجمعية مكافحة الاستعمار ، وقد كانت كلتا الجمعيتين جزء من حملة شاملة تديرها موسكو فى جميع أنحاء العالم تحت ستار الكمنترن تعمل على الاتصال بجميع الحركات التحريرية فى العالم ، وكان ضمن الجماعات التى أنتمت اليها حزب الكومنتانج الصينى وحزب الدستور لتونسى والحزب الوطنى فى مصر ويرأسه فى ذلك الحين الأستاذ محمد حافظ رمضان ، وحزب سوريا ويرأسه الأمير شكيب أرسلان ، كما أنتمى اليها بعض النواب الاشتراكيين فى البرلمان الانكليزى منهم المستر جورج لانسبرى والسيدة هيلين ولكنسون .

وقد وكل الى مطر ادارة شئون الشرق الأوسط فكان لا بد اذن أن يدخل السودان فى نطاق نشاطه . فأرسل الى والى أحد أصدقائه حسن رشدى الموظف سابقا بقسم السكر بالجمارك السودانية ، جميع البيانات عن هاتين الجمعيتين طالبا اليه العمل على ترويج هذه المبادىء فى السودان والدعاية لها كما طلب موافاته بتقارير لتنشر بكل ما ارتكبه الاستعمار البريطانى فى السودان والرأسمالية الانكليزية كما أرسل عدة نسخ من كراسات للدعاية ومعها نشرات وصحائف للتوزيع وختم

خطابه : أنك سترى استقلال السودان على بعد مترين منك وسيكون السودان عاجلا أو آجلا مستقلا فشمر عن ساعد الجهد .

ونظرا لما كانت عليه حالة البلاد من رقابة شديدة عقب حوادث ١٩٢٤ وما جرته على خطاباتي لمطر عند القبض عليه في حادث مقتل السردار ، فقد آثرت بعد روية أن أسلم ما وصلني من هذه الجماعة الى مدير الخرطوم ، وكنت آنذاك موظفا في بلدية الخرطوم ، وخصوصا لأنه أشرك آخر معي ، وهو حسن رشدي ، فلما حملته الى المدير وكان وقتئذ المستر منرو الذي صار بعد تقاعده عضوا في البرلمان الانجليزي وأطلع عليه لم يسعه الا أن يقف على قدميه شاكرا ومرددا امتنانه لهذا العمل الجليل والولاء المنقطع النظير فخرجت من عنده لا تسعني الدنيا من فرط الزهو وما دريت أن المثل « على نفسها جنت براقش » أنطبق علي ، كنت كما قيل « مغلب قط » فاذا المدير بدوره يبعث بالرسالة الى مدير المخابرات في ذلك الوقت المستر ديفز .

وحيث أنني لم ألق كبير أهمية على موضوع الرسالة فقد أخبرت عددا من أصدقائي بما وصلني من مطر ـ الذي لا يعرف ما نحن فيه وكأنه لم يكتف بما ناله ونالني سابقا فأراد أن يطلع بأخرى جديدة وكنا لم نسمع بمثل هذه الجماعات من قبل ـ أني سلمت الرسالة لمدير الخرطوم فاستحسنوا مسلكي اذ ربما كان عند الحكومة علم سابق بهذه المشرات فشكوتي عليها ليس من الصالح في شيء ، ولربما جر علينا مشاكل نحن في غنى عنها .. ولكن لم يمض يومان على تسليمي الأوراق حتى دعاني المدير الى مكتبه وعرفني أن المستر ديفز يرغب في مقابلتي في منزله وهو المنزل الذي كان يقطنه القائد العام هدلستون على الشاطيء في يوم حدده وكان يوم الجمعة في الصباح الباكر .

فلما ذهبت الى المنزل المذكور لم أكن أتوقع أكثر من الشكر على ما قمت به من عمل ، ولكن بدخولي حديقة المنزل وجدت أمامي حسن رشدي فأدركت أن وراء الأكمة ما وراءها فسألته عن خبره فقال أن رئيسه الميجر فلبس سأله عن خطاب ورد اليه من مطر وطلب اليه أن يحضره وأنه أفهمه بأن فعلا وصله ذلك الخطاب ولكنه

أحرقه ، احتفظ من أشياء رآها خطره ، وعليه فقد أمره بأن يذهب لمقابلة المستر ديفز، فسألني بدوره عن خطابي الذي وصلني فعرفته بأنني قد سلمت البضاعة لمدير الخرطوم حال وصولها ولم أفكر مثله في حمله الى المنزل وللترث في أمره اذ ربما كان مصيره كمصير خطابه ولكني آثرت اغتنام الفرصة باظهار الولاء وفي نفس الوقت أتخلص من مصائب مطر .

فعلت ذلك وأنا في تلك السن المبكرة ولم أدر بأن عواقبها كانت وبالا أمتد مداه سنين طويلة وكان له أسوأ الأثر على مطر في أيامه المقبلة التي تلت ذلك الخطاب وعلى .

أدخلت وصديقي رشدي الى غرفة المكتب من المنزل فاستقبلنا المستر ديفز هاشا باشا وقدم لنا مقعدين فأبتدر صاحبي سؤاله عن ما فعله بخطاب مطر فأجابه أنه قد أحرقه فقال له اذا وصلتك أية خطابات من هذا النوع فلا تحرقها مرة ثانية بل قدمها لرئيسك الميجور فليبس ، وبذلك تكون قد أديت خدمة جليلة لحكومتك كما طلب اليه أن لا يحول الكتابة الى مطر تحت أي ظرف ثم صرفه مودعا الى باب المكتب وما أن عاد واستوى على مقعده حتى كرر لي الشكر على هذه الخدمة ثم أردف ـ أننا نريد أن نعرف الى أي مدى تسير هذه الجمعيات في حملتها ، وبما أن الظروف قد خدمتنا لتكون أنت على صلة بها فلا مانع من استمرارك في الرد عليهم وتزويدهم بما يطلبون من معلومات كما أننا سوف لا نحدد لك الى أي مدى يمكنك معاونتهم فاكتب اليهم بجميع ما تراه يفي بغرضهم من فظائع قد تظن أنت وغيرك أن الاستعمار ارتكبها في بلادك على شرط أن تسلم صورة مما تكتب الى المدير ليرسلها الى الاطلاع عليها وهكذا وجدت نفسي فجأة في خدمة الاستعمار من حيث لا أحتسب .

وبما أن مطرا وعد في خطابه أرسال المال اللازم لسير العمل فقد نصح الى المستر ديفز أن لا أطلب منهم أي مبالغ وأن الحكومة ستدفع لي من وقت لآخر ما يعوضني عنه سيصلني منهم وتضحي بمبلغ لا بأس به في تلك الأيام لموظف صغير في سني ومركزي .

ومما أن جميع أصحابى كانوا يعلمون بخطابات مطر فقد بدت على آثار النعمة وصارت لمدينة تتناقل ضخامة المبالغ من الماركات الألمانية التى وصلتنى من مطـــر وفيهم من يقول أن مطرا والحكومة تعاونا على ثرائى وكان لهذه الشـــائعات أثرها ، فقد تربص بى اثنان من موظفى البريد أحدهما الآن بالمعاش والآخر لا زال فى الخدمة بالتلاعب فى خطاباتى التى تصلنى من غير طريق المسجل كالمطبـــوعات وغيرها فبدأت أشعر أن خطاباتى تتعرض فى طريقها لى لضياع بعض المواد المهمة من أوراق الدعاية والنشرات فما بدأت أتحرى عن ذلك حتى عرفنى أحدهم من موظفى البوستة أن هناك مؤامرة كبيرة للحصول على خطاباتى من مطر لما احتـــوته من « ماركات » وذكر لى أسماء أشخاص المؤامرة وهما من ذكرت آنفا فأوعزت الى مدير الخرطوم أن يتخذ مايراه حيال الموظفين المتهمين بهذه المحاولات وفعلا أحضر أحدهما لمكتبـــه وهدده بالويل والثبور اذا لم يكف عن عمله هذا فاتعظ صاحبنا الذى بالمعـــاش وصمت لى الأبد .

ووالیت الكتابة الى الجماعة بطريقة لا تمت الى الشبهات بصلة التقـــارير التى ترسل منى حوت كل حوادث ١٩٢٤ من أولها الى آخرها وحادث التمرد الذى قام به ضباط وجنود الكتيبة الحادية عشر السودانية ومناظر معركة المستشفى العســـكرى (مستشفى البهر الآن) وصور جثث المرحوم البطل عبدالفضيل ألماظ والجنود وموظفى الخدمة المدنيين الذين أخرجوا من تحت أنقاض ميس الضباط الطينى الذى دكتـــه المدافع ، على رؤوس الشهداء الذين تسلقوا سطحه بمدافعهم الرشاشة ليصلوا بهـــا جنود الاستعمار من الانجليز نيرانا حامية ، وصور نقل هذه الجثث على ســـيارات النقل ودفنها وصور القنابل الكبيرة التى استعملت ولم تنفجر وكانت فى حجمهـــا كالطفل يحملها أربعة من الجنود فيما بينهم على بطانية مبللة بالماء يمسك كل جندى طرفا منها الى أن يصلوا بها الى قارب صغير أمام المستشفى ويصحبهم الأميرالاى ثوبتس بك مدير الأشغال العسكرية ويرموا بها فى عرض البهر ثم تعود الجماعة مرة أخرى لمعالجة نقل هذه المدمرات . وقد وضحت على تلك الصـــور من الخنف كل ما انطوت عليه بأقذع الألفاظ وأشدها أثرا على الاستعمار ، وقد لقيت تقاريرى التى

كانت تفيض بالمآسى والأحداث واخراج الجيش المصرى وقفل المدرسة الحربيـــة العسكرية واخراج المدرسين المصريين من السودان ، كل تقدير من الجماعة ، وكان أن دعيت من قبلهم لحضور مؤتمر اشتراكى يعقد فى بروكســـل فى ١٩٢٧ ولكنى اعتذرت عن عدم تمكنى من الحضور اليه لارتباطى بالوظيفة الحكومية وان اجازاتى مقيدة أيضا بقوانين لا فكاك منها ، كما ان حضورى قد ينبه رجال الحكومة لما أقوم به من نشاط كانوا فى الحقيقة هم على تمام العلم به مما أزودهم به من صور لخطاباتى.

وقد قامت الجماعة بدورها ، وعلى رأسها مطر الذى كان يشرف على كل مراكز الشرق الأوسط بطبع هذه الصور التى أرسلتها كما استعملت مادة قيمة فى الخطب التى كان يلقيها مطر فى المدن الألمانية الكبيرة ويحضرها الألوف المؤلفة من الشعب

Das memorias de um novo brasileiro

OBSERVAÇÕES EM TORNO DAS MINHAS VIAGENS

POR AHMED H. MATTAR

XXVI

Ahmed H. Mattar numa caricatura [illegible] Mauricio

[illegible] como [illegible] para o Brasil, onde [illegible] "Giulio Cesare". [illegible] o jornal arabe "Artaçabal" e fui redactor da secção inglesa do "A opinião". Visitei a imprensa brasileira, que demonstrou grande sympathia pela causa que eu defendia. Fui director de uma escola de inglez e de arabe. Fiz excellente propaganda da causa do Riff. Foi então que conheci o espirito generoso do sr. João Pallut, que me proporcionou os mais valiosos auxilios, mostrando-se disposto a fundar uma sociedade de soccorros aos filhos do Riff.

Essa instituição só não foi organizada porque tive de partir para reclamar providencias á Liga das Nações. Como me faltassem recursos financeiros para essa viagem, o sr. João Pallut, num gesto que jamais por mim será es-

الفصل السادس والعشرين من مذكرات برازيلى جديد وبه رسم المؤلف وهو يشد الرحال .

الألمانى وتترجم الى كل اللغات العالمية وتوزع ، وقد وصلتنى جميع هـذه الوثائق مدعمة بالصور والاعلانات الكبيرة Posters لتلصق على الحوائط فى جميع بلدان العالم كما كانت تصلنى صور ونشرات عن المآسى فى الصين وغيرها من البلاد التى رزحت طويلا تحت نير عبودية الاستعمار الانجليزى والرأسمالية العالميـة وكنت بدورى أحولها الى مقرها فى ادارة المخابرات والتى علمت فيما بعد من مطر أنهم أطلعوه عليها جميعها فى وزارة الخارجية البريطانية فى لندن عندما أراد أن يرفع عنه حظر لعودة الى بلاده ففوجىء بهذه الوثائق الدامغة لعدائه للانجليز ليس فى لسودان فحسب بل وفى كل بقعة من بقاع الأرض وطئتها أقدامهم ، وعليـه فأن الانجليز فى السودان باستعمالهم لى « كمخلب قط » قـد أصابهم من الضرر الأدبى عن طريقى بنشر جميع مآسيهم فى العالم الخارجى أكثر من النفع الذى عاد عليهم بتوافىء معهم فى كشف أعمال الجماعة والوقوف على مدى نشاطهم فى مكافحة التوسع الاستعمارى ومناصرة الشعوب المغلوبة .

وهذا الشعور قد يخفف على بعض الشىء ما أحسسته من وخز بالتقيدى فى تلك السن المبكرة من سنى حياتى لأساليب الاستعمار والمستعمرين وأن أكون طرفا فيما بيته الانكليز من أصناف التنكيل والتشريد التى تعرض لها صاحبى مطر فيما بعـد بوضعه فى القائمة السوداء فى جميع المستعمرات الانجليزية أو فى البلاد التى كان للانجليز فيها بعض النفوذ .

وهكذا انتهت فصول هذه المأساة فيما يخص صديقى مطر والذى لم أسمع عنه مرة أخرى الا فى عام ١٩٣٤ ، حين حضر الى مصر كسكرتير للوفد البرازيلى فى مؤتمر لبريد العالمى العاشر الذى عقد فى القاهرة ومترجما للمفوضية البرازيلية بها .

وفى عام ١٩٤٩ حضر للسودان لأول مرة بعد خروجه منه فى عام ١٩٢٣ وتقابلنا بعد تلك الفترة الطويلة لنستعرض تلك الأحداث والآن وقد واتتنى الفرصة ، لكى أكتب عن صديقى مطر فأنى أفعل ذلك مستلهما ضميرى فى كل ما كتبت ، ولعلى قد وفيت .

عبد القادر الامين

الفصل الاول

مغامرتى الاولى ...

عندما دفعت ثمن تذكرة الباخرة مقابل تقشير البطاطس !!

تركت بورتسودان على باخرة نقل هولاندية أختبأت فيهـا الى أن خرجت الى عرض البحر فخرجت من وراء أكوام الفحم الى السطح أتمشى ، وكان زيى غريبـا مما لفت نظر البحارة ، والتفوا حولى يسألونى بلغة لم أفهمها ، فأخذونى الى القبطان الذى أرسلنى الى المطبخ للعمل فيه ، وكانت مهمتى تقشير البطاطس ، وهـو مالم أحاوله قط فى حياتى ، ولذلك لم أحسن التقشير ، مما أثار رئيس الطبـاخين فأنهال على شتما بلغة انجليزية مكسرة فأجبته فورا مضاعفا ، فما كان منـه الا أن صفعنى وأرسلنى الى القبطان ، طبعا بتهمة الاهمال فى الواجب ، فأمر هذا بأن أعمـل مع البحارة فى تنظيف الباخرة ومسح الأرضيات فقابلنى رئيس البحارة وفى عربية معجمة سألنى عن اسمى فقلت « أحمد » فقـال « مسلم » فقلت « الحمد لله » فقـال « قرآن كريم » ففهمت أنه يسألنى هل أحفظ القرآن فقلت « هذا من فضل ربى » فقال « بسم الله الرحمن الرحيم » وأشار على أن أجلس فجلسنا ، فقلت « وضوء » فجاءوا بالماء فتوضأت ولما كنت لا أحفظ من القرآن الا سورا من جزئى عم وتبارك حسب المقرر فى الابتدائى آنذاك وكنت أحسن قراءة سورة « تبارك » وهى التى كان يقع على الدور فى قراءتها فى أغلب الأحيان فى المدرسة ، فبدأت أقرأ وكان البحـارة ورئيسهم وقد عرفت فيما بعد أنهم من مسلمى « الجـاوة » تغرورق عيونهم بالدمع لذكر اسم الله تعالى ، وكلما وقفت عند موقف وعيـد ونذير كانوا يهزون رؤوسهم خشوعا بما معناه « أى نعم » وقد أحسنت القراءة واحطتها بكل مظاهر الفقهـاء بوضع يدى على خدى وأذنى وهززت رأسى يمنة ويسرة وهكذا اكتسبت محبتهم ثم صليت بهم أماما فريضتى المغرب والعشاء ، وتماديت أكثر فأكثر ، فأقمت منهم حلقة ذكر التفوا جميعهم حولى يرددون ما أقول « الله حى » يا قيوم وهـو من وحى ما

شاهدته فى الموالد من أنواع الذكر فى واد مدنى ، ولما انتهينا من الذكر جاء اثنان بطشت وابريق وغسلا رجلاى ثم أخلى رئيس البحارة غرفته وأفردها لى ، ثم قدم لى أكلا فاخرا من اللحم والثريد وأشياء أخرى بالبهارات ، وحلف أن لا يشاركنى أحد اكراما وتعظيما لى « كأمام » والحمد لله .

وصلت جدة فى اليوم الثانى عند الظهر ونزلت الى البر فأخذنى بعض الركاب الى الكورنتينة وهى تبعد بضعة أميال من مرسى السنابيك فى ذلك الوقت ، وكنت أحمل خطاب تقدمة من المرحوم طه مسلم الى شخصية عظيمة أمسك عن ذكر أسمها ، فأرسلت الخطاب فى لنش طبيب الكورنتينة فأوصلوه اليه ، واذا فى اليوم الثانى جاءنى رسول يحمل مأكولات معلبة وفواكه وخطاب ترحيب معنون الى الشيخ أحمد حسن مطر وقضيت مدة الحجز الصحى وبعدها دخلت المدينة وأقمت فى منزل مضيفى وقد سعى لى بما له من مكانة فى الحكومة أن أنضم الى الجيش بعد فترة تدريبية قصيرة التحقت برتبة ملازم بالبحرية ، وفى الحقيقة لم تكن لديهم بحرية بمعنى الكلمة فى ذلك الوقت ، ويصح أن تسمى خفارة للسواحل ، وعلى كل فهى تستمد ضباطها وجنودها من الجيش ومهمتهم هى مراقبة السنابيك وملحقاتها من مراكب الصيد الصغيرة التى تعمل فى التهريب وما الى ذلك .

احباط المؤامرة يقودنى لمصير محتوم

وقد مكنت لى مكانة صديقى وظروف عملى التعرف على ضباط الجيش والبوليس ورملائى من فرقة البحرية وفتح لى الجميع قلوبهم ، فلمست أن هناك حركة استياء قوية مبعثها سوء الادارة من بقايا الأتراك الذين لا زالوا فى خدمة الشريف حسين شريف مكة والذى كان لا يزايل مكة مطلقا ، وفداحة الضرائب وطرق جبايتها ، وتقصير الحكومة فى عدم دفع المرتبات واضطراب حالة الأمن بفعل غزو البدو والحجاج وقتلهم وسلبهم ، كما علمت أن حركة الاستياء هذه ماهى الا ارهاصا لقيام ثورة تتجاوب مع أخرى فى الرياض يقوم بها الأمير فى ذلك الوقت عبد العزيز آل سعود ، فاندمجت بينهم وأصبحت أحضر اجتماعاتهم السرية الليلية ، وهكذا تفتح ذهنى لأول مرة بعد تركى بلادى الى هذه الأجواء التى لا عهد لى بها ، وكان

مضيفى رغم بعده من الحياة العسكرية ممن يعطفون على هذه الحركة ويمدونها بتوجيههم وارشادهم ، أملا فى أن يكون انقاذ البلاد مما هى فيه على أيديهم ، أو على الأقل الى أين يصل المنقذ الحقيقى الأمير آل سعود ، وقد كتب لهذه الحركة أن تموت فى مهدها قبل أن يستفحل أمرها بأن اكتشفت بطريقة مجهولة ، وداهمت الاجتماع الذى كنا نعقده من وقت لآخر ، وكان عددنا أربعة عشر رجلا ، شردمة من رجال الدرك ومعهم ضباطهم فاقتادونا الى المحبس فأسقط فى يدى اذ لم أكن أتوقع أن يحدث هذا وكان مبلغ ظنى أن هذه الحالة عامة ، وان الجميع يشتركون فيها ، ولم أدر أنها حركة قوامها فقط هم هؤلاء الذين كنت أجتمع معهم ، وعندما بدىء فى التحقيق معنا تدخل فى شأنى السيد فؤاد الخطيب وكان فى مصلحة المعارف بالسودان، ثم صار مستشارا لخارجية الحجاز عن طريق صديقى ومهد لى العودة الى السودان فسلمونى الى القنصلية الانجليزية فى جدة التى تولت سفرى .

وبهذه الطريقة نجوت من المصير الذى تردى فيه بقية رفاقى من الضباط فمنهم من أعدم ومنهم من سجن الى أن خلصوا على أيدى السعوديين فى عام ١٩٢٤ ، أما صديقى فقد قابلته عام ١٩٥٤ وتذاكرنا تلك الأيام لأول مرة بعد أن فارقته فى عام ١٩٢٢ على الصورة التى ذكرت ولولا رغبته الخاصة لما أحجمت عن ذكر اسمه تقديرا لفضله ووطنيته .

لقد كان لهذه الرحلة أثرها فى نفسى وأصبحت صورة مطبوعة فى ذاكرتها خرجنا من أم درمان حيث ولدت وما زالت قرية لم تمتد لها يد العمران وركبنا القطار السكة الحديد الى سواكن ميناء السودان فى ذلك الوقت فلقيت بلدا متحضرا فيها كل ما يمكن أن تقدمه حضارة تلك الأيام من مظاهر فالمبانى الشاهقة من الحجر والأسواق والحوانيت والأزياء المختلفة من هنود ومغاربة وأتراك وعجم وأفغان ومصريين وحجازيين وغيرهم ـ ثم الى جدة وهى لا تقل عن سواكن فى شىء ثم الى مكة وبعدها استقر بنا المقام فى المدينة المنورة ـ وفى رحلة عودتنا من الحجاز عن طريق الشام ومصر الى وادى حلفا بالسودان ـ كل هذه الصور اذا ما قورنت بالبلد الذى خرجت منها ـ أم درمان يتضح اليون الشاسع الذى ارتسم فى نفسى عن الحياة فى بلد السودان والبلاد التى رأيتها .

البسكليت كان رجسا من عمل الشيطان

وعقب وصولنا وادى حلفا سافرنا الى واد مدنى للاقامة فيها وهنا أذكر على سبيل المثال أن أحد الأجانب وهو على ما أذكر وكيل لشركة ماكينات سنجر للخياطة أحضر « دراجة » ليركبها لتأدية أعماله فى المدينة ولأول مرة خرج بها فى عصر يوم فتتبعه الصبية فى الشارع وأخذوا يحصبونه بالحجارة فأسرع بدراجته ولكنهم تتبعوه وكل حى يمر به كان يزداد عدد الصبية وتزداد الحجارة وقد أصاب الرجل ما أصابه وهو فى كل مرة يحاول الخلاص من شرزمة فيقع فى أخرى أشد ايذاء وهكذا عاد الرجل الى منزله بعد الغروب وقد آلى على نفسه أن لا يركبها مرة أخرى وعليه آثار تلك المعارك ـ قد تسأل لماذا كل ذلك ـ فأقول اذ لم يحدث أن رأى أطفال واد مدنى قاطبة دراجة من قبل ـ وأنا كنت قد رأيتها كثيرا ـ وكان الأطفال فى جريهم وراء الرجل ليرجموه بالحجارة باعتباره شيطانا يركب حمارا من حديد أو «النصرانى راكب حمار الحديد » كما كان الصبية يسمونه ويصيحون من خلفه .

لازمتنى هذه الحالة النفسية وكنت دائما أجتر الذكريات عن تلك البلاد الجميلة التى رأيتها وكانت أحب الساعات الى هى التى أقضيها فى المدرسة فى حصة الجغرافيا دون الحصص الأخرى وفى مراجعة دروس الجغرافيا فى المنزل .

أتممت تعليمى الابتدائى فى واد مدنى ثم حضرنا للخرطوم بأمل الدخول فى القسم الثانوى فى كلية غردون ، ولكن والدى كان فقيرا فأغرانى لأعمل فى الحكومة لأساعده ، وهكذا دون قصد توفر لى المال للسفر . وبذلك وجدت الفرصة سانحة لأهاجر ـ وقد كان فى وسعى أن أهاجر الى مصر أو غيرها ولكن الحجاز (المملكة العربية السعودية حاليا) البلد الأول الذى عرفته وحيث مرتع الطفولة ـ فسافرت الى جدة ولكن الحظ لم يلازمنى فانخرطت فى سلك مؤامرة لاحداث انقلاب للالتقاء بثوار الملك الراحل عبد العزيز ضد الشريف الحسين بن على فقبض على وسلمت للقنصلية الانجليزية هناك وقامت هذه بارجاعى الى السودان من حيث أتيت .

الفصل الثانى

سفرى للخارج للمرة الثانية

شققت طريقى الى العالم الواسع وانا لا املك شروى نقير !!

أقول للمرة الثانية ، لأن رحلتى الأولى الى الحجاز فى عام ١٩٢٢ فى عهد الشريف الحسين بن على انتهت بتلك المؤامرة المشئومة فأبعدت الى السودان بواسطة القنصل الانجليزى كما تقدم ذكره فى الفصل السابق ، وفى اليوم الثانى من يوليو سنة ١٩٢٣ تركت الخرطوم بالقطار الى بورتسودان على الرغم من معارضة والدى اللذين لم أطلعهما على ما قررته من عزمى على ترك البلاد نهائيا ، « وبعد أن أقمت أياما فى بورتسودان انتهزت فرصة وجود أول باخرة بالميناء فدخلتها مع الداخلين قبل اقلاعها بقليل بنفس الطريقة السالفة الذكر الا أن عملى فى هذه المرة كان تنظيف سطح المركب الى عدن وهناك أنزلونى ، وبما انى لم أكن أحمل جوازا فقد رفضت سلطات الميناء والبوليس بقائى بالمدينة الا ريثما أجد باخرة أخرى تقلنى الى بلد آخر ، وبعد أربعة أيام أقلتنى باخرة أخرى بنفس الطريقة الى ممباسا (افريقيا الشرقية) حيث وجدت عملا فى مكتب طبيبة الصحة بمرتب ٦٠ روبية شهريا ، مهد لى سبيله السيدان مبارك بن على وعلى بامكلا و كلاهما من الشبان المثقفين الناهضين وكانا يتوليان ادارة ند ثقافى عربى ويصرفان عليه من مالهما الخاص وقد أضافا وأكرما أى اكرام سعد زغلول وفتح الله بركات وغيرهم ممن نفاهم الانجليز الى جزيرة سيشل وهذه قريبة جدا من محل اقامتهم فى ممباسا . واليوم أسجل ذلك بمداد الفخر وأشكر لهما هذه الوطنية والفضل العظيم أكثر الله من أمثالهما ، وبدأت فى تعلم اللغة الساحيلية وهى اللغة السائدة فى البلاد مع اللغة الانجليزية ، ولم أكد أمضى أكثر من شهرين حتى وجدتنى أتوق الى الهجرة والمغامرة من حياة العمل الرتيبة فى قيود الوظيفة التى تركت السودان من أجلها ، فسافرت الى جيبوتى ومنها أخذت الباخرة الى بورسعيد فوصلتها فى اليوم الخامس والعشرين من أكتوبر ومنها الى القاهرة حيث مكثت أياما

وقد أعمت الرأى على السفر الى أوروبا فعدت الى بور سعيد ومنها أخذت الباخرة الى مرسيليا وهذه أول مرة أدفع فيها ثمن تذكرتى ميمما شطر أوربا تبيـــة لذلك الاحساس الخفى الذى ملك على تفكيرى واستحوذ على مشاعرى ، الى ذلك الغير الذى ينتظرنى فاما نجاح واما فشل ، أو على الأقل أن أكون قد أشبعت تلك الرغبة الجامحة لسفر وعدم الاستقرار ولأحقق تلك الأمنية التى لازمتنى منذ نعومة أظافرى فى الطواف حول هذا العالم الذى سحرت به ، وأنا لم أبلغ مبلغ الرجال بعد ، وليست لدى من أسلحة لتحفزنى لاقتحام مسالكه ودروبه الشائكة الا روح الاقدام والمخاطرة التى أصبحت جزءا من دمى الذى يجرى فى عروقى واستمد منه أسباب الحياة .

وصلت مرسيليا وهبطت من الباخرة وكان القدر حفيا بى اذ ســاقنى للتعرف على أحد اخوانى من النوبيين ويدعى « صادق » كان يملك قهوة وبارا فى ميــدان جوليت رقم ١٤ وكان منزله فى الطابق الأعلى وقد وصلنى منه خطاب فى السنة الماضية بأنه يدير فندق العروسة بمصر ويرجو منى أن أخبر أصدقائى أن ينزلوا عنده ، وكان متزوجا من سيدة ألمانية وله منها فتاة تدعى لفن وهــو اليوم يعمــل « بارمان » فى فندق جزيرة بالاس بالقاهرة بعد أن فقد زوجته وكريمته فى الحرب الأخيرة عنــدما أصابت منزلهما قنبلة اصابة مباشرة أودت بحياتهما .

تنظيف النحاس مقابل اجرة السفر

استضافنى صادق فى منزله فكان لى نعم الأخ والرفيق ودمت بيننا صداقة وطيدة زادت على الأيام فأصبح محله فى مرسيليا ملجـأى فى كل الأوقات التى أقيمهــا فى المدينة ، كما أصبح « وكرا » لكل الاجتماعات السرية التى أعقدها بخصــوص الريف كما سيأتى بعد . وعن طريق صادق بدأت أعطى دروسا فى اللغــة الانجليزية لأكسب بعض المال . واتخذت لنفسى اسما جديدا بدلا من « مطــر » الذى لازمنى طويلا ووقع اختيارى على « فريدريك هربرت دى لندر » كما كان يعنى هو وزوجته وكريمته فى تعليمى اللغة الفرنسية ، وبعد فترة من الوقت سافرت الى نيس وتعرفت على مواطن سودانى يدعى « على عثمان » صــاحب قهوة وبار الكابيتول

Capitol وكان من أرقى مقاهى المدينة وقد كان الخديوى عباس حلمى يشرفه بالتردد عليه عندما يحضر بيخته الى نيس ويقيم فيها ، وقد لقيت من هـــذا المواطن الكريم كل حفاوة وتقدير كما شملنى بعنايته أثر وعكة ألمت بى هنـــاك ادخلنى من أجلها المستشفى ، فما أن بارحت المستشفى حتى ألقيت بنفسى فى أول باخرة وكانت وجهتها ليفربول تدعى « البارون رتفرو » وبنفس الطريقة إياها وهى أن أعمل بالباخرة مقابل أجرة السفر وكان عملى هذه المرة تنظيف النحاس فى أقفال الأبواب والشبابيك

كيف نجوت من التسمم بالغاز

وصلت لندن وأقمت فى فندق متواضع وحرفت الاسم ليطـــابق الانجليزية فجعلته : ف٠ه٠لندر F.H.Lender ومن هـاك كتبت عدة خطابات أحدهما لصديقى عبد القادر أنبئه فيه بوصولى لندن العتيدة ، وكان وصول سودانى الى لندن فى ذاك الحين أعجوبة ، وانى ذهبت لرئاسة شركة بيرسون وولده ليمتد التى كنت أعمل معها فى مكوار بالسودان قبل رحيلى ، ولكن بعد أيام حدث لى حادث كان على وشـــك أن يودى بحياتى ، فلم أشعر بنفسى الا وأنا فى مستشفى سنت برثلميو اصم وأعمى من تسمم بالغاز بعد أن نقلت من غرفتى فى اللوكاندة التى أسكنها ٠ اما كيف حدث هذا ؟ فهو لم يكن لى سابق عهد بالغاز فنمت بعد أن أطفأت اللمبة دون قفل الغـــاز ، وقد لقيت من العناية فى هذا المستشفى « المجانى » ما يدل على عظمة هؤلاء القوم فى بلادهم ٠ وقد بقى هذا الحادث عالقا بذهنى وهذا الجميل مطوقا عنقى الى أن عدت الى لندن فى ١٩٤٩ وكانت حالتى المالية حسنة ، فطلبت من المستر ديفز وكيل حكومة السودان فى لندن أن يتقبل منى كذا من الدولارات الامريكية ليحولهـــا بدوره الى سلطات مستشفى سنت برثلميو كتبرع منى تقديرا واعترافا بذلك الجميـــل وتلك العناية التى أولونى اياها فى ديسمبر ١٩٢٣ أى بعد أكثر من ربع قرن بالتمام والكمال فقبلها الرجل وأنا له من الشاكرين ٠

وفى خضم هذه الذكريات المتتابعة والتى تتدافع فى مخيلتى راغبة فى الانطلاق، أذكر أن عنيت بحق ذقنى لأول لمرة فى تاريخ حياتى ، فقد كنت أمرد الى يوم حادث

التسمم بالغاز ، ولم تعرف الموس الى وجهى سبيلا ، وقد عزيت ذلك الى فعل الغاز وليس من فعل السن ، وقد ناهزت السابعة عشر من عمرى ، سخرية من نفسى ، وكان ذلك فى اليوم الثالث والعشرين من ديسمبر عام ١٩٢٣ .

وبعد عيد الميلاد « الكريسماس » استقبلت العام الجديد فى باريس ومنها الى مرسيليا التى بارحتها فى اليوم الثانى من فبراير ١٩٢٤ الى طنجة فى مراكش ، وقد بيت أمرا .

عام ١٩٢٤ ـ بدا كفاحى السياسى

منذ أن وطأت قدمى أرض فرنسا فى مرسيليا بدأت أستمع فى شوق وشغف الى أخبار الريف المراكشى وبطله الأمير محمد عبد الكريم الخطابى فى حربه ضد الاسبانيين من جماعة المغاربة الذين يعملون فى ميناء مرسيليا وكانت أخبار هذه الحرب تطفح بها الجرائد الفرنسية والانجليزية ، فكنت أتتبعها وأشعر بنشوة فرح عندما تنزل بالمستعمرين هزيمة منكرة فى موقعة ما وتتناقلها الأفواه ، لعدم وجود التكافؤ الحربى بين المتحاربين فهذه دولة أوربية قوية برجالها وعتادها وطائراتها تتعرض لهزائم متعددة يوقعها بها شعب أعزل الا من قوة الايمان أو بأسلحة هى فى غاية القدم ، وأن تتصارع القوتان رغم ما بينهما من تفاوت ثلاث سنوات والحرب بينهما سجال هذه قوة طاغية تريد تثبيت أقدامها فى بلاد رغم أنف أصحابها وهذا شعب مهيض مستعبد يريد أن يتحرر ويرد الغزاة على أعقابهم ، صراع بين الحق فى جانب شعب وباطل فى جانب المستعمر الغاشم .

ولقد تفتحت عقليتى لأول مرة فى تلك السن المبكرة عن ماهو الاستعمار والمستعمرين بما ألقاه على كفاح ذلك الشعب المجيد ، شعب المغرب العربى ، من درس فى الوطنية وكان حافزا لى فيما قمت به فى سبيل تحرير بلادى ، وأنا مغترب خاصة وجميع الشعوب المستعبدة عامة ، كما سيتضح للقارىء فى حينه ، وكان البطل الأمير محمد عبد الكريم الخطابى هو مثلى الأعلى فى ذلك الوقت وسيظل مثلا حيا فى نفسى مادمت ، ولذلك قررت بعد عودتى من لندن أن أسافر الى طنجة وهى المدينة

الدولية في المنطقة الخليفية التي تقع تحت نير الاستعمار الاسباني وأن أعمل على الاتصال به في داخل الريف حيث اتحدت مقاطعات الريف الثلاث ، الريف وعمارا وجبالا تحت قيادته على طرد المستعمر .

اتصالاتي السرية مع الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي

وصلت طنجة في اليوم الثاني لقيامي من مرسيليا ، وهناك تعرفت على السيد

الكورنيل مصطفى ابراهيم دي كورتان قومندان بوليس طنجة

مصطفى ابراهيم ديكورتا قومندان البوليس الدولى فى طنجة ، وهو من أب سويسرى مولود فى المغرب الأقصى ومتزوج من سيدة مصرية ، وزكى اليهودى وكان تاجر أقمشة فى « سوكوتشيكو » أى السوق الصغيرة ، وصغيرة بمعنى ضيقة للغاية حتى لا تتسع للحمار اذا كان يحمل جوالا أن يسير فيها .. الا اذا التصق المارة من كلا الجانبين على الحوائط المتقابلة .. ولا يكاد عرضها يزيد عن المتر والنصف ،وتعرفت أيضا على السادة المنبى وهو من الأعيان وعبد القادر التازى (نائب السلطان) فى طنجة ، ونجله حسن وقاسم الدوكالى وهو تاجر ومن الأعيان ووكيل الجلاوى باشا، وعن طريقهم تعرفت بمولاى السلطان عبد العزيز الذى تنازل عن العرش فى سنة ١٩٠٨ لأخيه مولاى عبد الحفيظ تحت ضغط فرنسا ، والذى بدوره أرغم على التنازل عن عرشه فى سنة ١٩١٣ وخلفه مولاى يوسف الذى توفى وخلفه ابنه مولاى محمد الخامس بن يوسف عام ١٩٢٧ ثم خلعه الفرنسيون فى سنة ١٩٥٢ ونفوه خارج وطنه وكان يقيم مولاى السلطان عبد العزيز فى سراية على جبل مارشان فى طنجة ، وكان يساعدنى سريا بالمال والأخبار والارشادات ، عندما وقف على مهمتى وهى الاتصال بالأمير عبد الكريم والعمل على مساعدته بكل ما يسعنى من عون ، وقد توج مجهودى أخيرا عندما اتصلت سريا بمندوب الأمير عبد الكريم السرى السيد علال الفاسي ، وأطلعته على رغبتى فذكر لى الصعاب الكثيرة التى تعترض اختراق منطقة الريف كما أنه ليس فى وسعه أن يعمل شيئا سوى أن يقوم بنقل رسائلى له بوسائل سرية يحميها اختصاصيون ويعودون برسائل شفويه من عنده ، وان الرساله الواحدة تكلفنى ما يوازى خمسة جنيهات تدفع « للرقاص » وهو الذى يحمل الرسالة بين الجبال والوديان وعبر خطوط النار ، وقد أرسلت للامير ثلاث رسائل عن هذا الطريق وصلتنى ردوده الشفوية بالتعليمات عن كل رسالة على حده ، وبينما كان يجرى كل ذلك فى الخفاء ، التقيت صدفة فى أحد المقاهى بالكابتن مندى وكنت أعرفه من ممباسا عندما كان ضابطا فى فرقة المدفعية الخفيفة ، وهو انجليزى يسكن فى طنجة ومعه زوجه ، دون أن يكون له عمل ظاهر فى المدينة وعرفنى أنه اضطر للسكن فى المغرب لقلة موارده الخاصة ولانخفاض تكاليف المعيشة ، وبأنه يعول على ما يصله

من و لد زوجته من اعانة شهرية ... فلما طلبت اليه أن أشاطره المسكن وهو أكبر من حاجتهما ، قبل ذلك على شرط أن أعاون السيدة زوجه فى الطبخ وتنظيف الأوانى ففبلت وأنا الرابح فكنت أقوم مبكرا لأحضر شاى الصباح لى ولهما ثم أعد الافطار ونجلس جميعا على مائدة واحدة لنتناوله ، ولكن السيدة زوجه كانت آكرم منه فصارت تعفيني من العمل للغذاء بعد أن أحضر لوازم اليوم من السوق ، ثم تتركنى انقطع لعملى الخاص وفى نفس الوقت قدمنى الى الكابتن غردون كنتج وهذا كلفنى ببيع منجم للبترول عند سفرى الى لندن فاندهشت كيف ان هذا الرجل وهو أقدر منى وأعرف منى لا يبيعه مباشرة ... ولكن زالت الدهشة عندما علمت ان المنجم يقع فى منطقة قتال متنازع عليها بين الريف والاسبان .

تاسيس جمعية اللواء الابيض والاتحاد السودانى المصرى

ولم يمض شهر على اقامتى حتى جمعت حولى بعضا من شباب المغرب الذين تأكدت من ولائهم للامير عبد الكريم وألفت لهم جمعية سرية سميناها اللواء الأبيض على غرار جمعية اللواء الأبيض السودانية وانها ترمى وتنتمى الى السودان واتخذنا لنا شفرة خاصة للمراسلة فيما بيننا ، وقد وجدت هذه الشفرة بالدات فى أوراقى عندما قبض على فى حادث مقتل السردار فى القاهرة وجمعية الاتحاد السودانى المصرى وطبعت لها كروتا فى وسطها يدان متصافحتان تحت احداهما مصر وتحت الأخرى السودان ولما لم تكن هناك حتى ولا صحيفة واحدة ، فقد أنشأت صحيفة « لنظام » فى حجم صغير تصدر كل أسبوع وكانت تعنى بالدعاية للامير وتطبع على ماكينةطباعة صغيرة تدار بالرجل وبلغ ما طبع منها فى الاسبوع الواحد ٨٠٠ نسخة ، كما سافرت دخل مراكش الفرنسية الى تطوان ـ مليا ـ القصر الكبير ـ العرائش فاس ـ مكناس ـ وكازبلانكا (الدار البيضاء) وتحادثت مع (باشوات) اى حكام تلك لمراكز وقابلت الجلاوى باشا والسنيور بريمودى ريفيرا فى مليا والماشال ليوتى ، وكنت انشر فى صحيفتى اخبار تلك المقابلات مع تصريحات اولئك الحكام على علاتها ، وقد افدت كثيرا من سكنى مع الكابتن مندى ، فقد كنت اسكن فى غرفة منفصلة تتصل مع الباب الخلفى للمنزل ، وعن هذا الطريق كنت استقبل السيد علال

الفاسى وأعضاء الجمعية السرية لعقد اجتماعنا فى جنح الليل دون أن تثار ،ى شبهة حول المنزل ، واستمر بى الحال على هذا المنوال الى أن وصلنى من الأمير عبد الكريم موافقته على قيامى بالداعية له فى أوربا ، والسعى لمشترى الاسلحة وتهريبها واستخدام ضباط اوروبيين لتدريب الريفيين على فنون القتال واستخدام الاسلحة الحديثة وكان كل ذلك بعد موقعة « عذيب الميدار » التى قاد معركتها الجنرال سلفسترى الذى انتحر بعد الهزيمة المنكرة التى أنزلها به الريفيون ، ومن غريب المصادفة أن يكون هذا الجنرال المنكود صديقا حميما للامير ، عندما كانا ضابطين صغيرين فى اسبانيا ، وكانت للامير معرفة قوية بوالدته وأخته فما أن حضرا لاستلام جثته حتى كان الأمير قد قدم لهما كل المعونة فى الوصول الى داخل الريف،وواساهما وسلم اليهما جثته ، وقد كانت هذه المعركة من الأسباب القوية التى حملت الفرنسيين على الدخول فى الحرب تلك لمعاونة اسبانيا فى القضاء على حركة التحرير .

ورغم اشتغالى بحركة المغرب بدأت تصلنى عن طريق الصحف الفرنسية والانجليزية أخبار السودان والمظاهرات التى قامت والمحاكمات فتمنيت أن أكون بالسودان لأقوم بدورى وقد عرفت الآن عن العالم أضعاف ما يعرفون فكتبت خطابى المعروف لصديقى عبد القادر الأمين الذى عرضت فيه أن أرسل اليه « مسدس » لتوفر وجوده هنا فى طنجة وكان رد خطابى ذاك هو خطابه الذى احتوى الجملة التى سبق الاشارة اليها فى فصل سابق « مسألة المسدس خطرة ــ أما أشياء أخرى فلا مانع » تلك الجملة التى كان لها فى قضية السردار فى القاهرة صفة البرهان القاطع على ارتكاب الجريمة ، كما حددها المحققون ، وبحلول شهر سبتمبر من تلك السنة عرفت عن طريق الصحف باعتزام المرحوم سعد زغلول باشا الحضور الى لندن لمفاوضاته المشهورة « سعد ــ ماكدونالد » وكان قد مضى على فى طنجة نحو السبعة الأشهر .

النشـــال المثقف

حـدث فى أحد الأيام وكان الضبـــاب ينشر خيوطه على ميناء مرسيليا فى الصباح الباكر حينما أبصرت شبحا مقوس الظهر يجلس مضطربا وقلقـا فى ركن من مقهى صادق وكنت نازلا لتناول طعام الافطار فذهبت اليه وقلت :

ـ صباح الخير
ـ صباح الخير يا سيدى
ـ هل تشكو شيئا ؟

لا ولكنى فقط أنتظر ذوبان هذا الضباب لأذهب الى السفارة البريطانية لآخذ بطاقة أتناول بمقتضاها افطارى ، فطلبت له بسكويت وقهوة وســـألته وكيف ذلك فقال ان الرعايا البريطانيين المفلسين منهم المحتاجين العابرين تعطيهم القنصلية بطاقات للنوم لكل وجبة من الوجبات وان المسافة بين القنصلية ومطعم الوجبات بعيـد جدا فلا أكاد أصل وأتناول وجبة حتى أعود للقنصلية لآخذ بطاقة أخرى .

وأسرعت وأحضرت اليه بعض « الساندوتشات » فالتهمها سريعا وهـو يتمتم أنت رجل طيب .

منذ تلك اللحظة توطدت صلاتى بمستر كولى وكثيرا ما أخذته ليتناول طعامه معى . وجاءنى دت يوم مهرولا : اسمع أنا عازمك النهارده على العشاء وضحكت وأنا أقول له : ـ عشاء ايه يابنى هو انت لاقى تاكل . فقال ـ أننى رجـل غنى ومن أسرة انجليزية ثرية أسرع هيا .

وارتديت ملابسى سريعا وأقلنا تاكسى الى محطة سكة حديد مرسيليا وجلسنا على أحد المقاعد المعدة عادة للمستقبلين وعندما دق الناقوس معلنا قيام القطار ولج مستر كولى سريعا الى داخله وأنا فى ذهول مما يجرى وتحرك القطار وقفز الرجل منه وسار فى الطريق المضاد لسير القطار وهو يحثنى أن أسرع للحاق به كان يمشى مهرولا وبخطوات سريعة ، حتى أخذنا تاكسيا الى أفخم مطاعم البلد ، وصرف الرجل مبلغا

سائلا عن عشائنا الفاخر ، ثم طلب منى أن أنزل فى فندق فاخر على حسابه بدل المكان الذى أنا فيه عند صادق .

ولكنى سألته . من أين له هذا الثراء ؟ فرد ببساطة ـ اننى ياسيدى لص، أنتهز الفرصة التى يوشك فيها القطـار على التحرك فألجأ اليـه حيث الجيوب المنتفخـة « وأنشن » على واحد منها ، أنشل فى الوقت الذى يبدأ فيه القطار بالتحرك وأنزل

الفصل الثالث

انطباعاتى فى اولى رحلاتى الى البرازيل

عام ١٩٢٥

أقلعت الباخرة كما قلت من ميناء الاسكندرية قاصدة جنوا للمرة الثانية ، من ميناء مصرى ، المرة الأولى من بور سعيد لمرسيليا فى أول رحلة الى أوروبا مغامرا متطلعا الى آفاق بعيدة فى هذا العالم الذى خرجت اليه بمحض رغبتى واختيارى ، بينما أخرج الآن طريدا شريدا معطوب الأمل وفى نفسى حسرة ، هذه بلادى حيث أبوى واخوتى تحول الأوضاع الجائرة دون وصولى اليهما كما تسكر البلد الشقيق (مصر) الذى آوى من غيرى الكثيرين من شذاذ الافاق البعيدة ووجدوا فيها أمنا ودعه يشرد بنوها لغير ما ذنب جنوه ولكن ارضاء للمستعمر والخضوع لمشيئته

بلاد لم أعرف لأهلها مبدا ...

خرجت كما قلت فى خطابى لصديقى عبد القادر — من بلاد لم أعرف لأهلها مبدأ — فيها ذقت السجن لأول مرة والحرمان حتى من الحرية الشخصية كبقية عباد الله بعد أن زايلته . وقبل سفرى تعرفت فى أجزخانة محمد على بالقاهرة على تاجر ايرانى كان كما قال رئيس ملاحه شاه العجم وتاجرا فى الطليبين وطلب أن يرافقنى فى الرحلة فقبلت تفضل وسافرنا سويا معتمدا على أن أساعده فى المغترب .

لقد كان لهذه الانطباعات مجتمعة أثرها العميق فى نفسى من الناحية العاطفية ، كما كانت حافزا قويا لأن أكافح وأجاهد فى الحياة وقد صقلتنى التجارب المريرة فى هذه المدة القصيرة حتى أتمكن من أن أرد الى نفسى كرامتها المهدورة وأبدد ما تجمع عليها من عقد وما تراكم من يأس وقنوط وأن أوجه قمتها الوجهة الصحيحة — نحو الاستعمار والمستعمرين بدلا عن تلك الأمة المغلوبة على أمرها (مصر) — وقد حققت الأيام فيما بعد الفرصة التى مكنتنى أن أكون حرباعوانا على الاستعمار وأن أسهم مع آخرين فى تسديد الضربات تلو الضربات للاستعمار ليس فى الشرقين الأدنى

والأوسط فحسب بل وفى كل بقاع الأرض حيثما وجد له أثر كما سيتضح للقارىء فى حينه .

تعرفت فى الباخرة الى السيدمحمود خيرى ـ من البيت المالك المصرى ـ الذى كان فى طريقه الى أوروبا وقد أظهر لى عطفا كبيرا واقتسم بينى وبينه المبلغ الذى كان قد حمله مصروفه الخاص فى الرحلة على الباخرة فكان نصيبى عشرة جنيهات قائلا لى: « قلبنا معك »

فى الطريق الى عالم جـديد

أخذت القطار من جنوا الى مرسيليا لمقابلة صديقى « صادق » وكالمعتاد قضيت معه يوما واحدا ، ثم ودعته وعدت الى جنوا بالقطار لأستقل الباخرة «يوليوس قيصر» الى البرازيل والتى أقلعت بنا يوم ١٤ مايو سنة ١٩٢٥ .

استغرقت رحلتنا الى البرازيل احد عشر يوما وكانت الباخرة تحمل عددا كبيرا من الايطاليين وغيرهم من جنسيات حوض البحر الأبيض المتوسط وجميعهم ممن تنكرت لهم الأيام فى أوطانهم فخرجوا مهاجرين الى ذلك الفردوس الموعود وكل يحمل بين جنبيه أملا فى حياة جديدة ومستقبلا باسما مشرقا ، قضى هذا القطيع من البشر مدة الرحلة فى فرح ومرح وصخب لا يهدأ فكل أنواع الآلات الموسيقية فى العالم كانت موجودة بينهم فما ان يشرق الصباح حتى تبدأ فى عزفها المتواصل الذى لا ينقطع طيلة النهار وجزءا من الليل يتخلل ذلك الأغانى بجميع اللغات والرقص وقرقعة زجاجات النبيذ ، فكأنى بهم وقد وقفوا على سر الحياة لا يلوون على شىء سوى ماهم فيه الى أن تثقل الرؤوس من الشرب وتنهد القوى من التعب فيستسلمون الى نوم عميق هادىء دون الاكتراث لفراش أو غطاء فتراهم وكأنهم صرعى معركة كل بما عليه من لبس أو زى وكأن الحياة التى وقفوا على سرها لفظتهم الى خارج محيطها .

وفى اليوم الحادى عشر ، وفى ليلة قمراء تنعكس نجومها المتلألأة على صفحة المحيط الساكنة الرقراقة لاحت لنا فى الأفق البعيد أضواء شاطىء الدنيا الجديدة كعقد من الأحجار الكريمة يخطف سناه الأبصار ... ومن ثم كبحت باخرتنا سرعتهـا

وأخذت تتهادى برفق كأنها تسبح بحمد ذلك الجمال الباهر وتخشى أن تفسد روعته بضجيج آلاتها ...

وما كدنا نقترب من الشاطىء حتى اتضح لنا أن الساحل عبـــارة عن حلجان صغيرة تتلاحم فى سلسلة طويلة تزينها الثريات الكهربائية الوضاءة . وقد بهر ذلك المنظر لبهيج نفوسنا وبعث فينا الآمال الطوال وأيقنا بأننا على أبواب الفـردوس . فعم البشر كل ركاب الباخرة وطفحت وجوههم بالفرحة . فميناء ريودى جانيرو ـ فى الواقع ـ من أجمل موانىء العالم الخمس وهى : اسطنبول ـ سان فرنسسكو ـ سدنى ـ نيويورك ـ ريودى جانيرو . وقد شاهدتها كلها وأعجبت بها ايما اعجاب.

الوصول الى البرازيل

نزلنا الى الشاطىء بعد اجراءات الهجرة ولم يبق فى جيبى أكثر من ثلاثجنيهات فوجدت سكنا فى لوكاندة أوروبا وبعد أن اطمأننت من اقامتى خرجت ارتاد المدينة لأتعرف على معالمها فزرت المتاحف والأماكن ذات الأهمية فى المدينـة كما أفعـل دائمـا عنـد زيارتى لأى بلد لأول مـرة . وقضيت ثلاثة أيام وأنا أخـرج فى الصبـاح الباكر لأرتاد أمكنـة مختلفـة غير التى زرتها بالأمس وأعود فى المساء ، ومنها « قمع السكر » وهو عبارة عن هرم طبيعى مخروطى الشكل على هيئة قمع السكر المعروف فى الشرق وعابات تيجوكا وليلون وبلاجا كوباكابانا وجبل كوركوفاد وليمى الخ .. والقلعة الشهيرة التى تقع على احدى الجزر فى البحـر ودواوين الحكومة ودار رئاسة الجمهورية وقد أعجبت بجمال المدينة ونظافتهـا فلم أشعر الا وتبخر آخر فلس من نقودى ، وزاد الطين بلة ان طالبتنى صاحبة المنزل بأجر الغرفة فعرفتها بأن لا شىء لدى ورجوتها أن تستبقينى عندها الى أن أجـد عمـلا فعرضت على أن أعمل كخادم مرمطون فى نفس الفندق ولما استنكرت ذلك تدخلت كريمتها فكتوريا وكنت أدرسها الانجليزى وتدرسنى برتغالى وتتفاهم بالاشـارة واستدرت عطف والدتها نحوى فوافقت على بقائى ريثما أجد عملا أرتزق منه فدفع ما على من دين .

نساء فاضيات !!

ومما أذكره بالحمد لهذه الفتاة انها كانت قد عرفتنى بصديقة ثرية لها تدعى سنيورا دى كارفاليو • ودعتنى هذه السنيورا لمنزلها ولما رأت والدتها وجهى وقد كنت دميما فى ذلك الحين وفمى ملتو • صاحت فى ابنتها : بالله ـ هل أتى هذا المخلوق من افريقيا لوحده بكل هذا القبح • خذيه يا ابنتى الى معهد مدام روزا لتصلح له فمه •

وفعلا كنت ابنتها تصحبنى كل يوم الى معهد مدام روزا لمباشرة عملية تجميل فى وجهى أصبحت بعدها مقبول الخلقة الى الدرجة التى نشب من أجلى خلاف شديد بين بعض الآنسات والسيدات اللاتى عرفنى اذ كنت أتردد على بعضهن أكثر من البعض الآخر •

وطالما أضرب يدا بيد من الدهشة رغم اننى لم ارتبط معهن بعمل أو مصلحة ••• ولم أدر مادا أعجب أولئك النسوة فى مطر الفتى الذى فشل حتى فى تقشير البطاطس ••• ولله فى خلقه شئون !

وفى أحد الأيام وكنت سائرا فى شارع ريوبرانكو وأنا أجهل لغة البلاد « البرتغالية » سمعت اثنين يتكلمان اللغة العربية فتقدمت اليهما مسلما وعرفتهما بنفسى فأرشدانى الى مكتب السيد جورج شديلق صاحب جريدة (التساهل) العربية التى تصدر فى ريودى جانيرو • ومما يذكر أنهما حين رأيانى صاحا فى وجهى بصوت واحد : هل انت الذى قتلت السردار ؟

تعيينى مديرا ورئيسا لتحرير جريدته التساهل

ذهبت لمقابلة السيد جورج شديلق فلقيت منه كل ترحاب ، دعانى للجلوس ثم قصصت عليه أمرى فما كان منه الا أن بادرنى بسؤاله • هل تعرف تكتب وتقرأ العربية جيدا فأجبت بنعم ، فناولنى قطعة من صفحة قرأتها وأملى على أخرى كتبتها ولما بدت عليه بوادر الارتياح قدرت ان الرجل سيأخذنى كاتبا عنده فى الجريدة وكم كانت دهشتى عظيمة عندما قال لى انه مريض فقلت على عجل « سلامتك » ثم استطرد قائلا ان الاطباء نصحوه بالاستشفاء فى الجبال لمدة ستة أشهر وانه قد وجد فى

الشخص لدى يمكنه ان يقوم مقامه فى رئاسة تحرير « التـــاهل » التى كانت تصدر أسبوعية ـ أثناء غيبته ـ فقلت له الحمد لله ولم أصدق أذنى وخيل إلى بسحر منى .

رجـــل عجيب

وبعد أن أطلعنى على أسرار عمله أحدنى معه الى منزله الذى يقع فى ضاحيـة تبعد نحو الثلاثين كيلو مترا خارج المدينه وكان يطل فى منزل أنيق وحـوله مزرعة كبيرة سماها « المزرعه المحمدية » وبها عين ماء سماها « زمزم » .

ورغم أن السيد شديان كان مسيحيا فقد كانت زوجته يهودية له منهـا ثلاث بنات يحملن أسماء « خديجة وأميرة وعائشة » ! ماقولك أيها القـارىء فى هـــذا الشخص !!

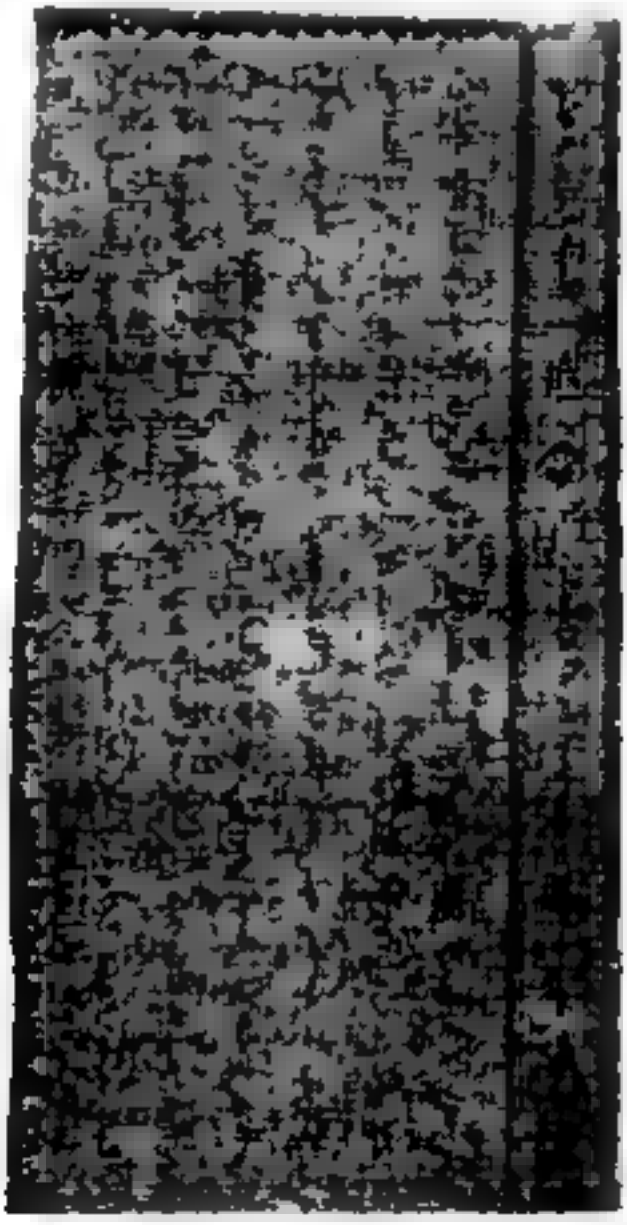

وبعد أن اتفقنا على سير العمل والمرتب وخلافه ، سلم الى جميع أعمال الجريدة من مال ودفاتر ومواد الطبع فانكببت على العمل بهمة وقد تحسنت حالتى المالية اثر ذلك ، فبدأت أتعلم اللغة البرتغالية فى مدارس برلتز والكتابة على الآلة فى أوقات فراغى وأدرس مقرر الثانوى فى مدرسة بطرس الثانى فكنت أعمل وأنا لا أزال شابا قويا ينطح الحيط فيكسره أعمل من ٥ صباحا الى ١٢ نصف الليل وبحماس تام وبلا ملل ، وقد مكننى عملى الصحفى من التعرف بمعظم أفراد الجالية العربية فى ريودى جانيرو من سوريين ولبنانيين واتخذت من بينهم أصدقاء وهكذا أصبح لى مكان مرموق بين النزلاء والوطنيين ، وتبعا لذلك وبما استحدثته فى مواد الجريدة من تجديدات ازداد اقبال القراء عليها وكثرت اعلاناتها وأول عمل قمت به هو أن عينت صديقى المجمى زين العابدين أحمد نبى الشيرازى طاهيا فى مطعم مصطفى فى شارع الفندق وكنت دائما أزوره وكان يجهز لى أطيب المآكل ، وسمعت انه عاد الى ايران فى سنة ١٩٣٩ يحمل معه ٩٠٠٠ جنيها ، نتيجة أعمال تجارية قام بها فى ظرف الـ ١٤ سنة . وأنا لا شىء .

نهاية خدمتى مع الشدياق

ولما عاد السيد شدياق من استشفائه ، كنت قد تعاقدت مع السنيور أسيس شاتوبريان صاحب جريدة « الجورنال » على أن أكون مكاتبا لصحيفته فى أوروبا بمجرد أن يتسلم السيد شدياق صحيفته منى ، ولما لم أكن متوقعا أن يستمر عملى مع السيد شدياق بعد عودته ، لم أدع الفرصة التى سنحت لى بالعمل فى جريدة برازيلية لها مكانتها الممتازة بين أمهات الصحف فى البرازيل ان تفلت منى ، ولكن حدث مالم أتوقعه فاذا السيد شدياق بعد عودته يطلب منى ويلح على بالبقاء معه نظرا لما لمسه من تحسين فى الجريدة من حيث تحريرها وتوزيعها وزيادة فى الايراد من أجور الاعلان وخلافه ولكنى وقد ارتبطت مع الجورنال فقد اعتذرت عن قبول عرضه شاكرا له ماقدم لى من خدمة وما وضع فى من ثقة ، ولما تحاسبنا لدفع ما تبقى لى من أجور مرتبى الشهرى والنسبة المئوية التى أحصل عليها من الاعلانات ، عرض على أن يقتطعنى قطعة أرض من أملاكه ويسجلها باسمى فى مقابل جزء من استحقاقى فقبلت

وأتممنا الصفقة وتسلمت حجة الملكية للارض ، وقد وضح لى فيما بعد أن هذا الرجل النبيل كان يهدف بعمله ذلك أن يعيننى على الاستقرار وأن أقيم منزلا وأتخذ لى زوجة فأوجد عائلة كما يفعل بقية المهاجرين أمثالى ولكن :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها(جراهد)

وليست حادثة السيد شديلق هى الأولى فقد أعقبتها محاولات أخر من شخصيات لها مكانتها من مركز وجاه وثراء ولكننى صرفت نظرى عنها جميعها لأنها لا تتفق وطبيعتى فهم يحاولون أن أستقر وأنا أحاول أن أفر ...

توزيع الاسماء للمهاجرين

وهكذا أنهيت خدمتى مع السيد شديلق على أتم ما يكون من الوفاق لأبدأ أعمالى الجديدة فى صحيفة « الجورنال » ولكن يحسن بى قبل أن أبارح البرازيل الى أوروبا ، أن أستعرض بعض الملاحظات عن تلك البلاد التى أوتنى فى تلك الأيام فأقول أن البرازيل كانت بلدا بكرا مفتوحة أبوابها على مصراعيها لكل المهاجرين من البلاد العربية وتعتبر جاليتهم من أكبر الجاليات الأجنبية ، وان التجنس بالجنسية البرازيلية يكتسب بعد اقامة سنتين فقط ومما يدل على سهولة قبول المهاجر أن موظف الجمرة عندما يقابل أى باخرة قادمة كان يوزع ورقة ماء اللاتينية على القادمين من الرجال المهاجرين كيفما يريد ويشتهى وخصوصا اذا كان الاسم الذى يحمله المهاجر من النوع المعقد سواء فى النطق أو الكتابة فيقول له مثلا فى مثل هذه الأحوال أنت « ارماندو سلفيرو Armando Silvero » أو يحرف له اسمه العربى تحريفا ممسوخا كأن يجعل من « ابراهيم على حسين » وهو اسم لشخص موجود فعلا ومن معارفى وأصدقائى اسما ممسوخا لا يمت الى الأصل بصلة فتصوره يصبح « اليخاندرو عونسالس مارتينيس » وتكتب بالبرتغالى اللاتينى هكذا ALEjANDRO Gonealez Martinis

فاذا ذهب مثلا السيد اسماعيل الأزهرى رئيس وزراء السودان سابقا هناك فلربما سموه « صمويل مايا SAMUEL MAYA » أو عبدالله خليل يصبح «حوسيه كاسترو

JoseCastro" » ، ولربما احتفظ للمهاجر باسم العائلة بعد مسخة قليلا وازالة الاسم الأول والثانى تماما كما حدث للسيد « رشيد محمد بلوط » وهو اسم شخص موجود اليوم وهو مليونير بواريلى فلما حضر مهاجرا أسموه Juan Balloot وتكتب بالعربى « خوان بلوط » ورغم انه أصبح مليونيرا له مكانته الاجتماعية والمالية فهو « خوان بلوط » الى الآن .

وبالطبع أن مسألة تغيير اسم المهاجر لا تستعمل مع كل قادم لأن هناك من يصل ومعه رأس مال لاستثماره أو صناعة رابحة ليستغلها أو أن تكون له شخصية وجواز سفر ـ ولا يغير اسم راكب يصل فى الدرجة الأولى من الباخرة مهما كانت هويته ـ ولكنها تعمل مع المهاجرين المعدمين الذين يصلون وليس معهم ما يقيم أودهم أو أن يكونوا قد دفعوا أجر السفر بعملهم فى الباخرة التى أوصلتهم الى هذا البلد العجيب. وفى مثل تلك البلاد تتوفر فرص الثروة للمجد العامل اذا واتاه الحظ ، ومثلا السيد خوان بلوط الذى سبق ذكره يروى قصة نفسه وهو الآن فى أوج مجده أنه حضر للبرازيل معدما وأقام فى مدينة « بلو اوريزونت » Bello Horizonte ومعناها الأفق الجميل ، عاصمة ولاية ميناس جرايس

وهى منطقة المناجم الكبرى وأمتهن بيع الخضر متجولا على عربة صغيرة يدفعها أمامه وهو حافى القدمين ويسكن فى كوخ صغير بالقرب من سراى أحد القساة الأثرياء ويدعى «ارتورو برناردس» . فلما ولد للسيد بلوط نجله الأول وسماه نلسون ، أراد أن يتقرب الى ذلك الجار الثرى فترك دينه الاسلام جانبا وهو «رشيد ابن محمد بن بلوط » واتخذ المسيحية شكلا وموضوعا بأن طلب الى الجار الثرى أن يكون اشبينا لابنه فى العماد فى الكنيسة وبذلك يصبح الثرى الوالد الروحى للابن فتم ذلك ، وعلى ذلك توثقت العلاقات وأصبح القاضى صديقا للعائلة الفقيرة التى تجاوره .

وحدث فى احدى السنين أن تقدم القاضى لانتخابات رئاسة الجمهورية فرجد فى جاره الفقير « خوان بلوط » خير معين له فى حملاته الانتخابية فكأن الأقدار أرادت أن تخدم بلوطا ففاز القاضى برئاسة الجمهورية خلفا للسيور « واشنجتون لويس »

وكان على الرئيس الجديد أن يصل الى العاصمة فى القطار من مدينة هوآوريوزنت الا انه كانت هناك معارضة من بعض الأحزاب وقد حلف بعض المعارضين انه سيقتل الرئيس الجديد فى المحطة وتردد ارتورو برناردس فى السفر ولكن حمله أصدقاؤه ومن ضمنهم بلوط على السفر فى القطار الخاص ، ولكن عند وصولهم ريودى جانيرو كانت هناك مظاهرة صاخبة وهتافات بسقوط الرئيس المنتخب وبعض طلقات نارية وخاف برناردس وقرر أن يعود ادراجه ، فحمله « بلوط » على كتفه متمنطقا مسدسه وسار به على الرصيف مع بعض أعوانه الى أن أركبه العربة خارج المحطة وسار فى حراسته تتبعه سيارات المستقبلين ، الى أن أوصله سراى الرئاسة ، فما أن تمت مراسيم تنصيب الرئيس وباشر سلطاته حتى طلب الرئيس من بلوط أن يتمنى عليه ـ كذا ـ كما كان يفعل ملوك ألف ليلة وليلة ـ فطلب بلوط احتكار أندية القمار الممنوعة فى العاصمة فأعطاها اياه فدر عليه هذا العمل أرباحا طائلة وضعته فى مصاف أصحاب الملايين اليوم فى البرازيل كما ان بلوطا لم يهمل صاحبه الرئيس فأسس من ماله صحيفتان من كبريات صحف البرازيل لخدمة سياسة الرئيس والتسبيح بحمده وتوطيد حكمه . وقد عملت فى جريدتيه زمنا طويلا وأكرم وفادتى وأسكننى فى منزله وكنت تقريبا أحد أفراد عائلته وقد عرض على مرارا أن أستلم احدى أندية قماره فرفضت فى اباء مع انتى لو استلمتها لتغير مجرى حياتى اليوم الى مال وجه ورفاهية وأيضا الى اسم وسخ .. ولكننى فضلت الاسم النظيف .

يالك من لص

هكذا كانت البرازيل فى الماضى القريب قبل أربعين سنة فقط ولكنها اليوم غيرها بالأمس ، كما يحكى هناك فى أيامى الأولى فى البرازيل ان وزيرا قديرا ووطنيا كبيرا من أرباب العلم أخذ على نفسه أن لا يوافق على أى مبلغ يصرف لصالح آخر حتى يكتب تأشيرة تقليدية لا تتغير « أصادق ـ ويالك من لص » ... فأمثال هذه الحوادث تبين الى أى مدى كانت الفوضى ضاربة أطنابها ، فى هذا البلد ولكن الخطوات التى خطتها البلاد فى الأربعين سنة الأخيرة جعلتها الآن فى مستوى أرقى شعوب العالم ماديا وأدبيا واجتماعيا وأصبحت الادارة فيها مثالية ، كما أصبح

وضيوها من السلالة الاسبانية البرتغالية يضيقون ذرعا بالأجانب المهاجرين الذين اكتسبوا الجنسية عن طريق الاقامة وقد حدثت عدة موجات من الاثارة العنصرية ضد الأجانب تركت آثارا سيئة فى نفوس القلائل من المهاجرين فمنهم من ترك البلاد عائد لوطنه فى الشرق مخلفا وراءه أبناءه وبناته الذين لم يرغبوا فى النزوح عن موطنهم ولو انهم من أصل مهاجر لأنهم أصبحوا بالميلاد ـ برازيليون لا تربطهم بالشرق أقل الروابط فكانت مآسى ليس لها مثيل ، الا ما فعله هتلر مع يهود المانيا

البرازيل اليوم

وقبل أن أختتم هذا الفصل لا بد أن أشيد بفضل أحد الرجال الكرام الذى كان لى عونا وقدمنى الى معهد الصحافة البرازيلية فقبلت أن أن أكون عضوا فيه وهو الدكتور « راؤول بى بدرنيراس » وقد اتخذته فيما بعد صديقا ومرشدا لى فى الحياة كما حزب بى أمر وكذلك صديقى الماجور مشيل خورى من جيش الحرس الوطنى الاحتياطى ويوسف سعد ، مع انى لا أنسى زملاء الصحافة ورفاق الصبا وفى مقدمتهم جوزى جوبين وداتتون جوبين مدير دياريو كاريوكا ، وماريو بيمنتال براندا وغيرهم

كما تعرفت الى الكولونيل «ادالبرتو نوفيرا » وكريمته « سلميا » ووالده وهو أيضا كولونيلا فى الجيش البرتغالى ، كما أذكر انه عن طريق هذه العائلة قد أتيحت لى فرصة الاستقرار والثراء ، والثراء المشروط بشرط فاعتذرت فى لباقة ولأن هناك صوتا من أعماقى يناديني الى كفاح الاستعمار والى نجدة البطل العظيم عبد الكريم الريفى .

وتعتبر البرازيل أكبر بلاد امريكا اللاتينية وهى أكبر من الولايات المتحدة نفسها والرابعة بين بلاد العالم فى اتساع الرقعة وهى بلاد غنية بمواردها الطبيعية وهى تسير باضطراد نحو التقدم تحت ادارة قوية فجبالها ومزارعها الخصبة وغاباتها الواسعة التى لم تقهر الا نادرا وصحاريها الغنية بالمعادل ومدنها الكبيرة الآهلة وأنهارها العديدة الصالحة للملاحة التى لا تضارعها أنهار أخرى فى العالم .. كل هذه العناصر كفيلة بتحقيق مستقبل زاهر للبرازيل العظيمة .

فهي رغم اتساع رقعتها البالغة ٣٫٣٠٠٫٠٠٠ ميلا مربعا يسكنها نحو ٧٠ مليون نفس أي ما يقارب نصف سكان امريكا الجنوبية وبها نحوا من سبعة عشر مدينة يزيد تعداد سكان كل منها عن مائة ألف نسمة ونحو عشرين ميناء كبيرة فى خدمة تجارتها الدولية البحرية ويسكن تسعة من كل عشرة برازيليين فى السهل لشرقى واقليم المرتفعات .

وعاصمة البرازيل هى مدينة ريودى جانيرو (مدينة شهر يساير) وهى ثانى مدينة كبيرة فى جنوب امريكا وتعد سان باولو العاصمة الثانية لها كما هى أيضا العاصمة المالية للبن وهى من أسرع بلاد العالم نموا اليوم .

يعمل نحو ثلاثة أرباع السكان فى الزراعة وأغلبهم فى الجنوب حيث توجد الماشية والأغنام والذرة والشعير والقمح كما ان تربية المواشى تجد قسطا كبيرا من الأهمية وقد اجتاحت البرازيل موجة من التصنيع بدأت على اثر الحرب العالميةالثانية ولا زالت نشطة فى زمن السلم تستلزم استغلال مواهب كل برازيلى فقد ارتفع الانتاج الصناعى ٥٠ ٪ عن عام ١٩٣٠ وهذا بالطبع مما يهم الولايات المتحدة الامريكية التى تستوعب أكثر ما تنتجه البرازيل كما ان البرازيل هى أكبر سوق للبضائع الامريكية فى امريكا اللاتينية ، هذا زيادة على ان أغلب الانتاج من خمسة عشر صناعة كبيرة يستهلك محليا ويدخل فى ذلك المأكولات والمنسوجات والملبوسات والمواد الكيمائية والعقاقير وصناعات البناء والحديد والورق وعمليات تطوير المواد الخام والأخشاب والأثاث والآلات ومنتجات المطاط والتبغ والمصنوعات الجلدية ومواد السكك الحديدية والسيارات كما لا زالت هناك مشاريع فى طور التنفيذ لبناء وتحسين الآلات وتوليد الطاقة الكهربائية المائية وباكتمال هذه المشروعات ستتضاعف القوة الكهربائية التى تستهلك منها مدينة سان باولو وحدها أكثر من النصف فى صناعاتها النشطة .

وهناك مشروع ضخم وهو استغلال مياه نهر سان فرنسيسكو باقامة خزان وتركيب مولدات للقوة الكهربائية ولاستثمار المناطق الشمالية الشرقية الغنية بموادها الخام وانشاء المصانع فى نفس المناطق ولم تتوان البرازيل فى الانتفاع بالخبرة من جاراتها وتطبيقها فى مشروعاتها المحلية .

ومنذ أن اكتشف الذهب فى البرازيل فى القرن الثامن عشر مازالت المناجم هناك تفيض بانتاج مستمر زاد نحو ٨٠ ٪ فى العشر سنوات الأخيرة .

تقدر الثروة الكامنة فى طبقات الأرض من الحديد فى العـــالم باثنين وسبعين مليونا من الأطنان ، فى تربة البرازيل منها نحو خمسة عشر مليونا من الأطنان وقـد استغلت هذه الثروة الغنية باقامة مناجم فى منطقة فولتا ريدوندا ينتظر أن تنتج نحو ٦٠ ٪ من الاحتياجات المحلية كما يستخرج فى نفس المنطقة الالماس الصناعى الاسود الذى ستتضاعف كميته فى زمن الحرب وكذلك البلور الحجرى وكلا المعدنين لهمـا أهميتهما فى الولايات المتحدة حيث يشحن لها بالطائرات بالاضـافة الى ما يستخرج من الصحارى الشمالية الجافة من معدن الألومنيوم والبكسايت والمانجنيز والمايكا والرصاص والزنك والزيبق ومعدن الكروم وفى ولاية اسبريتو سانتو يقوم مشروع ضخم للانشاء والتعمير يشمل الصحة والمسكن والغذاء والنقل واستخدام الطـــاقة المائية وتوسيع وتطبيق أحدث الطرق لعمليات النقل بمعاونة الولايات المتحـــدة فى حوض الامزون حيث تزيد مساحات الغابات الكثيفة عن مليون ميل مربع تنبت فيها الآلاف من أنواع الأشجار المختلفة كما ينبت فيها كل ما عرف الانســان من أنواع المحصولات وعندما يذكر المطاط الخام يجب أن يذكر اسم مدينة ماوس التى تقع على بعد آلاف الأميال فى أعالى نهر الامزون من أقرب مدينة مهمـة وهى رغم ذلك حديثة وقد كانت فى يوم ما عاصمة العالم فى استخراج المطاط اما الصعوبات والأخطار التى تعترض جلب المطاط الخام من أعالى مياه الامزون وشحنه الى المصـــانع فى الولايات المتحدة فلا يمكن وصفها ولكن شركات الطيران التى تنقل الحاجيات الى مناوس كثيرا ما تعود وبها شحنات من المطاط الخام .

وان معظم القروض التى قدمتها الولايات المتحدة للبرازيل لمعونتها فى استثمار مواردها الاقتصادية توجه الى صناعة المطاط وتحسين أعمال التنجيم كما ان البرازيل هى أعظم مصدر للبن فى العالم حيث يجمع من المزارع ويشحن الى الموانىء التى تقع على المحيط وأهمها وأشهرها سانتوس حيث يشحن فى ناقلات الى العالم ، وتوجـد فى البلاد حوالى ثلاثة مليون شجرة بن وهو المحصول الرئيسى للبلاد ، ويأتى بعده

فى المرتبة القطن واللحم المحفوظ والجلود والكاكاو وبذرة الخروع والأحجار الكريمة وشبه الكريمة والفواكه والجوز والأخشاب وكذلك الذهب .

واحتياجات البرازيل فى زمن السلم لا تتعدى الآلات والأدوات والمصنوعات الحديدية والصلبية والاتوميبلات والقمح النباتى والحجرى والمنتجات الكيماوية والعقاقير والناقلات الميكانيكية والفازلين والحديد والصلب والمواد اللازمة لصناعتها .

يلعب النقل الجوى دورا هاما فى البلاد لاتساع البرازيل وبخلاف شركات الطيران العالمية الأخرى للركاب فان البرازيل لها أسطولها الجوى الخاص للنقل الداخلى وهو أطول خط داخلى فى العالم أجمع .

عودتى الى اوروبا من البرازيل عام ١٩٢٥

بارحت البرازيل فى أوائل نوفمبر ١٩٢٥ الى أوروبا لأعمل بصحيفة الجورنال كما قدمت والتى تكفلت بمصاريف الرحلة ومرتب شهرى لا بأس به فسبحانك ربى مغير الأحوال قدمت الى البرازيل هذه منذ سبعة أشهر فقط وأنا شريد لا آمال عندى ولا مأوى وها أنا أخرج منها رجلا له خطره فى الحياة يعمل ويكد أسافر كأى راكب ثرى فى الدرجة التى تناسب مركزى الجديد وقد بدت على آثار النعمة فحمدا لك ربى وشكرا على نعمائك .

وجدير بالذكر ان مجرد السفر الى أوروبا فى ذلك الحين كان مغامرة كبرى يستحق عليها المسافر أن يودعه أهله ومعارفه ويأسفون لفراقه ويبكون عليه .

ولكنى كما قدمت كنت قد عرضت موافقتى على السفر للمسيو شاتو بريان بلا أدنى تردد . فلما ذهبت الى منزله مودعا قبل سفرى فى اليوم الثانى . رأتنى زوجته وكانت باهرة الحسن شديدة الاغراء . فتحسرت على وقالت : أيمكن لمثل هذا الشاب الصغير أن يسافر الى أوروبا ؟

فقال لها زوجها مستنكرا : تبا لك يا امرأة . لقد أتى من مجاهل افريقيا . فهل يضيره أن يذهب الى أوروبا !!

وصلنا جنوا ومنها أخذت القطار الى مرسيليا ـ الى وكرى أو معقـل عبد « صدق » وحططت الرحال ـ ولما كانت فرنسا قد دخلت فى حرب مـع الأمير عبد لكريم مناصرة لاسبانيا كان على أن أعمل بيقظة وحذر فاتحدث من مقهى «صدق» وصادق حى يرزق الآن فى القاهرة ، وكرا للاجتماعات السرية التى كنت أعقدها للعمل فى شئون الأمير عبد الكريم تحت ستار عملى الصحفى الظاهر مع صحافة البرازيل لتغطية مهمة الأمير عبد الكريم التى قطعتها قضية مقتل السردار ـ ثم سافرت الى جنيف فى سويسرا حيث كانت تعقد عصبة الأمم اجتماعاتها وقابلت السير أريك درمنـد هاى سكرتير عام عصبة الأمم فى ذلك الحين وتحدثت اليه فى موضوع الأمير عبد الكريم وقمت بطبع منشورات الدعاية اللازمة لقضية الريف بعد أن فشلت فى جعل العصبـة تهتم بالمسألة الريفية لاعتبارهم اياها مسألة داخلية بحتة بين مستعمر ومستعمرة وهناك تعرفت بالسيد على الغاياتى صاحب جريدة « منبر الشرق » وقابلت الكثيرين من تجار الأسلحة وسماسرتهم وكان كل منهم يعرض على أنواع الأسلحة والمفرقعات من قنابل يدوية وغيرها وأنا بدورى أحصل على الأسعار والمواصفات وأرسلهـا بالشفرة الى صديقى عبد القادر حسن التازى فى طنجة ليتصل بالمسئولين السريين الذين فى خدمة الأمير فاشتريت ٤٠٠ بندقية شحنت من ميناء مرسيليـا وكان منزل صـادق مكان التسليم والتسلم .

وفى أثناء ذلك زرت لوزان وبرن وزيوريخ ومنها الى منشن فى المانيـــا حيث تعرفت بالدكتور « ج تراوب G. Traub » الذى أرسلنى لمقابلة الجنرال لودندورف القائد الألمانى الشـــهير فى لود ويجزهى من ضواحى منشن والدكتـــور تراوب كان من أكبر أصحاب الصحف فى بافاريا وكانت كل مقابلاتى تلك تتصـل بالدعاية لمسألة الريف واستنهاض الهمم لمعاونته سواء بالقواد لتدريب الريفيين أو بالأسلحـة وغيرها ثم تعرفت بالكابتن « فايس » والماجور « ماكس » وهما من الضباط الشبان الألمان عن طريق نجل الجنرال «لدوندورف» لاستخدام ضباط ألمان وقد نجحت فى ارسال البعض الى الريف ومن بينهم الكولونيل « هرمان » من ضباط الطوبجية وكان له الفضل الأعظم فى تدريب الريفيين على الأسلحة الحديثة والمدفعية التى عنموها من

الاسبان فى موقعه « عديب المدار » الشهيرة كما يعزى اليه حادث تعطيل اباحرتين الاسبانيتين باصابات مباشره فى مضيق جبل طارق وكان حدثا كتبت عنه الجرائد بالبنط العريض مشيده بالمدفعية الريفية وتدريبها واحكام اصاباتها بينما قص ذلك مضاجع الفرنسيين والاسبانيين لمعرفتهم التامة ان ليس فى الريف من يحسن ذلك العمل لدى أدل كبرياءهم وجعلهم أضحوكة العالم بين يدى رجال بدويين من الريف المغربى وقد قبض الفرنسيون فيما بعد الكولونيل « هرمان » وحكم عليه بالسجن وهرب منه فقابلته فى برلين فى عام ١٩٢٩ ليقص على مغامراته فى الريف وسيبقى اسمه خالدا فى قلوب الريفيين وكانت كل الأسلحة التى حارب بها الأمير عبد الكريم هى مما غنمه من سبانيا نفسها وفى « مشن » بالذات .

كيف عرفت هتلر ؟

حدث أن رأيت لأول مرة « أدولف هتلر » بينما كنت أجانس ابن الجنرال لدوندورف والماجور ماكس والكابتن فايس فمر علينا رجل فى زى بافارى وعلى رأسه قبعة عليها ريشة يمشى بخطوة عسكرية رافعا رأسه الى أعلا لا يلتفت يمنة أو يسرة فسألت عمن يكون هذا فقيل لى انه أحد المجانين ويدعى « أدولف هتلر » يعيش فى خيال لتحقيق أحلام النهار فطلبت التعرف اليه فقص على واقفا لمحة عن كل ما عمله فيما سبق فأعجبت به ، ثم سار وضحك أصدقائى مستهزئين ولكنى هززت رأسى وأخذت كلامه مأخذ المعقولية والجد ولم أدر انه سيصبح سيد المانيا المطلع ، والمانيا فوق الجميع . ثم سافرت الى برلين وهناك قابلت لأول مرة الأمير شكيب ارسلان وعرفته ثم تعرفت بالسادة عبد الجبار خيرى وشتو بدايا من رجال حركة التحرير فى الهند ويحى الهاشمى رئيس الطلبة السوريين فى برلين وكمال الدين جلال من مصر وقد كان معنا هنا فى السودان وهو نجل البكباشى جلال .

كما تعرفت الى « جراف رفنتلو » فى بوتسدام من أحياء برلين العظيمة وقد رأيت لأول مرة الصليب المعقوف فى مدخل المنزل محفورا على بلاط السلم وقال لى « الجراف » عندما دهشت لهذا المنظر « هذا شعارنا » ولكنى لم أعلق أهمية على هذه الكلمة ولا على هذا الشعار ولم يدر بخلدى انه سوف يكون له شأن يوما ما فى

حياة تلك الأمه العظيمة وان تتخذه شعارها على أيام النازية ـ ومجمل القول كانت كل تحيات الجهات ترد لى بكلمتين Kein Geld أى « مافيش فلوس » كانوا يقولون ذلك والحزن والأسى يبدوان على وجوههم وعيونهم تغرورق بالدموع .

وأخيرا فى برلين وقعت مصادفة بالتعرف الى جماعة وجدت فى أعراضهم ضالتى التى أنشدها بعد أن بدأت العمل مع جماعة اعانة العمال الدولية فاشتركت معهم فى تنظيم جمعية محاربة التوسع الاستعمارى والتى اشتقت منها جمعيـة تحرير الأمم المضطهدة .

وقد وضح لى ان هذه الجماعات كانت تستمد قوتها المادية والتوجيهـات من موسكو تحت ستار الكومنترن وكان من بين الأعضاء المؤسسين البروفسور ألبرت نشتين العالم الكيمائى والبروفسور هنرى باربوس العالم الفرنسى وجواهر لال نهرو المندل الشرقى والهر الفوس جولد شمدت والهر ولى مزنبرج عضو الريخستاج والهر حبارتى وقد كنت أتبع الشعبة التى يرأسها الأول من الأخيرين وسـكرتارية الأخير وقد عهدا الى بالقسم الشرقى . وبالرغم عن نشاطى المتعدد النواحى فقد كنت مواظب على مراسلة صحيفتى « الجورنال » فى البرازيل .

مكافحـة الاسـتعمار
فى برلين عام ١٩٢٦

طالعتنا السنة الجديدة وأنا غارق لأذنى فى تنظيم شئون جمعية مكافحة التوسع الاستعمارى فى طبع المنشورات بجميع اللغات الحية ومنها العربية واصدار الكتيبات الصغيرة عن أغراض الجمعية وكان استعدادا ضخمـا تكلف الألوف من المارکات واستأجرنا طابقا فى احدى العمارات الضخمة فى شـارع ولهمستراس كمركز عام واستخدم فيه موظفون عديدون من رجال وفتيات للقيام بأعمال السكرتارية وكان ذلك تمهيدا لانعقاد مؤتمر الشعوب المضطهدة فى بروكسل فى ١٩٢٧ ومن هنا بدأت مراسلاتى مع صديقى عبد القادر فى الخرطوم بالسودان لنشر الدعاية اللازمة ولكنه سلمها للحكومة بدوره كما وضح ذلك بنفسه فى الفصل الأول من هذا الكتاب .

وكان على أن أقوم بنفسى بجولة تبتدىء من طنجة وتنتهى فى لاغوس بنيجريا

لعمل الدعاية واختيار مندوبين من قبل هذه الشعوب للمشاركة فى المؤتمر فسافرت من برلين الى طنجة ، وقابلت جميع أصدقائى هناك وكذلك أعضاء الجمعية القدامى التى أسسناها فى عام ١٩٢٣ فأنابونى عنهم للتحدث باسم مراكش والريف المغربى كما قابلت صديقى الكابتن مندى وكان قد سمع بما قاسيته فى مصر فى حادث السردار كما اتصلت بالوكلاء السريين للامير بخصوص الأسلحة التى لم تصلنى عنها تعليمات — وبعد أن انتهت مهمتى فى طنجة توجهت الى « قادس » فى اسبانيا على مسيرة ست ساعات من طنجة بالباخرة ، بعد المرور من جبل طارق غربا فوصلتها ولما نزلت الى البر قبض على البوليس الاسبانى ، واحضرونى الى مدير بوليس المدينة بعد أن فتشوا متاعى ووجدوا به بعض الصحف العربية ، والذى ظهر لى ان مدير البوليس ، ومن المرجح أن يكون من أصل مغربى قد تعمد أن يظهر عدم الاهتمام بالحادث ، فأخذ يقول « ومن أين لى أن أجد مترجما عربيا ليترجم هذه الصحف — اطلقوا سراحه وليسافر » — فبقيت بالمدينة يومين غادرتها الى باثورشت عاصمة عاميل الانجليزية فمنعونى من النزول الى البر وقد حدث لى ذلك فى سيراليون وفى أكرا وفى لاغوس أو على الأعم فى كل البلاد التى تقع تحت النفوذ الانجليزى — وكان سبب كل هذا مراسلتى لعبد القادر فضاق بى القبطان ذرعا وضقت به ، لأنه يريد أن يتخلص منى فى أول ميناء وهذا ما كنت أقصده اذ صرت عالة على الباخرة طالما ان الأرض لم تعد تقبلنى على ظهرها ، ولما عدنا بطريقنا ذاته من لاغوس مررنا بمنروفيا عاصمة ليبريا فتذكرت أحد معارفى وهو الحاج « أحمد كارو » مدير الجمارك الذى مر بطنجة فى عام ١٩٢٤ فى طريقه الى الحجاز ونشرت له صورته وصورة رئيس جمهورية ليبريا المستر تشارلز كنج فى ذاك الوقت فى جريدتى النظام ، واتفقت مع قبطان الباخرة أن يسهل مهمة النزول أيضا وأن لا يذكر أى شىء عن رفض نزولى فى البلدان السابقة وصدف أن كانت معى نسخة من تلك الجريدة فسألت عنه فأخذنى ضابط الجوازات والجمارك اليه فاستقبلنى الرجل استقبالا حارا وأنزلوا لى متاعى وأقمت فى ضيافة الحكومة رسميا ، سبعة أيام قابلت خلالها الرئيس تشارلز كنج فى صحبة الحاج أحمد كارو الذى أطلعته على الصورة فلقيت منه كل ترحاب ودفعت لى الحكومة ثمن

التذكرة على الباخرة من داكار الى ريودى جانيرو فسافرت الى د كار وهناك قابلت السيد لأمين سنجور أحد أعضاء جمعيتنا فى داكار ثم أخذت الباخرة الى ريو .

بقيت فى البرازيل شهرين طفت فيها بعض المدن منها سـان باولو وبدأت فى الدعاية للمؤتمر واهتمت الجرائد ووجدت عطفا على قضية المغرب ، وكانت انقطعت عنى أخبار السودان وشعرت بمكر عبد القادر فقطعت عنه مراسلاتى وقطعت صلتى بجريدة الجورنال ولكنى تعاقدت مع ثلاث صحف أخرى كمكاتب لها من أوربا وهى Diario Carioca أو معناها « يوميـة ريو » و Diariode Nort- ومعـاها الشمال و A BATACHA ومعناها « المعركة » والأخيرتين يمتلكهما السيد جوان بنوط الذى سبق ذكره .

ثم عدت الى برمن فى المانيا فى أواخر عام ١٩٢٦ ومنها الى برلين لأواصل عملى فى الاعداد للمؤتمر الذى سيعقد فى بروكسل ببلجيكا .

مؤتمر مكافحة التوسع الاستعمارى
فى بروكسل ١٩٢٧

عدت الى برلين ووجدت ان حملة الدعاية المنظمة الشاملة التى قامت بها الجمعية قد أتت ثمارها فاستجاب الكثير لها من منظمات التحرير فى البلاد التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار أو الرأسمالية العالمية ومنظمات العمـال فى أوروبا وأمريكا والاشتراكيون وحضرها من الشرق مندوبون عن حـزب الكومنتانج الصينى ومندوبون من الصين منهم مدام سن يات سن وسـان كاتاياما من اليابان وحـزب الدستور التونسى وشخصيات منهم جواهر لال نهرو والأمير شكيب ارسـلان والأستاذ محمد حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى بمصر والسيد الأمين سنجور من السنغال ومن انجلترا المستر جورج لانسبرى والسيدة هيلين ولكنسون من أعضاء مجلس العموم عن حزب العمال البريطانى ، كما ظهر عدد كبـير من الشيوعيين الأوروبيين .

وقد أقيم المؤتمر فى مدينة بروكسل بقاعات قصر اجموند وافتتح يوم ١٠فبراير ١٩٢٧ وظل الى اليوم السابع عشر من الشهر نفسه ، وقد قامت بالدعوه له جمعيـة اعانة العمل الدولية ، فى شخص ولى موتزمبرج عضو الريخستاج الألمانى وادكر ان السيد محمد حافظ رمضان اختفى فجأة بعد اليوم الثالث من انعقاد المؤتمر وفر الى باريس ، وفيما عدا هذا الحادث فقد كان المؤتمر ناجحا ، وألقيت فيه الخطب الكثيرة التى طبعت أخيرا فى كتاب ، وقد قرر المؤتمر مقاومة الاستعمار والرأسمالية بهمـة لا تعرف الكلل وبكل الوسائل وان يعقد مؤتمر آخر بعد سنتين وقد كتبت الجرائد عنه وأولته الكثير من الاهتمام .

وهكذا راقت لى فكرة المؤتمر فى حد ذاتها بلا شيوعية فاعتنقهـا كرها فى الاستعمار وصرت أخطب فى المجتمعات والأندية بلغتى الألمانية الركيكة وكنت كثيرا ما ألتقى بنهرو يخطب أيضا ولما زار السودان عام١٩٥٧ استقبلته بصفتى نائب مدير المراسيم فى وزارة الخارجية السودانية وتذاكرنا أيام الكفاح ، وعند سفره قال لى فى المطار أمام القائم بالأعمال الهندى السيد كدواى أتعشم أن أراك يا مطر مرة أخرى ولكن ليس بعد ٣٠ سنة » وعندما عدنا لبرلين من المؤتمر وصلنى دعوات من هيئات مماثلة وكنت تصلنا من البلاد المختلفة فى العالم تقارير عما يرتكبه الاستعمار ، فكنا بدورنا نحولها الى دعاية بالمطبوعات وعن طريق الصحـافة والراديو والخطب فى الجماهير ، وكانت المانيا فى حالة عدم استقرار مما خلفه الحرب الأولى من آثار ، وكذلك الحال فى بلجيكا وهولاندا وفرنسا وبلغ عدد الخطب التى ألقيتها ١٤٠ ،وقد أرسلت كثيرا من الخطابات والبلاكارت الى صديقى عبد القـادر الأمين وحسن رشدى ، وهكذا قضيت عامى ١٩٢٧ ــ ١٩٢٨ فى برلين أعمل بنشـاط فى داخـل الجمعية وخارجها وقد بلغ عدد المدن التى زرتها لالقاء الخطب مالا يقـل عن المائة مدينة كان لقضية المغرب والأمير عبد الكريم وفرنسا واسبانيا منها النصيب الأوفر ثم السودان نظرا لظهوره على المسرح .

الدعوة الى روسيا

كما توفرت فى الوقت نفسه على مكاتبة صحف البرازيل الثلاث التى أمثلها فى

أوروبا فى حوالى أواخر اكتوبر ١٩٢٨ وبعد أن انتهيت من سلسلة المحاضرات الطويلة التى ألقيتها عن الريف والسودان والبلدان المغلوبة على أمرها حضر الى مكتبى فى ولهيمستراس شخص طويل القامة له لحية مهيبة وانحنى أمامى وقال أدعوك باسم السفير أن تكون ضمن المدعوين للسفر الى موسكو لحضور الاحتفال بمرور عشر سنوات على قيام الحكم الشيوعى وانى أتكفل بجميع نفقات سفرك فى الذهاب والاياب والاقامة فى ضيافة الحكومة لمدة ستة أسابيع وما يوازى مائةدولار كمصروف خاص فقبلت الدعوة بعد شوية تفكير واندهاش . وسألته عن ميعاد القيام فعرفنى بأن أجهز نفسى وأقابله فى بوفيه محطه السكة الحديد فى «فردريك ستراس» فى الساعة السادسة مساء بعد يومين حيث يوافينى هناك بجميع التعليمات وبرنامج الرحلة فسألته عما اذا كانت الرحلة تحتاج لتأشيرة على جوازى فعرفنى ان لا حاجة لذلك وانما سأستعمل تصريحا لدخولى الأراضى الروسية من بولونيا ويستلمه منى فى الموعد ثم ودعنى وانصرف ، وذلك لكيلا تظهر تأشيرة سوفيتية على الجواز . وقد علمت فيما بعد ان الجمعية التى انتمى اليها وأعمل فيها هى التى أوصت بهذه الدعوة أو بالأحرى ان مزنرج رئيسنا الأعلى هو الذى رتبها وانه سيكون أحد الأعضاء المنظمين فى موسكو وفى اليوم والميعاد المحدد كنت فى بوفيه المحطة ومن أن وصل القطار على الرصيف حتى رأيت صاحبى بنفسه فأدخلت متاعى الى غرفة نوم خاصة محجوزة ثم أعطانى تصريح الدخول الى الأراضى الروسية كما عرفنى أن جميع من بالقطار مدعوون أمثالى الى هناك ثم ودعنى وانصرف ولما وصلنا الحدود البولونيه الرومية حضر موظف الجوازات وأطلع على التصريح وانصرف بلباقة واستمرت رحلتنا فى الأراضى الروسية وكلما وصل القطار الى مدينة رأينا جموع حاشدة من العمال تحيينا وتنادى بسقوط الاستعمار والرأسمالية مادين أيديهم بالتحية الشيوعية وهى رفع اليد اليمنى الى مستوى الكتف وقبضة اليد مصمومة الأصابع الى الأمام، وقبل أن يصل القطار الى موسكو امتلأ الجو بأسراب الطائرات التى كانت ترافق القطار وهكذا عندما وصلنا المحطة وجدنا حشودا كبيرة تنادى هاتفة والموسيقى تعزف نشيد الدولية الثالثة والحناجر البشرية تردد النشيد على توقيع الموسيقى .

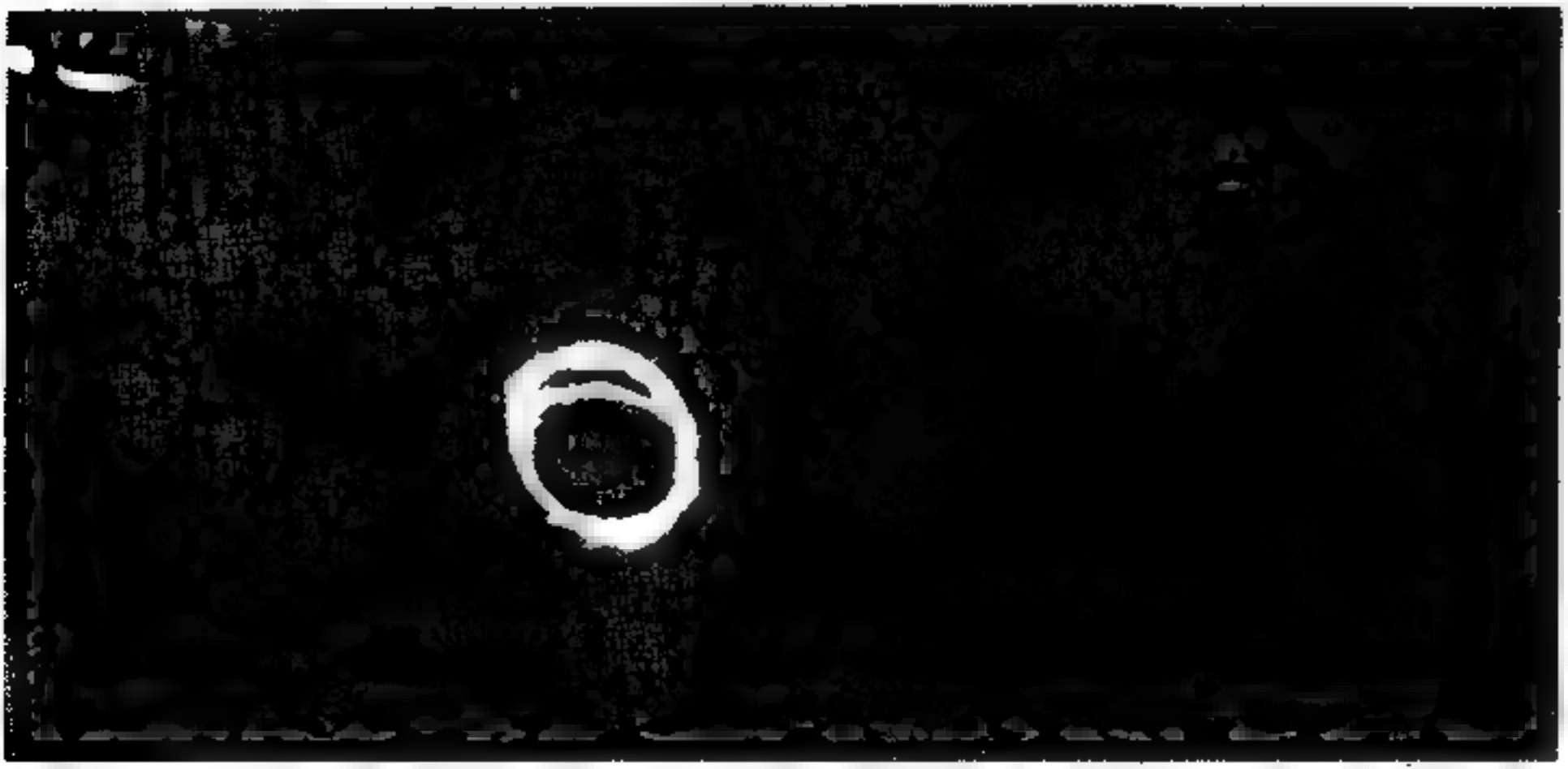

Eine Pleunumsitzung des Kongresses im großen Saal des Palais Egmont

يرى المؤلف في الصف الاول في اول جلسة تأسيس الجبهة المعادية للاستعمار في سراى اجموند ببروكسل .

Como se vive na nov

Russia --

O trabalho mal pago das mulher
russas -- O ordenado em relação a
sto da vida -- As diversões, o cinema e o club operari

(Por [illegible] de Borras, director de "La Presse Bruxelloise")

[illegible]

TABELLIÃO
DR. JOSÉ D. RACHE
[illegible]
1.º OFFICIO
(ANTIGO CARTORIO CASTRO)
HERCILIO COSTA
SUBSTITUTO
Tel. 23-[illegible]
ROSARIO, 156 — Rio de Janeiro

[illegible]

Publica Fórma

sobre o allegado na petição inicial disse: Que conhece o justificante Roberto Luiz de Barros, desde alguns annos, mantendo ainda com elle até a presente data estreitas relações de amizade; que pode affirmar que o justificante é natural do Egypto, onde Ahmed Hassan Mattar é seu nome de origem, e é filho de Hassan Mattar e de Amina Mattar; que o justificante, naturalisou-se brasileiro e tem usado o nome de Roberto Luiz de Barros, para fins jornalisticos, que tanto Roberto Luiz de Barros e Ahmed Hassan Mattar, são a mesma e unica pessoa, podendo affirmar ainda que a presente justificação é para attender a uma exigencia da Policia Civil do Districto Federal. Nada mais disse nem lhe foi perguntado pelo que encerrou-se o depoimento que vae assignado pelo Doutor Juiz, a testemunha e o justificante, depois de lido e achado conforme. Eu José Faria, escrevente

novecentos e trinta e cinco. E eu [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

Ultima folha de uma publica forma de justificação [illegible] requerida ao Juizo da [illegible] Pretoria Civel [illegible] Escrivão Olegario de [illegible] Justificante Roberto Luiz de Barros -

[illegible]

ارسل اعلانات للجرائد تطلب فيه سكرتيرة للعمل على الآلة الكاتبة ثم أعقبه باعلانات عن تأسيس المكتب لكافة أعمال الصحافة والاستعلامات ، وجعلنا الاشتراك فيه للخدمة الصحفية ثلاث جنيهات فى الشهر ، وفى اليوم التالى وصلنا فوج من الفتيات الجميلات الرشيقات للعمل على الآلة الكاتبة فتركت لربه الاختيار فاستخدام اثنتين بدلا عن واحدة — وبدأت اشتراكات الصحف تتوالى على المكتب وقد واتتنا فرصة انعقاد المعرض الصناعى للمستعمرات فى تلك السنة فسعيت لى ادارته واتفقت معهم على عمل الدعاية اللازمة بطرقنا المبتكرة الخاصة فقبضت منهم أول دفعة ٣٠٠٠ر٣٠فرنك أى ما يوازى مائة وعشرين جنيها وبذلك دفعنا ما علينا من قروض ، وسار المكتب بنجاح عظيم ويرجع الفضل فيه الى صديقى نزيه الذى كان يقع عليه عبء العمل التحريرى لعدم المامى باللغة الفرنسية كتابة فى مستوى مقدرته هو فيها وتمكنه منها ، وكنت أقوم بالأعمال الخارجية زيادة على عملى فى الناحية الخاصة بالصحف البرازيلية خاصة والصحف الأخرى فى امريكا اللاتينية عامة ولما قضينا نحو العشرة الأشهر سافر صديقى نزيه الى مصر ، وقررت من ناحيتى أن أنقل المكتب الى البرازيل وهكذا قوضناه فى أسرع من الوقت الذى استغرقه تأسيسه واتجه كل منا وجهته فى هذه الحياة التى تأبى نزواتى على أن أستقر على حال فيها وهناك أسسته من جديد وسجلته باسم الصحافة البرازيلية . ثم بعته لسفير برازيلى سابق فى باريس بما يعادل ألفا من الجنيهات !!

نزيه مسعد

سبق أن ذكرت فى موضع سابق أن مكتب الصحافة البرازيلية الذى أسسه ونزيه مسعد فى باريس عام ١٩٣٠ قد نقلته الى ريودى جانيرو وان كلا منا اتجه وجهته فى هذه الحياة فسافرت أنا للبرازيل وتركت نزيها فى باريس وانقطعت أخباره عنى ولكن بعد خمس سنوات قبل قيامى من القاهرة الى الحبشة فى عام ١٩٣٥ وبينما كنت فى دار جريدة المقطم فى عملى معها كمراسل لها فى الحبشة فتقابلت صدفة مع نزيه بينما كان يتسلم أيضا أوراق اعتماده من الجريدة ذاتها لموافاتها بالأخبار فى أثناء رحلة حول العالم يعتزم القيام بها فتمنيت له النجاح فى مهمته وافترقنا ومرة أخرى انقطعت أخباره عنى .

وفى عام ١٩٤٦ بينما كنت فى جولتى الأخيرة حول العالم نزلت فى مدينة هوليود وأثناء مقابلة لى مع زعيم الجالية اللبنانية فى مدينة السينما السيد جورج بجنسى فى منزله عرض على أن يقدم لى صهره وهو مصرى الجنسية للتعارف فوافقت فصاح من مكانه . يا نزيه فلم يدر بخلدى أن يكون هذا الاسم هو نزيه مسعد بعينه اذ استبعدت ذلك ولكن ما أشد دهشتى لتلك المفاجأة الطارئة فاذا بنزيه مسعد بدمه ولحمه يقف أمامى وأنا مأخوذ بهذه المصادفة فتعانقنا طويلا أمام صهره الذى عقدت الدهشة لسانه فقضينا وقتا جميلا استعرضنا فيه حوادث الماضى ومنه علمت ان السيد بجنسى هو شقيق والدته اللبنانية واما والده فمصرى وانه عندما سافر حول العالم حط رحاله فى مدينة هوليود وعند خاله الذى كان يملك متجرا يقدم فيه لمدينة السينما الطرف الشرقية والملبوسات والأوانى التى تلائم العصور التاريخيه القديمة وجمع ثروة لا بأس بها كما أن نزيها عمل كمستشار فنى فى الأفلام التاريخية الشرقية نظرا لثقافته وهكذا اتصل عيشه فى مدينة السينما وتزوج من كريمة خالهواستقر به المقام وقد أفاد من صلات صهره بشركات السينما وصلات زوجه بنجوم السينما من الرجال والسيدات لأنها نشأت فى مدينة السينما وكان متجر والدها ملتقى أعظم نجوم السينما فقامت صداقة بينهم وبين العائلة مهدت لنزيه أن يشق طريقه فى عمل السينما المختلف النواحى وقد أنشأ أخيرا مجلة مصورة تصدر باللغة العربية فى هوليود .

وهكذا وبهذه الطريقة الفذة فى كلتا المرتين أتقابل مع صديقى نزيه فى القاهرة فى عام ١٩٣٥ وفى هوليود عام ١٩٤٦ لنستعيد أيام البؤس والحرمان التى قضيناها فى باريس بجوب الطرقات فى سبيل لقمة العيش الى أن تفتق ذهنى عن تلك الحيلة الطريفة التى ذكرناها سابقا والتى أقمنا فيها مكتبا للصحافة من الهواء .

من أجل البرازيل

وقد قمت بدعاية واسعة النطاق لوطنى «البرازيل» اذ لم يكن جهل أوروبا فى عام ١٩٣٠ قاصرا على البرازيل وامكانياتها وتقدمها وثقافتها فحسب بل كل بلاد امريكا الجنوبية لم تكن معروفة تمام المعرفة فى ذلك الوقت كما ان الجزء اليسير الذى يعرف كان خطأ .

ولما كنت فى أوروبا وقت قيام ثورة ١٩٣٠ فى البرازيل كانت الجرائد تنشر القليل من الأنباء التلغرافية عنها كما ان التعليقات التى كان يقوم بها بعض الكتب كانت خيالية وعلى غير أساس من معرفة وقد برهنوا على أنهم لا يفهمون معنى كلمة « ثورة » لعدم معرفتهم بعقلية تلك الشعوب الجديدة المجددة المبتكرة كما يجهلون ان قيام ثورة فى البرازيل أو فى أى من بلاد امريكا الجنوبية لها فوائد عظيمة جدا فى ذاتها وتعد خطوة جديدة هامة فى سبيل التقدم المادى والأدبى والاجتماعى لحفظ التوازن مع امريكا الوسطى وان الثورة هناك بمثابة الشىء الطبيعى الذى لا بد منه وان الطبقة أو الحزب الذى يقوم بثورة انما يرمى من وراء ذلك الى تغيير اداة الحكم القائمة وتطوير العقلية الشعبية نحو التهذيب السياسى والاجتماعى لسنين مقبلة .

كما وان من فوائدها تنبيه الشعوب الأوروبية والفات نظرها الى أن فى البرازيل أو غيرها شعبا حيا يثور ويبذل النفس والجهد فى سبيل الاصلاح لتحذو حذوها لتحقق عدالة اجتماعية تنتفى معها تلك النظريات المتطرفة التى تجعل من الفوارق الطبقية وانخفاض مستوى المعيشة أسبابا للفوضى والاضطراب .

ولكن أوروبا كانت غارقة فى لجة من مشاكل داخلية فيما بين بعض دولها وبين هذا البعض والمستعمرات التى ترزح تحت طغيانها غير عابئة بما يجرى حولها فى العالم الحر من نهضات تقدمية فى شتى النواحى .

فلهذه الأسباب مجتمعة أخذ مكتب الصحافة البرازيلية على عاتقه القيام بالدعاية للبرازيل خاصة وبلاد امريكا الجنوبية عامة لتبصير شعوب أوروبا بما يجرى فى العالم الجديد فصرنا نعقد الفصول الطوال فى الصحف الباريسية والاقليمية منها وغيرها كما صرنا نصدر نشرات فى أوروبا باسم البرازيل للدعاية للمدن الشهيرة كريودى جانيرو وجمال طبيعتها من أنهار وجبال وما أصابته من تقدم وعمران واز دهار الى غير ذلك مما لا يقع تحت حصر ، وهكذا نجح المكتب الجديد الى أن أشترته الحكومة منى .

لما غيرت جنسيتى ثم اسمى عام ١٩٣١

سبق أن قدمنا فى فصل سابق ان البرازيل كانت الى زمن هجرتى الأولى عام ١٩٢٥ تفتح أبوابها على مصاريعها لكل مهاجر من أنحاء المعمورة وان المهاجر قد يغير

اسمه الى اسم لاتينى بواسطة موظف الهجرة قبل أن تطأ قدمه أرض البلاد اذا كان يحمل اسما معقدا فى النطق أو الكتابة ، كما قلنا ان هذه الطريقة وهى طريقة تغيير الاسم عند القدوم الأول كانت تستعمل مع أولئك الذين يصلون وليس معهم الا اسمهم وحتى ذلك الاسم قد يراه موظف الهجرة لا يتفق ومزاجه فى لكتابة أو النطق فيعمد الى تغييره بآخر لاتينى هزءا وسخرية .. ثم يسلمه ورقة تحمل اسمه الجديد موقع عليه من الموظف المسئول عن الهجرة فيصبح كأنه اسمه الذى دخل البلاد به شرعا وقانونا فالمسألة نفسية ولا بد للقادم من قبوله هذا الوضع الذى ارتآه له أصحاب البلاد وما كان له أن يتخير أو أن يعارض فى هذه التسمية لأنه لا يملك حق نفسه حتى ولو اختير له رقم يحمله بدلا عن اسمه كأن يدعى مائة وثلاثة وسبعين — على سبيل المثال — فليس أمامه الا القبول شاكرا أو أن يعود أدراجه من حيث أتى.

وقد كان فى الامكان أن يحدث لى مثل ذلك الذى حدث لغيرى من جراء الظروف التى حضرت فيها من حيث العوز المادى وعدم وجود موطن لى ، ولكن معرفتى باللغات لأجنبية الأخرى كالانجليزية والفرنسية والايطالية كانت السبب فى عدم تطبيق القاعدة المتبعة على ، ولا سيما وان اسمى بالذات يحمل فى طياته معان لا تخطر ببال أحد ممن لا يعرفون لغة البلاد « البرتغالية » ولتوضيح ذلك أقول ان اسم « أحمد » لا يعنى شيئا ولكن حسن مطر تعنى الكثير من غير المألوف فى الأسماء فحسن Hassan عندما تقرأ بالبرتغالية تصبح Assan لأن حرف H صامت فى لغتهم وبتغيير الحرف الأخير الى R فقط تصبح Assar معناها « يشوى » اما مطر جميعها تعنى « يقتل » فاذا جمعت الاسم جميعه لأصبح «أحمد يشوى يقتل» فليس فى كل هذا التخريج ما يحمل موظف الهجرة لاتباع طريقته المألوفة ولكن الله سلم .

ولكن وبعد أن أمضيت خمس سنوات فى البرازيل وامتهنت الصحافة وبعد أن ألقيت سلاح الكفاح والجهاد وطلقت السياسة الشرقية ثلاثا ، ورغم كثرة معارفى وأصدقائى ومكانتى فى دوائر الصحافة منها أن أى رأى أبديه فى صحيفة سيارة مهما كانت أهميته ووجاهته لا يلقى القبول لعلمهم ان الكاتب أجنبى ولا يعتبر قوله ،

وهذا من أهم الأسباب التى حدت ببعض أصـــدقائى السياسيين من الصحفيين البراريلين الأصليين ان يختاروا لى هذا الاسم الذى حملته ستين عدة ، فقـد كنت يوما أجلس فى دائرة من الأصدقاء الصحفيين فقال أحدهم لماذا يا حـوانى لا يغير « مطر » اسمه ليصبح برازيليا ؟ فأمن الجميع على قوله ثم بدأوا فى تحير الأسـماء فقال أحدهم أنا أقترح أن يكون اسمه الأول « روبرتو » فصاحوا جميعهم هـذا جميل ، وقال آخر والاسم الثانى ؟ قال آخر « لويز » « روبرتو لويس » هذا ظريف وجرسه ألطف ، فلم يبق الا اسم العائلة ليلحقوه بى ، وهنا كثر اللغط بينهم وهم فى نشوة تخير لاسم وتعددت الأسماء فلم تلق القبول الاجماعى ، ثم طرأت لأحـدهم فكرة فوقف منتصبا وقال لماذا لا نلحقه باسم « باروس » الشـهير الذى كان يلقب « خطر على الحدود » فصاح الجميع هذا هو ــ أحسنت ــ هيج وهكذا أصبحت من تلك الساعة روبرتو لويس دى باروس ، وباروس هـذا الذى ألحقونى به كان ضابطا ثوريا جمهوريا اشتهر اسمه فى عهد حروب التحرير الأولى فى البرازيل وأصبح اسمه يلقى لهلع والذعر بين الأعداء فلقبوه « خطر على الحدود »

واحتفلنا بالاسم وشربنا الأنخاب بين كؤوس الشمبانيا ، وفى اليوم الثانى ذهبنا الى المحكمة وقررت استعمال الاسم كاسم مستعار للتوقيع فى الميدان الصحفى وانى مسئول عن أعمال « باروس » كما عن أعمال « مطر » وقبيل ذلك كنت قد قدمت طلبا للتجنس بالجنسية البرازيلية فمنحت لى دون كبير مشقة وبأقصر اجراءات وهكذا أصبحت برازيليا شكلا وموضوعا وفى كلتا الحـادثتين أفنى الزملاء فى نشر اسمى الجديد فى جميع الصحف البرازيلية وازجاء التهانى الرقيقة لاكتسابى الجنسية وقد كان سرورى لهذين الحدثين لا يعـادله سرور الا يوم أن وطئت قدمى أرض بلادى السودان فى عام ١٩٤٩ أى بعد أكثر من ربع القرن .

نهاية كفاحى السياسى

بارحت باريس وأخذت الباخرة من ميناء شربورج الى ريودى جانيرة وقـد استعرضت فى تلك الرحلة صحيفة أعمالى منذ تركت بلادى وما جره على النماسى فى المسائل السياسية عن غير وعى وفهم صحيح لهذا العالم وكان كل ما نلته فى الخطب

و لمحاضرات التى كنت ألقيها سواء فى قضية المغرب والأمين عبد الكريم أو فى أغراض الجمعية الشيوعية التى استخدمتنى لم يتعد التصفيق اينما حللت هـــذا زيادة على ما لاقيته من سجن وتشريد فى حادث السردار وما تلاه من حوادث فى تعقب الانجليز لى فى رحلتى الى غرب افريقيا وحيث بقيت بالباخرة أياما لا تقبلنى أى بلد للنزول فيـه فعولت أن اختط لنفسى خطة جديدة وان أستمتع من الحياة بتلك الناحية التى حرمت منها ... ناحية الحب والمرح والجمال .

فلما ان وصلت ريودى جانيرو بدأت فى كتابة مذكراتى بعد أن أسست مكتب الصحافة البرازيلى وتقدمت بطلبى للتجنس بالنسية البرازيلية فأجيب طلبى وأخذت أنشر مذكراتى وقد كتبت أربعين مقالا تحت عنوان «البرازيلى الجديد» وكان مقالى الأول « لماذا تركت السياسة » هو فاتحة تلك المذكرات التى استعرضت فيها تاريخ حياتى منذ الصغر وقد لقيت اقبالا عظيما من الجمهور .

وفى أثناء ذلك صرت أغشى الأندية الليليـــة مع زملائى من الصحفيين وعرفت طريقى الى لمجتمعات الراقية فى المدينة فلا يقام حفل أو اجتماع الا وأكون من أبرز المدعوين اليه وهكذا نفضت عن نفسى مخلفات السنين الماضية من تلك الحياة العلمية التى أخذت نفسى بها من تزمت وجدية تكشفت عن لا طائل تحتها غير الشقاء والحرمان مما يعم به العيز وخصوصا لمن كان فى سنى وشبابى .

حياة المرح ـ التحول من القيام بالمهمات السياسية الى التحكيم فى مسابقات الجمال

وكان من اثر تلك الحياة المرحة التى كنت أحيـــاها فى تلك الفترة ومكانتى الاجتماعية بين القوم أن عرضت على صحيفة « أنويتى Anoite » ومعناها «المساء» أن أمثلها فى أوروبا ولأشرف على انتخاب أكبر حسناوات البـلاد الأخرى ودعوتهن للبرازيل فى مسابقة جمال لانتخاب « ملكة جمال العالم » تنظمها تلك الصحيفة التى أفردت لها مبلغا ضخما من المال ، وكان على أن أسـافر أولا الى باريس للاجتمـاع بالشخص لذى أوكلت اليه الصحيفة أن يقوم بهذا الاختيار وأرقب عمله نيابة عنها

وعند النهاية أعمل على سفر ملكات الجمال الى البرازيل فى رفقة أشخاص من ذويهن ثم أتبعهن الى هناك .

وقد راقت لى هذه المهنة فحزمت متاعى واخذت الباخرة الى باريس وهنـاك بدأت والعميل الفرنسى وهو الصحفى الشهير موريس ديفالف فى مزاولة عملنا فكان عليه أن يعلن فى الصحف عن هذه المسابقة ويحدد موعدا ومكانا فى احد الاماكن التى تختارها ليتقدمن المتباريات للوقوف امام لجنة من المحكمين لاختيار الفتاة التى تمثل بلدها وكانت تشكل تلك اللجنة من بين الكتاب والمصورين والمثالين والممثلين والصحفيين ومن على شاكلتهم من رجال الفن وبهذه الطريقة انتخبت «ملكة جمال فرنسا» من بنات باريس كما انتخبت من بين بنات الجالية اللبنانية فى باريس «ملكة جمال لبنان» وكانت الآنسه ليلى الزغبى كريمة السيد حبيب الزغبى التاجر فى باريس وهكذا تجولت فى تأدية المهمة بين بروكسـل وامستردام ـ جنيف ـ مدريد ـ لسبون ، ورفضت انجلترا وايطاليا ، ولم أتمكن من السفر الى آثينا فى اليونان فعولنا ان تتخذ معها نفس الطريقة «مس لبنان» اى من بين فتيات الجالية اليونانية فى باريس وعندما تم اختيار المتباريات عملت على سفرهن ومرافقتهن على احدى البواخر الى ريو على حساب الصحيفة وبقيت خلفهن أياما لتصفية الأعمال مع العميل ثم لحقت بهن الى هناك لحضور المسابقة وقد حضرت ممثلات عن جميع ولايات أمريكا الجنوبية الاثنين والعشرين بما فيها البرازيل نفسها وبعض ولايات امريكا الشمالية .

هكذا شربت من كأس «الجمال» حتى الثماله ، وقد فاتنى أن أذكر أن من بين الأعمال التى كنت أقوم بها من تلقاء نفسى لأشبع رغبة « الفن » هو تقديم المتباريات واحدة واحدة أمام المحكمين فى القاعة الكبرى بينما تجلس باقى المتقدمات فى غرفة أخرى وكلهن فى أبهى ثيابهن فآخذ بيد الواحدة منهن فى تمهل وخطو رفيق من الغرفة التى كن بها حتى مائدة المحكمين فأمر بها عليهم مقبلة مدبرة ثم أرفع عن الساق ثم أعود بها للغرفة لآخذ غيرها وهكذا دواليك الى ينتهى العرض ، وهكذا أيضا أبدلت خطاباتى على المذبر ومحاضرتى عن الاستعمار ومآسيه بهذه المسرحية الخفيفة من الفن الرفيع .

وعندما لتأم عدد المباريات من كل البلاد أقيم الحفل النهائى للمسابقة وكان عدد المحكمين كبيرا بينهم الكثيرات من السيدات وكان على كل من مندوبى الصحيفه فى الجهات المختلفه أن يقدم محصوله أمام الجماهير الغفيرة التى أكتظ بها المكان فكنت أمثل اروبا بأن أعلن أسم الفتاة والبلد التى تمثلها وهكذا بمثابة أستعراض عام لاستمتاع الجماهير ، ثم يبدأ المحكمون فى استبعاد أسماء الفشلات واحدة و حدة الى أن يصلوا التصفية النهائية ويتفقوا على « ملكة جمال العالم » من بين الاثنتين الاخرتين فتحمل النقب وتلبس التاج على رأسها وقد يشوق القرىء طبعا أن يعرف النتيجة لهذه المسابقة ولكنه لو أمعن الفكر قليلا وسأل نفسه لماذا تقيم تلك الصحيفة البرازيلية هذه المسابقة وما الدافع اليها وما هو الكسب الذى يعود عليها خاصة والقطر البرازيلى عامة وقد صرفت من مواردها مبالغ ضخمة فى أنجاح الفكرة لبرزت اليه الاجابة واضحة أن الغـــرض « الدعاية » والدعاية ليس الا ... ولاستكمال الصورة نقول أن الدعاية قصد بها أسم البلاد أولا وثانيا أسم المدينة البرازيلية التى كانت هى الهدف المقصود من أقامة المسابقة لاسباب داخلية بحته وكانت النتيجة أن أعلن المحكمون فوز « ملكة جمال بورتو اليجرى » بلقب ملكة جمال العالم وبورتو اليجرى هى عاصمة احدى ولايات البرازيل الجنوبية وبلد رئيس الجمهورية السابق جيتو ليوفارغاس .

وهكذا أنتهت تلك المؤامرة الصحفيه وعادت الحسناوات الى بلادهن يجررن أذيال الخيبة والفشل وفى نفس كل منهن حسرة ولكن ما لقيه من حفاوة واستقبالات رائعة وما شاهدنه من معالم تلك البلاد العظيمة وعلى رأسها تلك الرحلة البحرية من والى البرازيل فى ذلك الوقت وكانت تعد من أمتع الرحلات بالبواخر وقد تستغرق من ١٢ ــ ١٤ يوم قد يخفف عليهن وقع صدمة الفشل فى المسابقة كما أن الفتيات المتسابقات سيحملن الى بلادهن بروح رياضية ــ دعاية لتلك البلاد لا تقدر بقيمة .

زيارة البرنس أوف ويلز عام ١٩٣١ للبرازيل

وفى اكتوبر عام ١٩٣١ زار سمو برنس أوف ويلز وأخـوه لبرنس جـورج (الملك السابق) البرازيل وحلا فى ضيافة الحكومة البرازيلية فى فندق كوباكابانـا الشهير وقد أشارت وزارة الخارجيـة على الصـحفيين أن لايزعجـوا سموه والح

السمومى للفندق ولكن البوليس السرى حال بينهم ودخول الفندق وقد كنت بينهم فطرأت على فكرة أسرعت فى تنفيذها فى الحال ، عدت الى منزلى وابدلت ملابسى ولبست ثياب السهرة الاسموكنج وعدت ودخلت من الباب الخلفى للفندق ثم الى المطبخ ـ وعادة يوجد بين المطبخ وبين الجناح باب يفضى الى ممر وأمام هـذا باب غرفة الاكل ثم باب الى صالون الجلوس وغرفه النوم ـ فسألت أحد السفرجية أين الباب الى جناح سمو البرنس فأشار بيده وسرعان ما أقتحمته فاذا بى أمام باب آخر وآخر حتى وجدتنى وجها لوجه مع سموه وأخيه وبعض الزوار فما كان منى الا أن أنحنيت بالتحية ثم توجهت الى موضع جلوسه واسررت اليه أن عـددا كبيرا من الصحفيين ينتظر سموه فقال فليدخلوا ، فأجبته بأن البوليس يمنعهم ما لم تتكرم سموك باصدار الامر ليسمح لهم ، فقال تعال معى نذهب سويا فاخترقنا غرفة الطعام العامة وكانت غاصة بالناس فما أن رأوا البرنس حتى التبس القوم وأحنت الرؤوس ووقف البعض لحتراما ونزلنا السلالم الى الشارع وظهرت بجانب البرنس وناديهم هيا تفضلوا فدخلوا وقضوا معه وقتا ثم أخذنا صورا مع سموه وكان لهذه المغامرة الجريئة صداها فى الصحف ووصفتنى بعضها بأعظم رائد صحفى عرفتـه البرازيل ، وهكذا اسقط فى ايدى وزارة الخارجية وبوليسها السرى .

الراقصة استر الصغيرة

وما أن انتهت عقابيل المسابقة ودعايتها حتى كنت قد فكرت فى استقدام الراقصة الزنجيـة استر الصـغيرة وقد كنت قـد تعرفت عليهـا فى باريس ورأيت اقبال الشعب الباريسى عليها فأخذت فى مفاوضة مدير أعمالها وهـو فى نفس الوقت عمها بعمل استعراضات راقصة وأغانى فى العاصمة والبلاد البرازيلية الشماليةفنجحت المسومة وحضرت استر الصغيرة وقامت باستعراضاتها فى ريو فلاقت نجاحا باهرا وقد كنت أقوم بالدعاية لها فى الصحف وبالنشرات اليومية ثم طفت بهـا مدن البرازيل الشمالية : فكتوريا ـ باهيا ـ برنامبوكو ـ فورتاليزا ـ سنت لويس دى مارانو ـ

نلم ــ ومانوس ، وقد استغرقت تلك الرحلة ستة أشهر كان صافى ايرادى من هـذه المغامرة ٤٠٠ جنيه بعد كل المصروفات من مأكل ومشرب ومسكن بالفنـادق وأجور قطارات وسيارات وغير ذلك .

وهكذا قضيت نصف عام ١٩٣١ الأخير فى حياة صاخبة ومرح ، أنام بالنهـار وأعمل بالليل الى الهزيع الأخير منه كما قضيت النصف الأول منه فى خدمة مسـابقة الجمل فكان العام وقد انقضى دون أن أحسه حافزا لى على القيام بمغامرة أخرى بعد أن نهلت عبا من حياة الشرب والموسيقى والرقص .

زعيمة القرصان التى اصطادتنى عام ١٩٣٢

وبمطلع عام ١٩٣٢ أخذت الباخرة « كامبانا » الى جنوا ومنها الى مرسيليا والى منزل صديقى صدق فمكثت أياما ثم فكرت فى رحلة الى الشرق الأقصى فذهبت الى رئاسة شركة المساجيرو ماريتيم وهى شركة الملاحة البحرية المشهورة وعرضت عليهم منحى امتيازا فى رحلة احدى بواخر الشركة الى طوكيو مقابل القيام بالدعاية للشركة فى رحلتى الصحفية التى اعتزمتهاوافقت الشركة على أن أدفع مايوزى أجر السفر بالدرجة الثالثة على أن يخصصونى بمرفة لوكس على يمين القبطان (أى موضع الشرف) وهكذا وقعت فى الخطوة الأولى ، أقلعت بنا الباخرة وكانت جيبوتى أول ميناء تقف به ومنها الى كولومبو وسنغافورة فشنغهاى وكانت الباخرة ترسو بضع ساعات فى هذه الموانىء فيزل الركاب الى المدينة لمشاهدة معالمها وأسواقها كما يفعل السـائح فى مثل هذه الحالات وشراء ما يروق له من مصنوعات تلك البلاد الى أن وصلنا الى شنغهاى التى حذرنى زملائى الصحفيون من لصوصها ومحتاليها فقد كان لهذا البلد الجميل أسوأ سمعة فى هذه الناحية وفيها تحد جميع شعوب العالم لكنها كانت مركزا مهما للتهريب وأعمال القرصنة والنصوص وقطاع الطرق وقد حدث اثناء نزولى من الباخرة أن لمحت فتاة على جانب عظيم من الجمال والاناقة تسير بجانبى وتحادثنى النظرات فلم أعرها اهتماما بادىء ذى بدء ولما وصلت الى الفندق حيث نزلت وبينما كنت أعطى البيانات عن شخصيتى لرصدها فى سجل الفندق رأيتهـا للمرة الثانية

A REPERCUSSÃO DO MOVIMENTO REVOLUCIONARIO NO EXTERIOR

O sr A H Mattar, director do "Bureau Brésilien", de Paris, fala sobre o que realizou junto á imprensa franceza em prol da revolução

RIO, 6 (Da sucursal do DIARIO DE S. PAULO) — Pelo telephone — Afim de ampliar os serviços do "Bureau Brésilien", que mantém em Paris e succursal em Nice, de que é director, acaba de chegar ao Rio, a bordo do "Cajaba" o jornalista e propagandista brasileiro, Abrahão Hanna Mattar. Occupando-se essa empresa de assumptos brasileiros, os ultimos acontecimentos aqui desenrolados [illegible] attenção. Faleceu-nos as suas vindas de ligação até as redacções do "New-York Herald" do "Paris Presse", do "L'Echo" do "L'Echaleur", de Nice, do "Les Petit Marseillais" da "Revue du Liban", da "Tribune d'Orient" do "Al-Ahrad" e de outras publicações [illegible] organização jornalistica [illegible] ser á imprensa carioca um serviço de informações tão preciso quanto permittia a confusão lançada na estrangeira pelos communistas e tendencioso do governo deposto.

A chegada do sr Mattar permitte-nos conhecer detalhes interessantes do noticiario, publicado na Europa sobre a Revolução Brasileira. Esse nosso contrade mostrou-nos recortes constantes de seu dossier, pelos quaes observamos que diversos jornaes estrangeiros, fugindo á regra geral, teceram commentarios [illegible] aos seus leitores noticias, nas quaes os nomes dos nossos politicos e dos estadistas mais reaes do territorio [illegible] não apparecem tristemente. Vimos, por exemplo, referencias aos srs. Getulio Vargas, Julio Prestes, Flores [illegible], Juarez Tavora, Affranio de Mello Franco, Miguel [illegible] e outros [illegible] com as explicações [illegible] sobre as suas vidas e de [illegible] nhum delles apparece como [illegible] ou argentino.

DECLARAÇÕES DO SR. MATTAR

— "Aproveitando a opportunidade da minha viagem ao Brasil procurarei entrar em contacto com os interessados na propaganda do turismo, dando-lhes pequenas suggestões sobre a melhor forma de tornar conhecidas as bellezas naturaes do paiz, as ferrovias e rodovias, os rios navegados, as linhas aereas e muitos outros elementos [illegible] para o forasteiro.

Para [illegible] a necessidade de dar [illegible] á vida pratica e [illegible] para [illegible] a paz de Jorge ainda mais [illegible]. O intercambio com o [illegible] poderá ser feito uma realidade [illegible] Vou [illegible] Office National de Tourisme", da França, ficando combinado ainda uma numerosa delegação composta de jornalistas

جريدة دياريو دى سان باولو

تتكلم عن الدعاية التى قام بها المؤلف للثورة فى البرازيل

13/2/1930

عدد ١٢٧٨

— وصل هذه العاصمة قادما من باريس حضرة الاديب احمد افندي [illegible] رئيس مكتب [illegible] في العاصمة الافرنسية

وقد قرأنا في الصحف الوطنية ما ادلى به من الاقوال عن رأي الصحف الاجنبية في الانقلاب السياسي في هذه البلاد . وما كان له من التأثير في المقالات الرسمية واثنت على الاديب ما نشره وما اذاعه عن البرازيل وقد تفضل بزيارة هذه الجريدة

نثني الثناء الطيب على عمل الاديب [illegible] الاقامة

ينفصح عن فحـــــــواه .

Revista da Semana
12-1-35 2

No Casino San Estefano de Alexandria

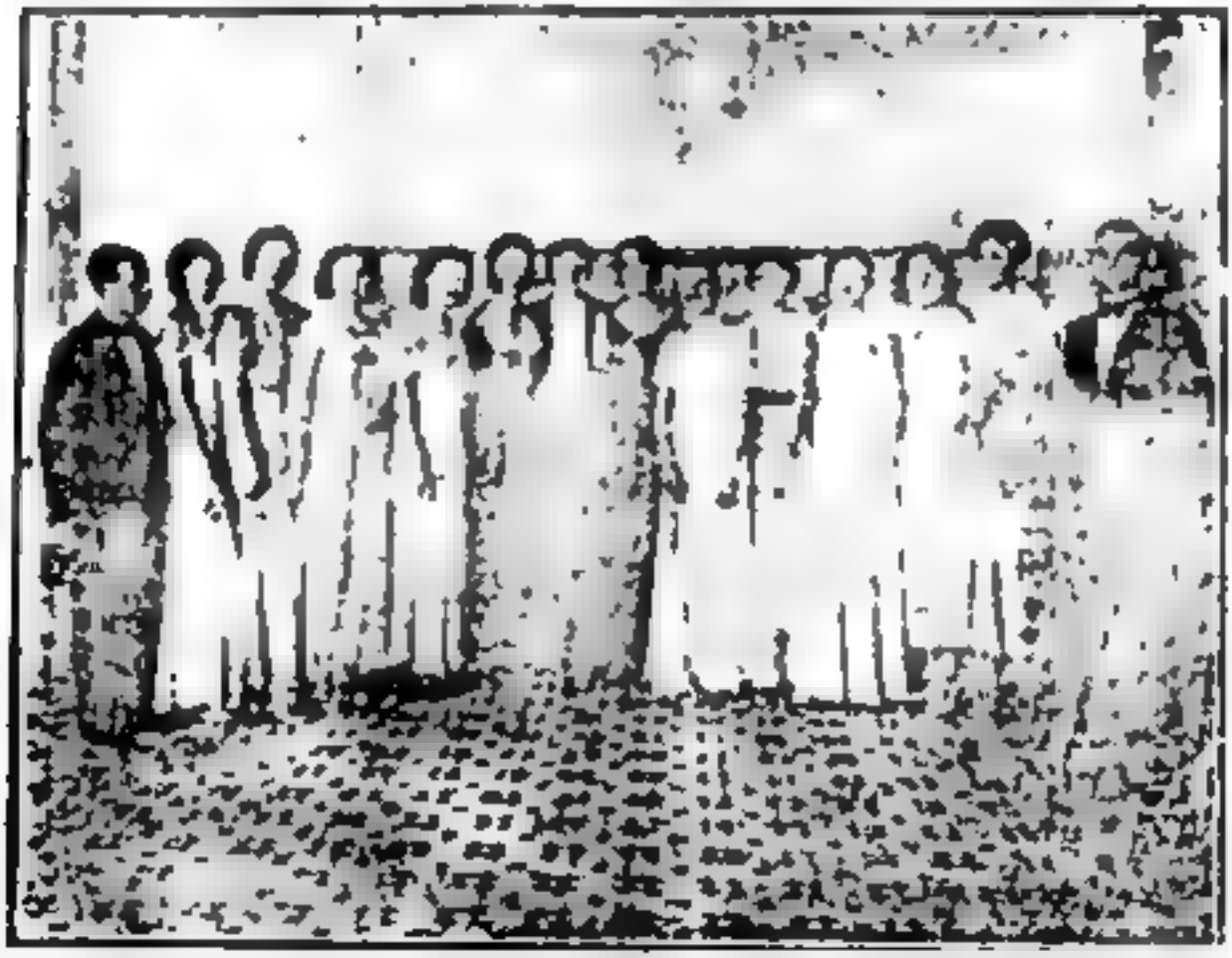

[illegible]

مسابقة جمال في الاسكندرية
عن كان المؤلف حكما فيها

ittle Esther

TO, [illegible] DA
BUA [illegible] A IMPRENSA LOCAL [illegible] E UM FENOMENO DE PRECOCIDADE

وهذه الممثلة الشهيرة

O conflicto peruvio-colombiano - Incidente nas fronteira do Brasil -- O bombardeo aereo de uma lancha brasileira -- A morte de um pescado amazonense - Reportagem de Roberto L. de Barros, especial para VANGUARD

[illegible]

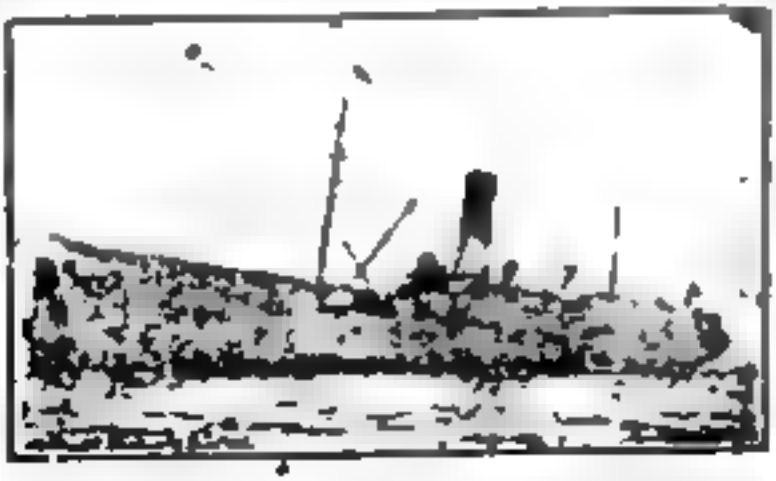

[illegible]

[illegible]

Incidentes

[illegible]

[illegible]

Falleceu a nadadora Litzig, quando tentava bater um record mundial

O conflicto peruvio-colombiano -

A guerra de Leticia nasceu de um caso pessoal?

...mo foi este territorio vendido a Colombia - Por que o governo Sanchez ...rro apoiou as reivindicações das populações peruanas de Leticia

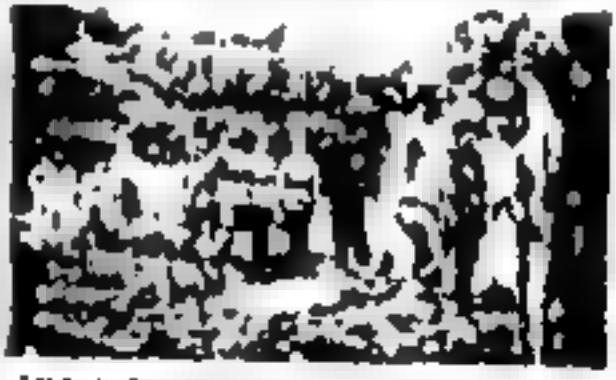

O CONFLICTO PERU VIO-COLOMBIANO

بالقرب منى وكأنها تهتم بى فبدت المخاوف تساورنى من جهتها فنهضت صعدت الى غرفتى أبدلت ملابسى وعدت لأتناول طعامى انفردت فى جانب الصالون على مائدة صغيرة وبعد فترة قصيرة حانت منى التفاتة لأتصفح وجوه الرواد فى غرفة المائدةفوقع بصرى عليها للمرة الثالثة فى يوم واحد وهى على مقربة منى فأخذتنى رعدة سرت فى أوصالى وأيقنت أن ذلك لم يحدث بمحض المصادفة وبينما كنت فى دخيلة نفسى أتساءل عمن تكون هذه الفتاة وما غرضها منى أعود فأطمئن نفسى على انها المصادفة فقط وأن الفكرة السيئة التى سيطرت على عقلى عن المدينة هى التى جعلتنى فريسة لهذه الهواجس أو أن الفتاة تريد بى شرا فنظرت اليها فبادلتها النظرة كمن يرمى بالقفاز فى وجه الخصم وانفرجت أساريرى لها فما عتمت أن نهضت من مائدتها ومشت صوبى وسلمت فرددت التحية . وأشرت لها على المقعد فجلست أمامى ، فناديت الخادم ليقدم لها مشروبا ـ شمبانيا ـ ويسكى الخ ... فقالت لا ، قهوة فقط ، فحمدت الله على هذه الخطوة وقد كان يودى أن أعرف عنها شيئا مهما كان لثمن الذى أدفعه فى سبيل ذلك ، فقالت انت صحفى قلت نعم ، ومن أين عرفت ذلك ؟ قلت من قائمة ركاب الباخرة التى وصلت فيها اليوم وقد كنت هناك ، ألم ترنى ؟ قلت رأيتك . ثم قالت أين تريد أن تقضى السهرة اليوم ؟ قلت فى السينما . قالت أتأخذنى معك ؟ وأنا أدفع عن مقعدى ؟ قلت لا مانع ، ذهبنا الى السينما وقضينا وقتا ممتعا وبعد أن خرجنا من السينما وعدنا الى الفندق صارحتها بأنى صحفى فقير وقد تظننى غنيا أوفر لها بعض أنواع المتعة ، اما وجودى فى الباخرة فى الغرفة الفاخرة فلها قصة يعرفها القبطان ، وان ما بجيبى لا يتعدى ما قيمته مائة جنيه ، وسرعان ما وضح تأثير كلماتى سريعا فى وجهها ولكنها تمالكت نفسها وقالت فى مرارة ، عرفت ذلك انه حظى ، ومع ذلك فلن أتركك ، وهكذا اقتسمنا الغرفة تلك الليلة وتركت لى الأجرة على المائدة فى الصباح ثم عادت فى الظهر وعرفتنى انها بكرت فى الخروج لتزور شقيقتها ثم قضت بقية اليوم فى صحبتى واختفت فى المساء ونامت خارج الفندق ثم عادت لتقول انها كانت عند اختها أيضا .

وهكذا استمرت صداقتنا نحو الأسبوع وفى آخر يوم وكانت قد قامت عنى فى الليل حرجت صحف الصباح فى شنغهاى تحمل صورتها فى أعجب وضع وأخلقه بأسباب الاثارة كانت تحمل مسدسين وتدير زورقا بخاريا وأمامها تسعة عشر رجلا من القرصان الأشرار الذين يعيثون فسادا فى مياه النهر الأصفر ، وكتبت الصحف على رأس الصورة عبارات تحمل هذه المعنى : القبض على زعيمة القراصنة .. معركة الساحل .. جرأة منقطعة النظير لامرأة مغامرة .. ودارت بى الأرض ، وكدت أسقط من هول المفاجأة ، ولكنى رغم ذلك كنت قد ألفت اليها فاستعنت بمواهبى الصحفية حتى استطعت أن أزورها فى مركز البوليس تحت الحراسة ، فقابلتنى مقابلة جافة كلها ازدراء وغضب وحاولت طردى ، كانت كنمرة مفترسة ، ثم هدأت وبكت بكاء حارا وعادت المرأة ذات قلب ، حدثتنى عن ماضيها فقالت ان أباها كان زعيم القراصنة ، وكانت تصحبه فى أغلب غزواته وتدربت على استعمال مختلف الأسلحة حتى أصبحت تجيد الرماية وهى مغمضة العينين ، وحدث أن مات أبوها واختلف أتباعه ثم انتهوا الى منحها الزعامة .

وتفننت فى أعمالها فكانت توجه صغار الأولاد الى أعمال النشل بعد تدريبهم جيدا والكبار الى أعمال النهب ، كما استعانت هى بجمالها فى سلب كبار ركاب البواخر الذين يصلون الى المدينة ، فهى تعرف عند وصول البواخر ركاب الضمرات الفاخرة فتختار من بينهم من تتوسم فيه أن يكون صيدا دسما فتتعرف عليه وتوقعه فى حبائلها ثم تستولى على أمواله طوعا أو كرها .. وانها سقطت فى أيدى البوليس اثر معركة نتيجة لخيانة أحد أتباعها .

وعند سماعى قصتها المؤلمة تأثرت كثيرا لخاتمتها السيئة وودعتها وانصرفت ، وبعد سنوات من تلك الرحلة وأثناء وجودى فى شيلى فى امريكا تعرفت على أمريكى كان فى شنغهاى مدة طويلة وسألته عن المغامرة « سكاى » فقال انها تزوجت من مهرب أسلحة روسى وتركت القرصنة .

أخذت الباخرة الى طوكيو وهناك حاولت جاهدا فى مقابلة الامبراطور ولكن فشلت كل الفشل ثم عدت الى سان فرنسسكو عن طريق هونولولو .. منها الى البرازيل .

الفصل الرابع

حرب الشاكو ـ بين بوليفيا وباراجواى

« الشاكو » هى عبارة عن قطعة أرض صحراء جرداء لا ماء فيها ولا شجر تقع بين جمهوريتى بوليفيا وباراجواى تنازعت الدولتان تبعيتها ولما لم تسلم احداهما للأخرى قامت بينهما حرب ضروس أتت على الأخضر واليابس .

تركت مدينة ريو فى شهر ديسمبر ١٩٣٢ منتدبا عن الصحف البرازيلية لموافاتها بأخبار الحرب وكان يرافقنى أحد الزملاء : رايموندو متاليائس جونيور فوصلنا بعد ٧ أيام مدينة اسمبسيون عاصمة البراجواى وهى مدينة صغيرة بالنسبة لبقية العواصم التى شاهدتها ورأيت الحركة فيها على أشدها وأغلبية الشعب بالملابس العسكرية فيتراءى للزائر انه فى احدى ثكنات الجيش ، وليس فى العاصمة ..وبها دور الحكومة المهمة وقصر الرئاسة وبعض التماثيل والقليل من شوارعها مرصوفة بالأسفلت ولكن نظرا لوجود الكثير من الأسرى بها فقد استخدمتهم الحكومة للخدمات العامة كالمياه والنور والشوارع وغير ذلك مقابل القوت اليومى وهم طليقو الحرية ،وجدت الحزن والأسى مخيمين على البلد ولكن قبيل عيد الميلاد ظهرت ألعاب الأطفال فى الأسواق وجميعها تحمل الطابع العسكرى فبعضها يمثل انتصار باراجواى والبعض الآخر يمثل انهيار بوليفيا وهناك قوط ومناديل رسمت عليها « الشاكو » وعليها أعلام البراجواى كما ان هناك كثيرا من الهدايا كتب عليها « الى زوجى الشجاع » أو « الى أخى المقدام » أو «الى أبى البطل فى خنادق الشاكو دفاعا عنى أو عن الوطن» وغير ذلك مما يثير الحماس تقدمت بطلبى لوزارة الحربية للسماح لى بمشاهدة ميدان القتال مدعما «بأوراق اعتماد » جرائدى المختومة من مفوضيتهم فى الريودى جانيرو فحصلت على الاذن وأقلتنى طائرة حربية الى قلعة فورتين وهناك أحسست بوحشة المكان وشعرت بما يلاقيه المحاربون ومنها قطعت سيرا على الأقدام نحو ثلاثة كيلو مترات لمقابلة الجنرال القائد العام للقوات ، وقد أخذ منى التعب مأخذه واتسخت ملابسى من الغبار وكانت ترافقنى سيدة تبلغ من العمر ٢٣ عاما تقريبا هيفاء شاركتنى

هذه الرحله المصنية فأشفقت عليها وكلمتها بالاسبانية سائلا مادا حملها على ركوب هذا المركب فأجابت بأنها مراسلة لاحدى الجرائد ولربما أرادت رغم الواقع أن تظهر شجاعتها فقالت « هذا شيء بسيط » وعلمت انها المس ادى وليمز مراسلة احـــدى جرائد نيويورك ولكن ذاع الخبر أخيرا انها بائعة ذخيرة وأسلحة موفدة من احدى الشركات .

وقد قابلت القائد العام فوجدته رجلا رقيقا نابها هادئا للغاية وتحادثت معه مدة ساعة وتغديت غداء كله من العلب المحفوظة ثم قال لى أننا لا نريد الحـــرب ولكننا مجبرون للدفاع عن شرفنا الوطنى فلما استأذنته فى الوصول الى خطـــوط النـــار استكتبونى تعهدا بتحمل المسئولية على عاتقى فى حالة جرحى أو قتلى على أن يرسل ذلك التعهد لجريدتى .

وقد زرت احدى مستشفيات ميدان القتال فلم أتمالك نفسى من البكاء عنـــد مشاهدتى الجنود المشوهين الذين لم يعودوا يصلحون لأى عمـــل ما ، ورأيت كوما من الأيدى والأرجل والأصابع كما رأيت بعينى ضحايا العطش ففى كارمن وحـــدها لقى ١٦٠٠ بوليفى حتفهم من الظمأ لتأخر وصول قناطيل الماء عنهم ، وقد صرح لى أحد الذين تحادثت معهم من العساكر « ان عدونا الوحيـــد هو العطش » وليس فى الشاكو نهر واحد بل تحفر الآبار وتنقل الميـــاه الى مسافات بعدة نحو ٦٠ كيلو مترا بالعربات أو على ظهور البغال على أن يخصص للعســـكرى ٢٠ جراما اذا توفر الماء وكثيرا ما حدث ان المحاربين عندما ينقطع الماء يعمدون الى شرب بولهم ويخلطـــونه بالشاى ووضع السكر عليه وهذا من أغرب ما سمعت ورأيت .

وفى اليوم الثالث وقبل عودتى من الميدان جاء قس الى قلعة « لوس فيلبس » وقام على منضدة من الخشب تحت ظل شجرة كبيرة وصلى بالأسرى وواسى الجرحى وكان عدد الحضور أكثر من ٢٥٠٠ بكوا عند سماعهم أخبار الوطن والســـلم الذى ينشدونه وسكت الجميع دقيقة واحدة لذكرى من مات فما نزل القسيس حتى انهالوا عليه سلاما وتوسلا ، وسألتهم قبيل عودتى «مادا تريدون» فقالوا بصوت واحـــد جهورى « السلام » فوعدتهم بتبليغ صوتهم الى العالم ، وفعلت .

ثم قفلت راجعا الى العاصمة ومنها الى ريودى جانيرو وأنا مثقل النفس بما شاهدت من « ظلم الانسان لأخيه الانسان » ومن هذه المدينة المشوم أخذت أسائل نفسى السؤال المؤلم « اذا كنا نحن بنى الانسان نؤسس الجمعيات لحماية الحيوان والرفق به ، أفليس الأجدر بنا أن نؤسس لانفسنا ما يحمينا ويحمى اخواننا فى الانسانية من الحروب والويلات والدمار الذى تخلفه » .

الحرب الثانية بين كولومبيا والبيرو
التنازع على مدينة ليتيسيا

وبعد وصولى الى ريودى جانيرو من « الشاكو » ولما انفض عنى غبار السفر حتى قررت السفر الى الحرب الثانية التى يشتعل أوارها بين جمهوريتى كولومبيا والبيرو وبالمثل فان سبب الحرب كان نزاعا هذه المرة على مدينة صغيرة تقع على الحدود بين الولايتين كما تبعد نحو ٦٠٠ متر فقط من حدود البرازيل التى تتاخم الجمهوريتين أيضا .

ومسألة الحدود بين كولومبيا والبيرو لم تكن حديثة العهد ولكنها كانت قد ظهرت قبل عدة سنوات من ذلك الوقت وانتهت بمعاهدة وقعت فى سنة ١٩٢٢ وصادق عليها البرلمان البيروانى وحكومتا البلدين وقد بدأت لجنة مشتركة من الجانبين فى مسح الأرض وتخطيط الحدود ثم سجلت هذه المعاهدة لدى عصبة الأمم فى مايو سنة ١٩٢٩ .

وكانت مدينة ليتيسيا التى دار حولها النزاع تتبع البيرو رغم انها كانت تقع على الضفة الشرقية من رافد الامزون المسمى « سليمونس » أى جانب كولومبيا ولكن تخطيط الحدود الذى عمل اتبعها لكولومبيا ، والظاهر ان البيرو رغم الاتفاقية التى تمت وسجلت بعصبة الأمم لا زالت غير مقتنعة ، فلجأت الى قوة السلاح ، خرقا للمعاهدة ، ونظرا لأن البرازيل تتاخم كلتا الولايتين المتحاربتين وان نهر الأمزون الذى يجرى معظمه فى البرازيل ثم تخرج منه الفروع التى تجرى فى كولومبيا والبيرو فقد

كان دورها كدولة محايدة شاقا جدا فعليها تقع تبعه مراقبة مياه الأمزون الاقليمية التى تجتازها بواخر الدولتين المتحاربتين كما أنها وضعت حاميات كبيرة على طول حدودها المشتركة لتمنع التسلل من الناحيتين حفاظا على حيادها التام .

وقد جعلت منطقة ليتيسيا المتنازع عليها منطقة حرام تحرسها لجنة عصبة الأمم تتخذ مقرها فى باخرة حربية على ضفة فرع نهر الأمزون المواجه لها .

فى مجاهل الامازون

بارحت ريودى جانيرو بالباخرة الى مدينة بلم وقطعنا المسافة فى ثمانيـة أيام وهى تقع على الاطلنطى عند مدخل الأمزون ثم ركبنا باخرة نهرية الى مدينة «مناوس» عاصمة ولاية الأمزون التابعة الى البرازيل ووصلنا بعد سبعة أيام وبعد أن أقمت أياما فيها كان على أن أستقل باخرة حربية كولومبية من مكان معين فاصطحبت معى فى قارب مرشدا ومساعدا ورفيقا لبنانيا اسمه جوزى أى يوسف ويجدر بى قبل أن أقص قصة الحرب أن أذكر حكاية جوزى الذى أصبح زعيما لجماعة من الهنود الحمر .

مع الهنود الحمر فى مجاهل الامازون

كان ذلك عام ١٩٣٣ وأثناء سفرى فى مجاهل « الأمزون » فى رفقة زميل لبنانى يدعى يوسف أى « جوزى » حينما نزلنا من الزورق لنأكل شيئا فى أطراف الغـابة ، واستأذن زميلى ليقضى حاجة له فى الغابة ومرت دقائق وساعة وساعتين وزميلى اللبنانى اللبنانى لم يظهر له أثر ، وقد بح صوتى من المناداة باسمه وداهمنى العروب ، وبدأت طلائع الناموس فى الجو .. والناموس فى مجاهل الأمزون يدفق بالملايين فى الغروب ، ولا تستطيع أن تسير أو تأكل الا وتضع رأسك داخل ناموسية وتركت زميلى وذهبت ومرت الأيام ولا خبر لزميلى .

وفى عام ١٩٤٥ ذهبت فى زيارة أخرى لمجـاهل « الأمزون » وجلست فى نفس المكان الذى كنا نجلس فيه عام ١٩٣٣ انا وزميلى اللبنانى وبعد فترة دخلت الغـابة

وفجأة أحاط بى الهنود الحمر من كل صوب والحراب والأقواس فى أيديهم وأخذونى الى رئيسهم الذى طلب منهم اخلاء سبيلى وطلب منى أن أتبعه وسرت وراءه حتى آخر « كوخ » والتى جعل منها رئيس القبيلة حجرة للنوم وطلب منى الجلوس ثم أخرج غطاء رأسه ، فاذا به لعجبى الشديد زميلى اللبنانى الذى اختفى منى فى عام ١٩٣٣ ، وصرخت صرخة شديدة وأنا أندفع نحوه ، ولكنه اسكتنى ، ثم قص على كيف انه ذهب لقضاء حاجة له فى الغابة وكيف قبض عليه الهنود الحمر ثم أخذه الى رئيسهم الذى أمر بقتله لولا ان تشفعت له بنت الرئيس وطلبت من والدها أن يتركه ليعمل وسطهم مادام لم يأت بعمل يستحق عليه القتل .

وبدأ يعمل وسط الهنود الحمر ، وأحب الفتاة فتزوجها وبمرور الزمن مات رئيس القبيلة ، وبحكم قانون القبيلة فان وراثة الرئيس أسندت اليه وزوجته ،وأصبح رئيسا للقبيلة وعلمت منه إنه قد وجههم لاستخراج المطاط مما عاد على القبيلة بالثراء العريض فأصبح محبوبا بينهم .

تركت «جوزى» وذهبت الى المكان المتفق عليه ولوحت بالبطارية للباخرة فى عرض النهر فهدأت آلاتها ثم وقفت وجاء ضابط فأخبرته باسمى ومهمتى .

الى ميدان القتال

وركبت الباخرة الحربية « مسكيرا » بصفة خاصة كصحفى وهى باخرة تابعة لحكومة كولومبيا كانت تحمل جنودا ومعدات حربية الى بورت آرثر التى تبعد مسافة أيام بالباخرة من « ابيرانجا » البرازيلية التى تقع على الحدود الكولومبية .

وكانت بالباخرة قوة كبيرة على رأسها جنرال كولومبى وبين هذه المجموعة الكبيرة وجدت برازيليين من موظفى الباخرة أحدهما عامل اللاسلكى والآخر «مرشد» للباخرة ، فقد ان ابتعدت الباخرة عن « مناوس » حتى هاجمتنا جيوش الناموس بكثرة لا توصف مما عكر علينا صفو الرحلة فى تلك الأصقاع الغنية بغاباتها الجميلة على كلا الجانبين ، كما كان الحر شديدا لا يطاق فى داخل الغرف فنضطر ان نجلس على سطح الباخرة ، وكل منا فى شغل شاغل بهذا العدو المغير ليدرأ لسعاته وتوجد فى تلك البلاد أنواعا كثيرة من الناموس ، منها كارابنا ــ موين ــ بيوم ــ مارويم ــ موتوكا ولكل

نوع اختصاصه ، فمنها ما تترك لسعته جرحا فى الجسم ، ونوع يدخل الشعر ونوع يدخل الفم فى ساعة الأكل أو الكلام ونوع يمتص الدم والأول أشدها ضررا وهو « الكارابنا » وهذا ينقل ميكروب الحمى الصفراء .

وعندما يحل المساء يدخل كل منا فى ناموسيته وهذه من أهم لوازم كل مسافر فى أعلى الأمزون . والغريب ان أهالى تلك البلاد الأصليين وهم الهنود الحمر الأقزام ويسمونهم « الكابوكلو » يقطنون فى مساكن من خشب الغاب تقام على الماء فى الساحل حيث يعيشون على السمك والدقيق ومسحوق الفاكهة التى توجد بكثرة لا حد لها ، أهمها الموز ، وهم سعداء على هذه الحالة فى عالمهم « الميت » فماذا يهمهم من العالم الآخر ما دام السمك فى الماء والفاكهة على الأرض .. ومطر غزير ورعد وبرق ترتعد منه الفرائص ، ولا غرابة فالمنطقة تقع جنوبى خط الاستواء بدرجة أو اثنتين ، وهناك أنواع من التماسيح الكبيرة التى يبلغ كبر حجمها لدرجة أنها تبتلع العجل أو الثور فلا يبقى خارجا الا قرونه فلا تقدر على ازدرادها وتبقى كذلك فى خنقها الى أن تموت .

سارت بنا الباخرة فى هذا العالم الغريب ونحن على الحالة التى وصفت فى مكافحة الناموس طيلة النهار وجزءا من الليل حتى تنام فما وقفت الباخرة فى أول محطة وهى « توناتينس » تمنينا لو لم تقف وأن تسير الى الأبد لأن جميع من بالباخرة تراه يرقص من هجوم الناموس الذى كان على الرؤوس كالضباب ولأن فى سير الباخرة وتجدد الهواء ما يخفف من حدته ، أما وقد وقفت فأصبح لا يطاق ، وهكذا فررنا الى المدينة نفسها التى ترابط فيها كتيبة برازيلية وسط هذه الغابات وقضينا أمسية ممتعة داخل الثكنات مع الضباط وقد اتخذوا جميع الوسائل لدرء خطر الناموس باحاطة مساكنهم بالسلك الناعم ، ثم عدنا للباخرة لتستأنف سيرها فى هذا العالم المجهول .

ومرت بنا باخرة حربية برازيلية تدعى « ماريو الفارس » عرفت أنها تقوم بدور المراقبة للبواخر الأجنبية التى تمر بمياه الأمزون الاقليمية ثم غابت عنا ثم ما لبثت أن شاهدناها مرة أخرى وكأنها تتبعنا الى أن وصلنا « سنت انطونيو دى اسا » وهى محطة عسكرية أخرى أقيمت لنا فيها حفلة راقصة من الضباط فقط وليست هناك

أية سيدة وكانت ممتعة أيضا وبينما كانت الباخرة تسير بنا مررنا على باخرة حربية برازيلية فلم تستوقفنا ولكن حدث أن كانت باخرة اخرى بروانية مارة ايضا ولكننا لم نرها فسمعنا صفارات صادرة من الباخرة الحربية المرابطة ثم تلتها اخرى من اتجاه اخر ثم لم نلبث أن سمعنا صوت قذيفة من مدفع أصابنا من أثرها ذعر شديد وارتباك ولكن تبين أن الباخرة المرابطة طلبت من الباخرة « البروانية » التوقف لمعرفة شأنها ولكنها ردت بثلاث صفارات تقول « انها مستعجلة مع السلامة » فما كان من الأولى الا وأرسلت القذيفة انذارا لها بضرورة التوقف ، ثم وصلنا محطة « سنت فنسنت » وزرنا الحامية وذبح لنا ثور . لقد صدق المثل القائل « الصحفي كالمرأة لا يحفظ السر » وقد انطبق على المثل ، فقد رافقت هذه الحملة العسكرية بصفة خاصة وكنت في أثنائها موضع حفاوة الجنرال وضباطه وارتفعت الكلفة بيني وبين بعض الضباط وكان حديثنا يتصل عن الحرب القائمة بينهم وبين البيروان ، فوثقوا بي الى حد بعيد خاصة لأني برازيلي لا ناقة لي فيها ولا جمل ، ولكني أراسل صحفي بما أشاهده في رحلتي ولولا الحادث الذي حدث لكنت أتممت الرحلة في رفقتهم الى داخل الحدود الكولومبية وعدت قافلا بالباخرة ذاتها ولكن ، تدخلت يد القدر وعرفت من بعض الضباط أنهم بعد أن يعبروا حدود البرازيل يقومون بأعمال عسكرية خاصة ضد العدو ثم يعودون ويلتجأون الى مياه البرازيل غير الحدود ثم يعيدون الكرة وكأنهم بعملهم هذا يفيدون من حياد البرازيل بطريقة غير شريفة . وقد حدث أن كنت أرسل رسالتي العادية للاسلكي الباخرة فحشرت هذا الخبر في الرسالة فلما قرأه الموظف عمل اللاسلكي وهو كما قلت برازيلي تردد بعض الشيء ولكني أقنعته أن لا ضرر منه فأرسل الرسالة وكانت تحتوي النقد الذي وجهته الى الجيش الكولومبي من اللجوء — لهذه الحيلة الماكرة .

في سبيل المهنة

وكم كانت مفاجأة مؤسفة ومؤلمة في وقت واحد ان أرسل في طلبي الجنرال ووجدته مع أركان حربه ينتظرونني في حزم شديد — ماهذا الذي فعلت يا «سنيور بروس» ولما كنت خالي الذهن حتى عن الاشارة التي أرسلتها قلت مادا

حدث ؟ قال : « انا سمعنا بالراديو فحوى رسالتك الأخيرة وقد خرجت فيهـا عن المسلك اللائق وذكرت أشياء لا وجـــود لها بالمرة فمن أين لك ماذكرت انه حادث بالفعل ؟ فقلت : لم أعرف من أحد ولكنى تخيلت أن ذلك قد يحدث مادامت الباخرة تسير فى مياه اقليمية لدولة محايدة دون رقابة فى ما بعد الحدود ، وهذا رأيى كصحفى فى حدود النقد النزيه ، ولكن الجنرال وهو يعرف سر المسألة كما أعرفه نفسى لم يزد على ان قال من الآن ستبقى فى غرفتك لا تخرج منها الى أن نرى فى شأنك . وهكذا خرجت من عنده خجلا من نفسى تكاد لا تحملنى ركبتاى ، وقد كبر على أن تختتم رحلتى على هذه الصورة بعد كل الكرم والعطف الذى لقيته من هؤلاء الكولومبيين الظرفاء وأن أرميهم طوعا بهذه التهمة الشنعاء وأفسد عليهم تدبيرهم لأرضى نزعتى الصحفية فى افشاء كل ما يقال وما لا يقال ...

حدث كل ذلك وأنا لا أعرف ما يخبئه القدر ، وبعد أربع ساعات منذ أن لزمت غرفتى لا أدرى ما يجرى فى الخارج حضر أحد الضباط وأشار الى أن أجهز متـاعى فلما رأيت الغرفة وجدت عامل اللاسلكى البرازيلى الذى كان شريكى فى الحـرج يقول « الكابتن لهروكابو هنا على ظهر الباخرة الحربية ماريو الفارس سيأخذونك » وهو فرح للغاية ، فكانت صدمة فرح لم أقو على احتمالها أيضا ، وما هى الا دقائق حتى كنت أصافح الكابتن الفاروكابو الذى أمر بنقلى ومتاعى الى باخرته الحربيـة الخاصة برقابة الملاحة فى الأمزون ومنه عرفت انه وصف للباخرة اشارة لا سلكية من باخرة الكولومبيين « مسكيرا » بأن هناك صحفيا برازيليا فى الباخـرة يريدون أن يتخلصوا منه ، وهكذا حضرنا لاسعافك ، فلم أتمالك أن غلب على لبكاء من الفرح لهذه الروح الوطنية الفذة وهذه العناية التى لقيتها والحماية التى أظلتنى بها بلادى البرازيل تحت علمها الخفاق وعرفت قيمة الوطن فى هذه البلاد التى تسير على النهج الدمقراطى الصحيح حيث يحق للمرء فيها أن يعتز بأن كرامته هى كرامة الأمة جمعاء ، والا لما فعل الكولومبيان معى ما فعلا الا خوفا ورهبة مما قد يسببه حبسى عندهم من مشاكل لا يقدرون على مواجهتها ، ومثلهم فى ذلك كالهر يحكى صولة الأسد .

دخولى ليتيسيا خلسة

قصيت يومى ذاك بين مواطنى البرازيليين من ضباط الباخرة فى مرح وسرور ثم سألنى الكابتن « الماروكابو » ماهى خطتك بعد الان ؟ فقلت سأمضى الى «ليتيسيا» ذاتها موضوع النزاع ــ فقال هذا لا يمكن ولا يسمح لنا بأن نقترب منها وجماعة عصبة الأمم رابضون فيها بباخرتهم الحربية لأنها اعتبرت منطقة حرام لا يمكن للمتحاربين أن يجتازوها وكذلك نحن ، فقلت اذن اتركنى فى آخر مدينة برازيلية قبل الحدود وأنا أدبر أخذ طريقى اليها بوسائلى الخاصة وكان العناية رمتنى بحادث الباخرة « مسكيرا » تمهيدا لذلك السبق الصحفى الذى لم يكن فى حسبانى وتركت الظروف لتحيك بقية الفصل ، فقال الكابتن لا مانع وهكذا سارت بنا الباخرة الى أن أوصلتنى مدينة « بنجامين كونستانتى » وهى تبعد نحو كيلو مترين من ليتيسيا على الحدود .

فنزلت من الباخرة « ماربو الفارس» بعد أن ودعت صديقى الكابتن «الماروكابو» شاكرا له جميله وضباط الباخرة وقضيت الليلة فى المدينة الصغيرة فى نزل البلد الوحيد وهو عبارة عن مقهى وبار ومنامة ، وفى الصباح توصلت الى استئجار زورق بخارى بعد أن دفعت مبلغا كبيرا من المال نظير هذه المغامرة التى حددنا لها موعدا بعد غروب الشمس ، عندما حان الموعد رفعت علما برازيليا على سارية الزورق وقطعنا المسافة فى أقل من عشر دقائق وكنا نسير بقرب الساحل الى أن وصلنا مدينة « ليتيسيا » بعد مغيب الشمس بقليل دون أن تشعر بنا لجنة الرقابة الدولية التابعة لعصبة الأمم فنزلت الى المدينة الصغيرة وأخذت أتمشى بالشارع الرئيسى فيها وقابلت بعض السكان وتحادثت معهم فكان جميعهم يؤيدون الكولمبيين فى طلب تبعيتهم ولم يشذ الا القليل الذين هم من أصل بيروانى وعدت أدراجى الى زورقى ولما تحرك الموتور لم تشعر الا وعمرنا صوء قوى صادر من الباخرة الراسية بالشاطىء الآخر ثم أعقب ذلك صفارتان، فقال صاحب الزورق انهم يطلبوننا فيمنا شطر الباخرة وسألونى عن غرضى فقلت لهم أننى صحفى برازيلى أردت الوقوف على الحالة على الحدود البرازيلية ولم أعرفهم

بأننى كنت بدخل « ليتيسيا » التى يقومون بحراستها من كل تدخل أجنبى ، فقضيت معهم فترة من الوقت أخذت بعدها زورقى الى « بنجامين كونستانتى » وأكاد أطير فرحا من الفرصة التى عنت لى بالوصول الى « ليتيسيا » وكنت أول صحفى فاز بهذا النجاح تحت تلك الظروف الشاقة .

ولقد كان لهذه المغامرة أثرها فى حياتى الصحفية اذ أصبحت أتخصص فى ارتياد ميادين القتال ولما نشبت الحرب الايطالية الحبشية فى عام ألف وتسعمائة خمسة وثلاثين أصبحت مراسلا حربيا لمختلف الصحف البرازيلية والصحافة المصرية (دار الهلال والمقطم) كما سيأتى فيما بعد .

وهكذا سجلت لنفسى كسبا صحفيا أشادت به الصحف البرازيلية خاصة وصحف العالم عامة ولما وصلت الى مناوس عاصمة الأمزون وضعت مشاهداتى تلك فى كتاب نفدت نسخه وأنا بالمدينة الا النذر اليسير منها احتفظت بها للصحافة وبعض أصدقائى ، وهكذا كانت رحلتى ناجحة للغاية من الناحيتين الأدبية والمادية رغم ما شابها من حادث مؤسف كانت نتيجته هذا الكسوف وقد كفرت عن جرمى ذلك بأن أغفلت ذكر تلك الحادثة فى كتابى لأتفادى المصاعفات اذ لى بين الكولومبيين عدد كبير من الأصدقاء الأدباء والشعراء ، ولكن ها أنا أسطرها بعد تلك السنين .

اختيارى للخدمة فى السلك الدبلوماسى البرازيلى وسفرى لمصر
دخولى مصر رغم وجود اسمى فى القائمة السوداء

عدت الى ريودى جانيرو لمواصلة عملى الصحفى وحدث أن دعيت حكومة البرازيل التى كانت بصدد انشاء معوضية لها فى القطر المصرى الى مؤتمر البريد العالمى العاشر لدى يعقد فى القاهرة فى عام ١٩٣٤ وبحكم صلتى بمصر فقد وقع على الاختيار لأصحب الوفد البرازيلى لمؤتمر البريد وأن تنشأ المفوضية فى الوقت ذاته وقد عين قائم بالأعمال لافتتاح المفوضية الى أن يعين الوزير المفوض فيما بعد .

بالأعمال انه ربما تعترضنى بعض الصعاب فى دخولى مصر لأننى خرجت مبعدا منها فى عام ١٩٢٥ فاتفقنا على أن أتقدمه عند فحص جوازاتنا فى الاسكندرية وكنت أحمل جوازا دبلوماسيا برازيليا كما ان اسمى أحمد حسن مطر قد تغير الى « روبرتو لويس دى باروس » حتى اذا حصل أى اعتراض أن يتدخل القائم بالأعمال ، وعند وصولنا الاسكندريه حدث ما توقعت بالضبط وكان موظفو الجوازات من الكونستبلات الانجليز التابعين لادارة الامن الأوروبى فلما قدمت جوازى للموظف المختص حتى تبين كأنه كان ينتظرنى ثم قال : « مستر باروس (انت مطلوب) أو بمعنى آخر ان لنا معك حديث » فنكزت القائم بالأعمال الذى كان يقف الى جانبى برجلى ان حان موعدك فتدخل فى الحال وقال للكونستابل المستر باروس هو الآن موظف بالسلك السياسى ، وله الحصانة الدبلوماسية فاذا رغبتم فيه فاتصلوا به عن طريق المفوضية البرازيلية ، فقبل الكونستابل وأنم تأشيرة جوازى بكل صفاقة ثم تناول جواز القائم بالأعمال وأتم اجراءاته وانصرفنا وقد كانت الحكومة المصرية قد أعدت قطارا خاصا لنقل الوفود التى حضرت معنا لمؤتمر البريد للنزول فى ضيافتها ،وهكذا وجدنا قطارا خاصا وأحد الموظفين ينادى باسم القائم بالأعمال وباسمى فأخذنا مكاننا فى القطار ووصلنا القاهرة وأنزلونا فى هليوبوليس بالاس بمصر الجديدة ، وهكذا دخلت مصر بعد عشر سنوات قسرا تحت جنسيتى الجديدة بعد أن اخرجت منها قسرا فى عام ١٩٢٥ والفرق بين الحالتين عظيم جدا ومع أن الحكومة المصرية لم تكن مرتاحة لعملى هناك الا أن المجاملات الدبلوماسيه أرغمتها على أن تتغاضى النظر .

الحرب الايطالية الحبشية

بعد أن عدت من مصر واتهت خدمتى سنة ١٩٣٥ فى السلك التمثيلى البرازيلى هناك رجعت الى عملى الصحفى وصرت أعقد الفصول الطوال فى الصحف البرازيليه عن مصر وحضارتها القديمة والحديثة وتقدمها الاقتصادى والسياسى كما كنت أراسل بعض الصحف المصرية فى الوقت ذاته ــ فلما تعرجت الأحوال بين ايطاليا والحبشة وأصبح نشوب الحرب بينهما متوقعا من وقت لآخر طلبت الى صحف

البرازيل مهمة مراسلتها من ميدان القتال وهكذا وجدت نفسي أبارح ريودي جانيرو في اليوم السادس عشر من يناير عام ١٩٣٥ بالباخرة (فرموزا) الى مرسيليا . كانت الرحلة بالباخرة هادئة يتخللها السأم وكأنها لا حياة فيها لخلوها مع طول المدة من أي حادث وليس في عالم الصحفي هدوء حتى تمنيت أن تغرق الباخرة أو تعترضها مركب قرصان أو يهجم عليها حوت البحر أو ترتكب فيها جريمة قتل أو سرقة ليغير من هذا الهدوء الممل والحياة الرتيبة .

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ووصلنا مرسيليا معقلي الأول ـ حيث صديقي صادق ومكثت أياما ثم ذهبت الى باريس لزيارة أصدقائي القدامى وكان الشعب لا حديث له غير الحرب كما ان فرنسا ذاتها كانت تخشى أن تمتد شرارتها الى مستعمرتها جيبوتي ـ وحدث أثناء تجوالي في أوروبا أن جاءت ثورة اليونان في مارس ١٩٣٥ فسافرت الى أثينا وحللت ضيفا على وزير البرازيل المفوض السيد جواكيم ايولا يلوى فاسبتتو اسلفا فأكرم وفادتي كما سهل لي مهمة مقابلة الوزراء ورجال الحكومة وساعدتني في ذلك كريمته الصغيرة مارجوري التي لم تتجاوز السابعة عشر من عمرها في ذلك الحين والى مارجوري هذه أهديت كتابي مغامرات صحفي في اثيوبيا الذي نشرته في عام ١٩٣٦ بعد عودتي من الحبشة .

ثم تركت أثينا الى مصر وهناك قابلت أصدقائي وكانت معي رسالة ودية من اتحاد الصحافة البرازيلية موجهة الى اتحاد الصحافة المصرية كان لها وقع حسن كما نشرتها جميع الصحف المصرية وحيتني تحية طيبة على اختلاف نزعاتها وجنسياتها وقد طلبت الى « المصور » من صحف دار الهلال والمقطم والريفورم (الفرنسية) أن أكون مراسلا عسكريا ومصورا معتمدا من قبلهم أيضا فقبلت العرض ـ بارحت مصر الى بورسعيد وركبت الباخرة روتنفلز ثم عبرنا قنال السويس في اليوم الثامن عشر من يوليو وبلغنا جده في اليوم العشرين ونزلت الى المدينة في صحبة الدكتور أكرم شومان وزرت القنصلية المصرية فاستقبلني الأستاذ عبد السيد منير القنصل المصري ومنها الى بورتسودان التي وطأتها قدماي بعد اثنى عشر سنة منذ غادرتها في عام ١٩٢٣ فزرت آل مسلم الذين أعرفهم من سنين وآل البربري والنادين السواكني والسوداني

فسرنى ما رأيته بينهما من مودة ووفاق ــ وكنت قد حملت معى الى المدينة فونوغراف واسطوانات بها النشيد الوطنى البرازيلى واتخذت لى مقرا فى أحد المقاهى ومن حولى أصدقائى القدماء ومعارفى فصرت أقص عليهم أخبار وطنى الجديد البرازيلى كما شاهدوا العلم البرازيلى بألوانه الزاهية الخضراء والذهبيـــة التى ترمز الى خضرة أرضها وثروتها وأسمعتهم النشـــيد الوطنى البرازيلى ــ ولكن ــ سرعان ما سرى الخبر فى المدينة ووصل الى رجال البوليس ــ ان مطرا بالمدينة ــ وجاء البـــوليس وأخذونى معهم الى زورق بخارى أقلنى الى باخرتى ووضعوا جنديين مسلحين عند مدخل الباخرة لئلا أعود للخروج وقد كان هذا الحادث مؤلما عندما عدت للبـــاخرة تتبعنى شرذمة من رجال البوليس ولكنى أوضحت موقفى منهم لمن معى من الركاب ولئن ظلت آثارها عالقة بذهنى طيلة أيام الرحلة .

وصلنا جيبوتى فى اليوم التاسع والعشرين من يوليو وكانت مليئة بالجواسيس مفعمة بالاشاعات وقد قامت فرنسا بتسليحها تسليحا قويا وعنـــــدما قدمت أوراقى فحصت فحصا دقيقا ثم أذن لى بالنزول الى البر ــ وهناك التقيت بأصدقائى القدامى من أهالى جيبوتى وهى نقطة الحياد التام فى مسألة الخـــلاف الايطالى الحبشى وهى عاصمة الصومال الفرنسى ومقر وكلاء الاستعلامات للأمتين المتنازعتين ومنها يمتـــد الخط الحديدى الوحيد الى داخل الحبشة وبها حالية عربية اسلامية كبيرة ومدرسة أسسها السيد على كبيش من كبار التجار وبالمدينة ثلاث مساجد أحدها مسجد النور وكنيستين وأخرى يونانية ودار واحدة للسينما .

سافرت الى أديس أبابا بقطار ذلك الوقت وكان أبطأ قطارات العالم قاطبة بعد قطار الترانس انديتو الذى يصل بين مندوسا فى الأرجنتين وبين سنتياجو فى التشيلى فى أمريكا الجنوبية وكان يسير نهارا فقط وعند الساعة الثانية عشر وقف بنا فى محطة فنزل الركاب الى فندق المدينة لقضاء الليل ثم استأنفنا السفر فى الصباح الى محطة (هواش) حيث وقف بنا القطار وقضينا الليل بداخله ــ وفى صباح اليـــوم الثالث عاود القطار سيره ووصلنا أديس أبابا عنـــد الغروب وفى طريقنا رأينـــا الجيوش الحبشية متدفقة ومنتشرة هنا وهناك وطبول الحرب تدق فى كل مكان .

الصحفيون ونشاطهم

وكان زملاء الرحلة هم دفعة الصحفيين الثانية التى وصلت جيبوتى فى اليوم التاسع والعشرين من يوليو أى قبل أن يطلق الايطاليون قنابل مدفعيتهم على عدوة بشهر وهم كولنز عن شركة رويتر قادما من استنبول وبيتى عن يونايتد برس من برلين وماكلين من تورنتو فى كندا وفرانز من فينا وهارون الرشيد من تركيا وكانت ترافقه زوجته الحسناء جدا وكلبه الكبير الأسود وسيارته وسائقها وقد ظهر أخيرا بأنه جاسوس فى خدمة ايطاليا وان السائق عامل للاسلكى وجاسوس أيضا تحت امرته فقام بينهما نزاع أدى بالسائق لافشاء سره للاثيوبيين فقبض عليه هو وزوجته وأبعدا خارج البلاد ـ ثم وصلت بعثات السينما وكان جنك يرأس حملة باراماونت فرع باريس وشركة فوكس ويرأسها ستولنج كما حضر نكربوكر المخبر الصحفى الشهير شخصيا لينوب عن انترناشيونال نيوز وملز عن اسوشيتد برس ولحق بهذا المدير العام للبرقيات ايكونز وقد تعرفت به شخصيا كما جاء السير فيلبس المراسل الحربى أثناء الحرب الكبرى الأولى عن الديلى تلغراف وستير عن لندن تايمز وجلاجر عن ديلى اكسبريس أفريقيا الجنوبية ـ ومونكس عن احدى صحف سيدنى فى استراليا وجان دازم عن جورنال دى باريس ولاقوا عن هافاس التى أصبح اسمها اليوم وكالة الأنباء الفرنسية ـ وموغنتى عن ا.ب.ث من مندوبه وغيرهم من يابانيين ومجريين وصينيين الخ .. وكان هناك عدد كبير من الصحفيين الأحرار وأغلبهم من الامريكان وبينهم بعض السيدات والآنسات ومن هؤلاء عدد من القبيحات والحسناوات وأذكر من بينهن باولا لكليم ودولورس بدروزور ـ وقد يستغرب القارىء اذا عرف انه قد اجتمع فى وقت من الأوقات نحو مائة وعشرين صحفيا أجنبيا من أنحاء العالم المختلفة فى أديس أبابا بينما المدينة نفسها لم تكن بها فى ذلك الوقت غير صحيفة واحدة هى « بريد اثيوبيا » .

كيف كنا نحصل على الاخبار

وبالرغم من أن الحياة فى أديس أبابا لم تكن قد تأثرت بما تفرضه حالة الحرب من قيود وبالرغم مما كنا نتوقعه من أخطار اذا اندلعت نيران الحرب فشملت العاصمة

نفسها فان حياتنا فيها كانت مسلية للغاية ــ فقد كان لكل صحفى مترجم أو اثنان بدمتهم وزارة الخارجية من بين طلبة المدارس الذين يحسنون الانجليزيه والفرنسية لمساعدة الصحفيين كما أن لكل منا ما بين عشرة وعشرين مبلغا أو ملتقطا للأخبار تلك الأخبار التى كانت تترجم وترسل رأسا الى مكتب التلغراف حيث لكل منا فيه حساب جار ــ ومقابل ما كنا ندفعه من ثمن لهذه الأخبار فقد أقفل عدد كبير من أصحاب المحلات التجارية اليونان والأرمن محالهم ليتفرغوا لهذا العمل المربح وبذلك أصبحوا مخبرين مهرة وكانوا يتفاخرون بما يحصلون عليه من أجر ويتنافسون كما كنا نزودهم بوثائق صحفية لتسهيل مهمتهم ــ وقد ذكرت احدى جرائد لندن أنهم يقومون بمغامرات عظيمة فى سبيل التقاط الأخبار . بينما هم فى الحقيقة لا يخرجون خارج حدود المدينة ويعتمدون فى أخبارهم على الداخلين اليها من خارجها من الأقاليم التى بها نشاط حربى .

غلاء المعيشة واجور السكن

لقد كان وجود الصحفيين بهذه الكثرة سببا فى ارتفاع أسعار كل الحاجيات من مأكل ومسكن ووسائل نقل ــ أما السكن فى الفنادق وكانت فى ذلك الوقت فندق الامبريال والماجستيك والدولتز هاوس وهوتيل سوسس ــ فقد ارتفعت أجورها ارتفاعا باهظا حتى ان بعض الأهالى قاموا ببناء كابينات أمام منازلهم ليؤجروها للصحفيين كما قام بعض الصحفيين ببناء كابينات فى المساحات العامة وأقام بعضهم مخيمات فى حدائق السفارات للسكنى .

كما كان مشوار التاكسى من المحطة الى ارت كيلو (أى ٤ كيلو) وهى المسافة بين المحطة وموضع قوس النصر يكلفه جنيها ــ هذا ولما كان عددنا كبيرا أسسنا جمعية الصحافة الأجنبية واتخذنا لها مقرا فى فندق الامبريال وكان يرأسها كالنز مندوب رويتر وسكرتيرها بيتنى مندوب يونيتد برس وأمين خزينتها ستير مندوب التايمس وكان رسم الدخول أربعة وعشرين فرنكا والرسم الشهرى ثمان فرنكات تدفع جميعها لموظفى ادارة البرق الذين يعملون صباح مساء بصفة منحة منا ــ كما أنشأنا سينما

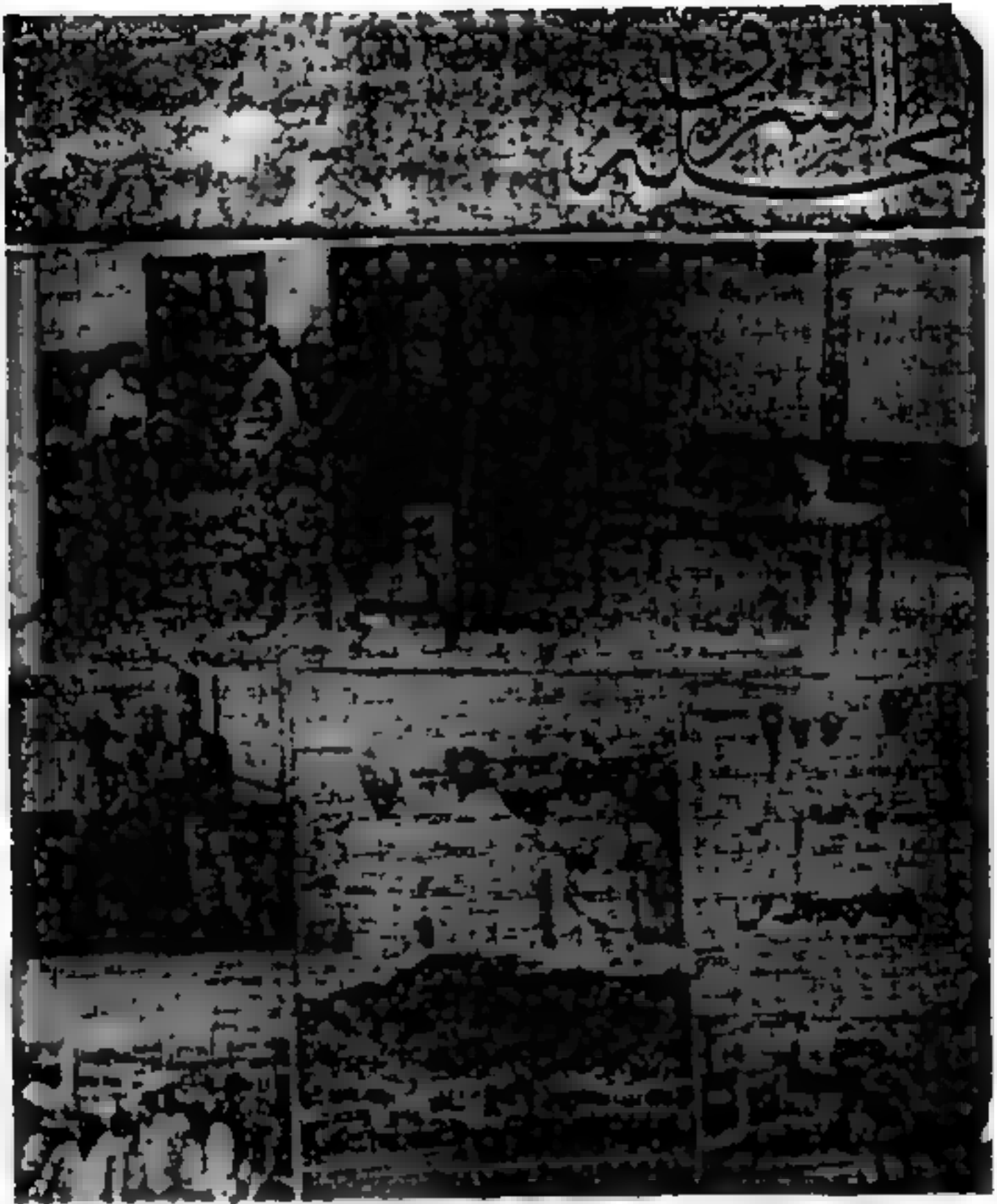

لا نبالغ اذا قلنا ان الرحالة الاستاذ احمد حسن مطر الذي اعتنق الجنسية البرازيلية واصبح معروفاً باسم روبرتو دي باروس شهير رائد عرفته الصحافة البرازيلية وأنشط صحفي جوّالة وقد صدف ان نشبت الحرب الحبشية وهو في مصر فاشتد بـ طائفة من مجلاتها المصورة فأدى رسالته مغامراً وضع الصحف العالمية بأشهر الرسوم عن وقائع الحبشة وتراه في الرسم الاعلى يخاطب جلالة النجاشي ثم يحادث الآنسة لولا شقيقة الراس سيمو والرسوم الثلاثة في الوسط تمثل فريقاً من

1936

Ao pé: o casal Antonio Botelho e Sra. Margarida Botelho em Assis — dr. Carlos Nuschiang de Figueiredo, quando foi representante dos negocios do Brasil no Cairo. A sua esquerda, a brasileira esposa d' Violeta de Figueiredo, sr. Julio Sanchez Perez, dos Correios, sr. Roberto Soares representante residente de Chile e outros cavalheiros. Na Leica.

...lugar adequado. E' esta prova de amor. Durante dois a tres dias dançando até as lagrimas de tanto dançando e dá por cada um uma chinarada e dá por cada um uma chicotada com os seus longos cabellos, no homem ou na mulher. Ela um "Shiddad" [illegible] na mesa de bailarina elles fazem um duello de chicotadas. Um delles tira tudo comido, bebido na até as coisas recebendo de outra vez as mesmas chicotadas de um chicote de tres metros de comprimento e de couro de elephante. Depois dada a chicotadas tira o que comeu e recebe as mesmas chicotadas de odio veneria. Isso é o "Baton" Legal naquelle dia bailarina "Shaibalat" mas não foi o "Baton"

...e varias orchestras. Estendo a ... ao quarto da noite, os pais dam o dinheiro à noiva-lhe, que a noiva está dando "Asaras Ibrahim" . E' a primeira vez que os ... assistem.

O noivo não participa na ... do seu acompanhamento o direito de casar quatro vezes legalmente com a solteira e com a policia.

Assim os meus pais ... em ... mas não ... Pedro, hoje, ... mudernistas, e as jovens gosta... quaisão de namorar abertamente. As filhas do Sudan, seguindo o meio em ... e ... de ler e escrever ... também de compreender ... aprende. E' outra vida e outro mundo.

...de "Sallah" "Sayeh" quer dizer em lugar de Santos, Vagabundos

A bailarina começa a dançar a sudanesa, isto que anda devagar para frente e atraz, sempre dobrando os cortes até tocar o chão com a propria cabeça por tres e algumas passagerates inventam uma agulha com os cabellos ou olhos. E' uma dança mais difficil de que da Gloria Gilbert, até pensei de trazer uma trupe para o meu amigo Dr. Caio de Freitas de Castro de Urca. Com certeza fará sucesso. O "tambor" tem o direito de mostrar os seus dotes coreographicos à bailarina na meio de "tambores" e se a bailarina ama, ella mette rapidamente as palavras "Hay Khamiahu, Hay Khorabahu" quer dizer amigos, a ella entende e se dirige immediatamente

Eu, quando conheci estas festas, não pude esconder os meus gargalhadas Para elles parecia completamente louco Alguns inventaram que zombava delles Mas explique-lhes que eu brasileiro é canto e dança e vendo um

"O CHABBAL E O BOTAO"

O CASAMENTO

O casamento é sempre interessante, os noivos não se conhecem até o dia do casamento. Por exemplo, a mãe de um jovem faz uma visita a outra familia à procura de filha deste, pede receber a conhecer-se com um filho seu Voltando o caso conta ao filho a bellesa que

...vão pesquisar, e combinando com o pae do menino e mãe da filha para o seu filho, enquanto os mães pedem tratando o mesmo assumpto. Assentados os bons principios, a familia do noivo paga um tanto à familia da noiva, dependendo sempre da posição financeira da familia e marcam a data bailaria Para começar o noivado a mãe do noi-

عنوان المكاتبات : بوستة دار الهلال - مصر
العنوان التلغرافي : الهلال - مصر
دار الهلال : شارع الأمير قدادار رقم ١ (قرب ميدان التحرير)
تليفون : ٩٦٠٩٢ (٣ خطوط)

29/8/35

دار الهلال

الهلال — النور

كل شيء والدنيا الاثنين

Images - Oriental Images

القاهرة في ٢٤ أغسطس ١٩٣٥

حضرة الفاضل الأستاذ رمل ، دي بارو الأفخم ، [illegible]

[illegible] على خطاباتكم المؤرخة ٢٨ يونيو و ١٥ الجاري [illegible] الصور التي أرسلتموها إلينا ونشرنا بعضها في [illegible] وسنواصل النشر في الأعداد القادمة .

وبناء على طلبكم نشرنا في [illegible] خلاصة حديث الإمبراطور وأرسلنا [illegible] من العدد [illegible] إلى [illegible] ، غير أنكم لم تذكروا [illegible] أرسل إلى [illegible] من الصحف ، [illegible] في المستقبل مثل هذه الشطط .

وقد وصلنا خطابكم الثاني يوم الثلاثاء ٢٠ الجاري فلم نتمكن من إرسال [illegible] في الموعد الذي حددتموه لنا ، ونحن نوافق على استمراركم في مراسلتنا [illegible] أن ندفع لكم عن الصورة الواحدة التي تنشر في مجلاتنا سبع أربعين [illegible] أي أكثر من [illegible] لسائر مراسلينا ، فالأمل أن يشجعكم [illegible] الاهتمام وخصوصا إذا [illegible] الحرب [illegible] أن تنشروا لحسابنا الصور الهامة التي لا تستطيعون الحصول عليها [illegible] في خطابكم .

[illegible] ضرورة أن تزودونا [illegible] ولكن في استطاعتكم [illegible] بين حين وآخر [illegible] الصورة [illegible] أن تكون خاصة [illegible]

[illegible]

[illegible] الصحيفة الأثيوبية التي تخول للمراسل التجسس .

وبار وشبه كباريه وكنا نقضى فيها أوقاتنا العادية وهكذا أمكننا بهذه الوسائل التى ابتدعناها أن نكافح موجة الغلاء المصطنعة التى بادرتنا بها العاصمة .

صبحاتو الكذاب

ذكرت فيما تقدم كيف كنا نستقى الأخبار وأهمية المترجمين ومتصيدى الأخبار وكان نصيبى كمترجم تلميذ من المدرسة السويسرية فى السنة الثانية ثانوى اسمه « صبحاتو مسجنة » وصبحاتو رغم انه من عائلة بارزة فى المدينة فهو شقيق زوجة السكرتير الخاص للرأس سيوم . وكل مايعيب صبحاتو انه من أكذب خلق الله وبسبب كذبه استغنيت عنه وأعدته ثانية أكثر من أربع مرات وأخيرا احتفظت به لغرض التسلية لا لترجمة أو لالتقاط الأخبار ــ فهو أكثر خيالا من أعظم روائى وأكذب من مسيلمة ــ ومن نوع الأخبار التى أتانى بها مرة قال لقد سافر النجاشى الى باريس بالطائرة ــ وبالطبع لا يمكن أن يحلم انسان بهذا الخبر فى ذاك الوقت فأجبته بشدة ــ انت مرفوت ــ وفى لحظة ركز نفسه وأجاب آسف لقد سافر بالقطار وليس بالطائرة ــ فضحكت وقلت له طيب خليك ــ ومرة أخرى لما علم بحقيقة أمرى وهو اننى سودانى رغم اسمى باروس وصحفى برازيلى أراد أن يقنعنى انه من أب سودانى ــ وجاءنى يوما يقص على قصة عن الأسود السفر ذات العيون الزرقاء والتى تعيش فى لنباتات وجذوع الشجر ثم أكد لى انه أصاب مرة أسدا فى ظهره برصاصة من بندقيته (التى لا وجود لها طبعا) وانه رأى الدم الأزرق يسيل من ظهره فأجبته بجد لربما كان أسدك ذلك هو الملك الحقيقى للحيوانات .

ولا زال صبحاتو حيا فقد قابلته فى أديس أبابا فى ديسمبر ١٩٥١ عندما زرتها وقضيت فيها ثمان أيام فى ضيافة صاحب الجلالة الامبراطور .

مكتب الصحافة الاثيوبى والرقابة

كان يدير مكتب الصحافة الاثيوبى السيد لوزنزو تزاز ويساعده السيد دافيد وقد توفى الأول عندما كان سفيرا فى موسكو أما الثانى وقد أصبح بلاتا دافيد لقيته

فى هيئة الأمم المتحدة ضمن وفد اثيوبيا فى عام ١٩٤٩ ثم كان مرافقى عندما زرت جلالة الامبراطور عام ١٩٥١ ثم قابلته وزيرا مفوضا فى البرازيل فى عام ١٩٥٢ . وقد قامت بينى وبين السيد دافيد صداقة متينة كانت لى أكبر عون فى سبقى الصحفى الأول فى هذا الميدان وقد تفضل صاحب الجلالة الامبراطور بناء على طلب الصحفيين جميعهم وتوصية تزار بمقابلتنا للتحية فقط وليس كمؤتمر صحفى .

وقد قررت الحكومة الحبشية المراقبة على البرقيات الصحفية فعهدت الى ثلاث ضباط بلجيكيين للقيام بهذه المهمة وهم لا يحسنون سوى لغتهم البلجيكية بينما نحن نكتب بالانكليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والبرتغاليةواليونانية واليابانية وأنا شخصيا أرسل يوميا مائة كلمة بالعربية للمقطم فى مصر فاحتجبنا وتأخرت المراسلات فكان الواحد منا يصله تلغراف أو ثلاثة من صحفه فىالخرجطالبة ملحة فى ارسال الأخبار التى ما زالت بين أيدى الرقابة وبهذه الطريقة تعطلت أعمالنا فنصح الى البعض منا أن يقيموا فى هرر أو دير داوا أو جيبوتى ليخف ضغط رسائل الصحافة على المراقبة وبالتالى على موظفى البرق .

السبق الصحفى الاول ـ مقابلتى للامبراطور

درج الصحفيون منذ وصولهم على السعى الحثيث المتواصل بكل الوسائل للتمكن من مقابلة الامبراطور وبالرغم من المقابلة التى تمت بواسطة مكتب الصحافة فلم يكفوا عن السعى وكنت من ناحيتى أعمل فى الخفاء مستعينا بالصلات الخاصة التى عقدتها مع المسئولين الاثيوبيين لتحقيق هذه الأمنية .

وقد كللت جهودى بالنجاح عن طريق السيد بلاتا دافيد فأبلغت أن حلالة الامبراطور قد وافق على منحى هذا الشرف لمدة وجيزة فأخذت فى الاستعداد فى الخفاء . ووضعت قائمة بالأسئلة التى أتوجه بها لجلالته اذا مكنتنى الفرصة وفروض البروتوكول ، ثم عمدت الى أحد المصورين فى المدينة ليكون على أهبة الاستعداد لمرافقتى لأخذ صورة هذه المقابلة فطلب مبلغا ضخما مقابل قفل محله فى تلك الأمسية سواء نجحت فى مسعاى لالتقاط الصورة أو لم أنجح فوافقت وحددت له الميعاد

الذى يوافينى فيه الى الفندق ويذهب معى الى القصر الامبراطورى وفعلا حلول موعد المقابلة بربع الساعة كانت تقف أمام الفندق ثلاث سيارات أجرة لتقلنى الى ذلك الحدث التاريخى أمام جميع زملائى الصحفيين فنزلت من الفندق بيذتى « البنجور » والقفازات البيضاء والقبعة العالية والعصا ـ فركب صبحاتو المترجم فى السيارة الثانية والمصوراتى بمعداته فى الثالثة وفى الأولى ركبت وانطلق الركب على هذه الصورة التى أردت أن أحيطها بهذه المظاهر زيادة فى الابتهاج بالمناسبة السعيدة والسبق لصحفى ووصلت القصر الامبراطورى قبيل الوقت المحدد بقليل وتركت صبحاتو فى السيارات خارجا وأخذت المصور معى الى داخل القصر حيث قابلنى أحد رجال التشريفات الذى وافق على بقاء المصوراتى خارج قاعة المقابلة الى أن يأذن جلالة الامبراطور ـ كما استلم الحاجب منى قبعتى وعصاى وقفازاتى ـ ولما حانت ساعة الصفر كنت أقف أمام القاعة فتح التشريفاتى الباب ودخلت وكان جلالته يتوسط القاعة جالسا الى مائدة ومن خلفه سكرتيره الخاص وعلى الشمال السيد دافيد الذى كان الموصى بهذه المقابلة ـ هذا ولما كنت أجيد فن البروتوكول وصلت أمام المائدة بمسافة مترين فسلمت بالانحناءة التقليدية ثم سرت الى يمينى الى الوضع الذى يجب أن أكون فيه وقريبا من المائدة فى انتظار المصافحة اذا رغب جلالته أو الاذن بالجلوس بدونها فما عتم جلالته ان مد يده فأخذتها بلهفة وانحناءة كبيرة ثم تقهقرت الى مكانى فأشار بيده أن أجلس فجلست ثم بادرنى بالحديث بالفرنسية قائلا نحن نرحب بكم رجال الصحافة وبالأخص فى هذا الوقت وأملنا أن يكون كل شىء قد تم اعداده لكم لتسهيل مهمتكم من رجال حكومتى ـ فرددت ان كل شىء على ما يرام بفضل توجيهه وارشاده ثم أردفت هل يسمح الامبراطور لمصورى بالحضور لتسجيل هذه المقابلة التاريخية فقال لا مانع وما هى الا ثوان حتى كان المصوراتى يؤدى عمله بعد أن وقفت مواجها الامبراطور فى جلسته وبيدى ورقة الأسئلة التى وجهتها لجلالته فيما بعد فأخذت الصورة على هذا الوضع وانسحب المصوراتى وعدت الى جلستى .

ثم استأذنت جلالته فى توجيه بعض الأسئلة فوافق وهـذه هى الأسئلة واجابة جلالة الامبراطور عليها •

س ــ لماذا لم تهاجم اثيوبيا المستعمرات الايطالية عندما ظهر عداء ايطاليا فى السنة الماضية ؟

ج ــ انه لمن أبرز خصائصنا اننا نحترم المعاهدات لا أن نخرقها وطالما وقعناها فنحن نقدس هذا التوقيع •

س ــ ما رأى جلالتكم فى عصبة الأمم ؟

ج ــ عصبة الأمم هى المثل الأعلى للسلام اذا حسنت النيات وأخلصت فى العمل من أجله ولكونها توافق مبادئنا فقد انضممنا لعضويتها عام ١٩٢٣ .

س ــ مذ تنوون جلالتكم القيام بهالتقدم امبراطوريتكم لو لم تفاجئكم هذه الحالة القائمة الآن ؟

ج ــ ان هدفنا الأول لتقدم البلاد هو زيادة التعليم وتحسين المواصلات لتنتعش التجارة وعلى هذه الأسس يترتب التقدم الذى ننشده •

س ــ هل لا تزال تجارة الرق تمارس فى اثيوبيا ؟

ج ــ لقد انتهى هذا العهد بعد أن أصدرنا قانون عام ١٩٢٤ الذى نسير فى تطبيقه بحزم وشدة •

س ــ يشاع ان عددا كبيرا من العائلات الايطالية هجرت الحبشة ــ فهل للحكومة دخل فى ذلك ؟

ج ــ وصل علمنا ان عددا منهم ترك البلاد عند قيام هذا الخلاف لا سيما فى الأشهر الأخيرة وان حكومتى لا دخل لها فى ذلك ولكن الظاهر ان ايطاليا ترغب فى ذلك زيدة فى النيل من سمعتنا وكرامتنا أمام الأمم الأخرى •

وانتهزت رد جلالته على السؤال المتقدم فسألته ماهى الخطة التى اتخذتهـا حكومة جلالته لحماية الأجانب ــ فقـال ان الأجانب المقيمين أو العابرين سـوف

لا يستهدفون لأى خطر ـ وقد درست الحكومة الاجراءات اللازمة لتنفيذها فى حالة احتمال وجود الخطر فى الجهات المجاورة لمنطقة سكنى الأجانب .

س ـ يقال ان هناك عدم اتفاق بين مواطنى جلالتكم من المسلمين والمسيحيين فهل هذا حقيقى ؟

ج ـ هذا محض افتراء وان الشعب الاثيوبى متحد تمام الاتحاد دون تمييز دينى أو عنصرى تحت لواء هذا الوطن الواحد .

س ـ ماذا ترى جلالتكم اذا اتحدت انجلترا وفرنسا وايطاليا على حماية اثيوبيا اقتصاديا وعمرانيا ؟

ج ـ ستقاوم اثيوبيا أى تدخل حتى ولو كان سلميا .

س ـ يشاع ان انجلترا ستمد لكم المساعدة فى حربكم ضد ايطاليا بالسلاح والرجال ؟

ج ـ لا اجابة .

س ـ مذا فعلتم جلالتكم خيال مساعى ايطاليا فى أوروبا بمنع شحن الأسلحة لكم؟

ج ـ صحيح ان حكومات أوروبا رفضت أن تصدر مصانع السلاح فى بلادها سلاحا كنا قد طلبناه منها ، وان لا تقبل أى طلبات جديدة ما وقد جاءنا احتجاجنا لدى هذه الحكومات على فرض هذا القرار الجائر اذ ان الحبشة لا تملك مصنعا واحدا للسلاح أو الذخيرة وما كان هناك ما يبرر انشاؤه فنحن أمة مسالمة نلجأ فى حل خلافاتنا ومشاكلنا مع الأمم الأخرى الى التحكيم الدولى كما حدث ان فعلنا عقب حادث وال وال

س ـ ما رأيكم فى اليابان ـ هل تتوقعون منها مساعدة ؟

ج ـ لليابان أن تقرر ما تريده هى ولكن مصالحها فى الحبشة ضئيلة بدرجة لا تستوجب احتمال تدخلها .

س ـ ماذا ستفعل اثيوبيا اذا لم تتوصلوا لاتفاق مع ايطاليا ؟

ج ــ ان اثيوبيا لا تفقد الأمل فى ايجاد حل سلمى ــ اما اذا هاجمتنـــا ايطاليا فستدافع اثيوبيا عن نفسها •

الى هنا استأذنت جلالته وشكرته وانحنيت على نظام البروتوكول وقد استغرق هذا الاجتماع خمسا وثلاثين دقيقة وقد كان محددا له عشر دقائق فما أن عدت الى الفندق حتى وجدت مظاهرة كبيرة تنتظرنى من الصحفيين وقد حملونى الى داخل الفندق ــ ثم توالت الأسئلة ــ ماذا قال لك ــ فخطبت فيهم أن يتكرموا ويتركونى لأنجز عملى وان من يرغب فى ابداء أى سؤال والاجابة عليه فستكون الفئة خمسة جنيهات عن كل سؤال وهكذا بعد أن أتممت رسائلى وأودعتها مكتب البرق تفرغت الى الأسئلة والأجوبة بعد قبض الأجر فكان دخلى مائة وثمانون جنيها فى هـــذا الحادث غير ثمن الصورة التى طبعت منها عددا كبيرا وبذلك غطيت كل ما صرفته فى الاستعداد للمقابلة مع فائض كبير •

الفصل الخامس

العودة الى البرازيل

كيف أصبحت عضوا فى سفارة رقصة السامبا

عدت الى القاهرة بعد مقابلتى لصاحب الجلالة الامبراطور هيلا سلاسى والعائلة المالكة فى أورشليم وأنا مثقل بالأسى والحزن لتصاريف الأقدار فى هذه الحياة المليئة بالعبر وما كان يدور بخلدى أن الكتاب الذى أزمعت كتابته عن مغامراتى تلك فى اثيوبيا وكانت أبرزها مقابلتى التاريخية له من بين مائة وعشرين صحفيا أجنبيا سيختتم بهذه النتيجة المؤلمة وآن تنم صحائفه عن مأساة ولما يظهر فى عالم الطباعة بعد ــ فقد هوى العرش وطاح التاج ولم يبق لصاحبه الا أن يعيش بين هذه الذكريات التى تفيض أسىً وحسرة لاجئا سياسيا تحوطه عائلته المنكوبة وحفنة من حصائله كموعظة حية للأمم الشرقية التى ترزح جميعها تحت طغيان الغرب واستعباده وأساليبه الماكرة فى سبيل استعباد الشعوب .

تركت القاهرة بعد اقامة قصيرة الى ريودى جانيرو فى البرازيل ومنها الى سانت باولو حيث عملت فى صحيفتى « فولياداى منيانا ودى نويس » أى صحيفتنا « الصبح والمساء » وهناك طبعت كتابى « مغامرات مخبر صحفى فى اثيوبيا » وقد لاقى نجاحا فائقا وكان هذا كتابى الثانى .

فى سفارة السامبا

ثم عدت الى ريو ومنها رافقت وفد السامبا المؤلف من أربعين شخص ما بين ممثل وممثلة كرافق صحفى ــ والسفارة هذه عبارة عن هيئة تنتخب بواسطة معاهد الموسيقى والتمثيل فى البلاد وتتولى حكومة البلد بعثها الى البلاد الصديقة المجاورة كرمز لحسن الجوار والأخاء كما تتولى تلك الحكومة الصديقة المبعوث اليها باستضافتها طيلة مدة الاقامة وقد كانت هذه المرة موفدة الى جمهورية الأروجواى فسافرنا الى مونتفيدو العاصمة وبقينا شهرا فى ضيافة الحكومة قضيناه فى حياة صاخبة رقص وموسيقى وتمثيليات وقد اشتركت هيئات المدينة المختلفة فى الاحتفاء بنا بحفلات يقيمونها لتكريمنا كممثلين للدولة الصديقة البرازيل

وبعودتى من الأورجواى اقترحت على احدى الجرائد بموافقة نادى السياحة فى ريودى جانيرو مرافقـــة السياح الذين يفدون الى البرازيل كمترجم وعـلى أن أستخلص منهم أى اقتراحات قد يرونها لازمة لتشجيع السياحة على ضوء تجاربهم فى البلاد الأخرى وما تقدمه لهم من وسائل الراحة والمتعة للافادة منها واقتباسـها لتفيد بابرازيل ، وقد قضيت فى هذه المهمة أكثر من شهرين تحت ستار الترجمـة خرجت منها بتحقيقات صحفية ممتعة نشرتها فى مقالات عديدة متتابعة فى الصحيفـة التى انتدبتنى لهذا العمل .

ذكريات ترجمـــان

وألقيت فيها الضوء على مطالب السائحين واتتقاداتهم واقتراحاتهم فى الدوائر المختلفة التى تعنتى بهم كان لها صدى حسنا كما عد كسبا للصحيفة لعنايتها بشئون البلد من هذه الناحية وقد كانت تستحق غاية العناية لمالها من اثر فى سمعة البـــلاد الخارجية اما الأثر الذى تركه هذه الفترة فى نفسى فقد كان عظيما للغاية مكننتى من معاشرة أقوام ولو لفترات قصيره ــ هم خلاصة الطبقة الناجحة فى دنيـا المال ــ فى بلادهم المحنفة فكانت لآرائهم قيمتها المعنوية التى أفدت منها كثيرا بالاضـافة الى حقل تجاربى السابقة فى هذا العالم وعدت الى عملى الصحفى العادى .

كيف صرت صديقا ليونس البحرى

دخل البرازيل بخمسـة فرنكات وخرج بـ ١٢٥٠ جنيه فى شهر

كنت مارا بشارع الحمرك فى ريودى جانيرو وأذا بشخص يهجم علـى محييا بحراره شادا على يدى وقائلا كيف حالك يا أستاذ مطر فقلت بسرعة بخير وانت فأجاب وصلت الآن ولا يزال عهدى بالحمرك وليس معى سوى خمس فرنكات افرنسية فى جيبى الدهشت وفكرت قليلا وسألته من جابك ؟ فقال أنا يونس البحرى السائح العراقى فلت كويس من أين تعرفنى ؟ فقال قرأت مقالاتك ورأيت رسمك فى المصور لما كنت مراسلا حربيا فى الحبشة . فسألته ماذا تفعل قال صحفى وسياسى وخطيب .

عرفت ان الرجل فى مأزق وتذكرت مأزقى وتذكرت أولئك الذين ساعدونى وقررت أن أساعد هذا السائح العراقى الذى لم أسمع باسمه من قبل ذهبت معه الى الجمرك وخلصت متاعه وأنزلته فى فندق أوروبا وكانت تديره فكتوريا بعد وفاة والدتها وقد تزوجت وصار لها أولاد . سألته هل يمكن أن تلقى محاضرة عن آخر تصورات الشرق العربى فأبدى استعدادا وحددت يوم المحاضرة والساعة .

استأجرت له قاعة وطبعت ٢٠٠٠ تذكرة بسعر ١٠ ميل ريس للتذكرة أى مجموع ما يعادل ٢٠٠٠ جنيها أسترلينيا فى ذلك الوقت ووزعتها على كبار التجار والشركات العربية وكنت أعطى كل محل عددا من التذاكر وأقول لصاحب المحل أو مدير الشركة وحياة أبوك ما ترجع ولا واحدة وبكره نأتى ونستلم القيمة وفعلا كانت حركة تبرير للاعانة لهذا السائح العراقى . وألقى خطابا وطنيا حماسيا ضد الاستعمار والمستعمرين وسافر بالباخرة « مندوسا » عائدا الى بلاده يحمل صافى ١٢٥٠ استرلينى . انقضت أشهر والناس يقولون يا مطر صاحبك هذا لا يرسل كلمة شكر على ما قمنا به نحوه ويبدو انه جحود ونصاب ولما كثر عتابهم ولومهم قلت لهم باللبنانى « امسحوها فى دقنى رجل مسكين وساعدناه ايه يعنى وانتو عم تعطوا وتخسروا فى القمار أكثر من هيك . »

ثم لم تمض أشهر الا وجاءت البرقيات بأن يونس البحرى هرب من بغداد وتسبب فى قتل القنصل الانجليزى فى البصرة ثم هرب مع رشيد على الكيلانى الى برلين ، ولما لبثنا أن سمعنا صوته يجلجل هنا برلين حى العرب وعاد كبار رجال الجالية الى وقالوا يا مطر صديقك هذا رجل عظيم فقلت الحمد لله الذى جعله عند حسن ظنى به .

انقطعت أخبار يونس البحرى عنى طيلة أيام الحرب حتى كانت سنة ١٩٤٨ اذ رمى الى نقولا صاحب مطعم بغداد الشهير فى الشارع الثامن والعشرين فى نيويورك بربطة جرائد وقال خذها لك ، وادا بها جريدة العرب التى تصدر فى باريس وصاحبها يونس البحرى .

ذهبت الى باريس سنة ١٩٤٨ لحضور جلسات الأمم المتحدة والتقيت به فى قصر شايو فزرت جريدته والتقيت بالطلبة السودانيين آنذاك لأول مرة منهم الدكاترة والأساتذة والفلاسفة والمؤرخين وكانت جامعة السوربون تفخر بهم وتضرب بهم المثل وأذكر منهم أحمد السيد حمد وأحمد الطيب عبدون وبشير البكرى وفضل بابكر ومحى الدين صابر وعقيل أحمد عقيل وصلاح عثمان هاشم وعباس الدابى وكانوا جميعا يدرسون على نفقة الحكومة المصرية الا الأخير منهم فقد درس لحسابه الخاص وكنت بلا فخر أعطف عليه ولا أنه من واد مدنى أهب لمساعدته كلما ألمت به ملمة وعلى غيره أيضا خصوصا زميلى اليوم صلاح هاشم وذلك لأن والده كان متهما معى فى مقتل السردار ولقد سرنى ن كان لهم خير صديق ومعين ولعل السبب فى ذلك معرفتى له كسودانى فى البرازيل ويحكى عنه أنه بينما كان داخلا مطعما فى باريس ومعه الأساتذة عبد الله عقيل وابراهيم المفتى وأمين التوم صادفه عربى عظيم وسلم عليه فرد التحية بدون اكتراث فتأثر العظيم وقال له كيف تسلم على هكذا وأنت من ناس سود ! فهب يونس البحرى وقال له ان هؤلاء أشرف منك . وكان اخوانى السودانيين يعجبون بى أيما اعجاب ويدهشون لسكنى فى فندق الكلاريدج والمصاريف الباهظة جدا أنى كنت أصرفها .

لماذا اعتز بصداقة يونس البحرى ؟

وفى أثناء جلسات الأمم المتحدة وفى فترة الاستراحة كنت أتحدث الى جريدة الهدى التى كنت أراسلها بنيويورك بالتليفون فى أحد الممرات من داخل كشك زجاجى وكان رؤساء الوفود العربية يتحدثون فى أحد الممرات وتجاه الكشك الذى كنت أتحدث منه ، وفى أثناء حديثى مع نيويورك علمت من رئيس التحرير ان السيد رياض الصلح قد وجه الدعوة لعدد من الصحفيين لزيارة لبنان ولم يوجه الدعوة لصاحب جريدة الهدى وطلب الى أن أسأل رئيس الوزارة اللبنانية عن ذلك وكما قلت فان السيد رياض الصلح والأمير الفيصل والسيد فارس الخورى ويونس البحرى لا يزالوا فى الممر الذى أمامى .

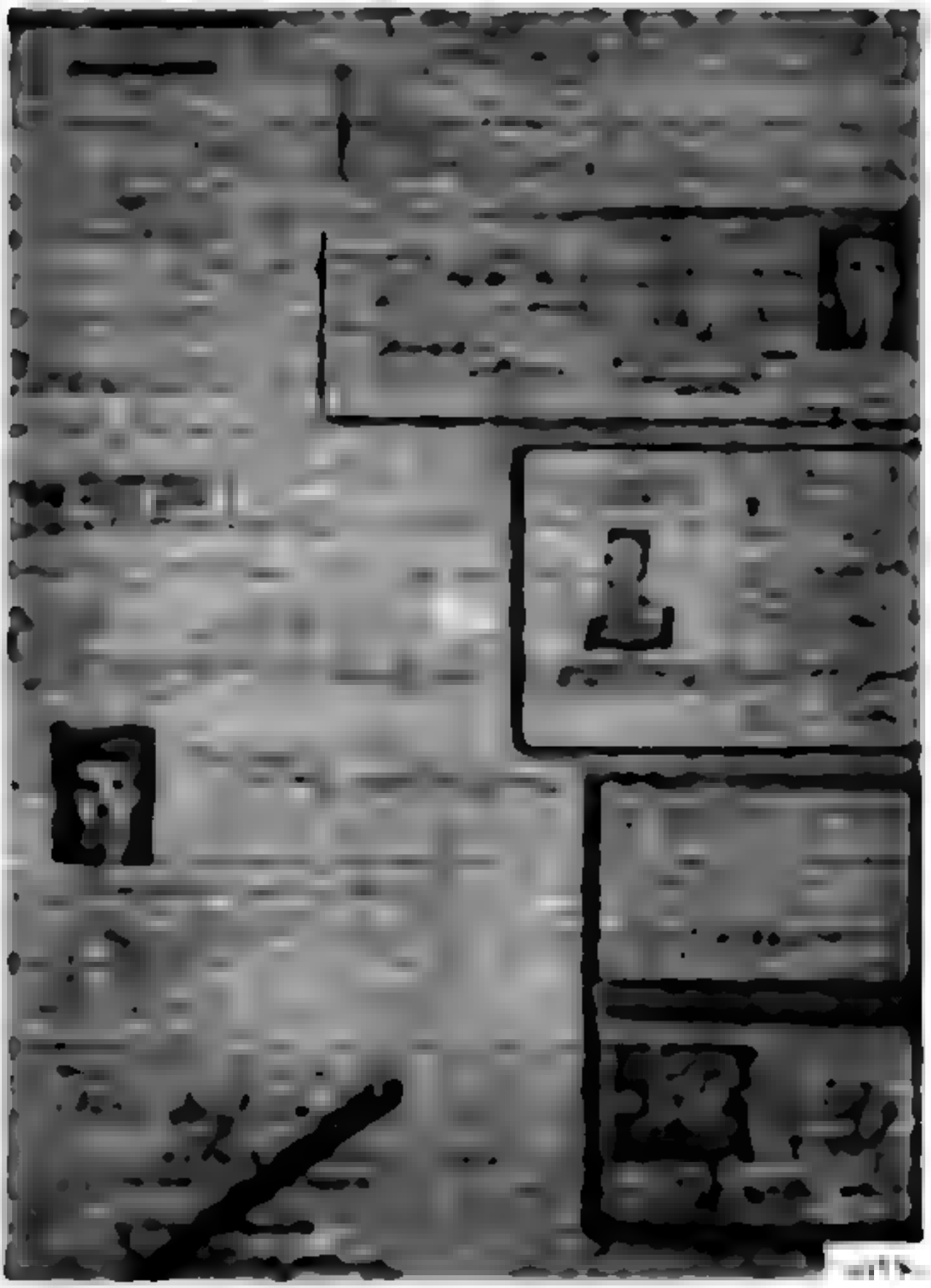

فطلبت من رئيس التحرير أن ينتظر على التليفون لأسأل له السيد رياض الصلح عن الدعوة وفعلا خرجت واستأذنت السيد رياض وانتحيت به جانبا وفاتحته في أمر الدعوة . فما كان منه الا أن انفجر غاضبا وأساء لصاحب جريدة الهدى . وهنا تدخل السيد يونس البحرى وقال له ياسيد رياض أتعرف من هذا ؟ هذا السيد مطر وسرد عليه قصة لقاءنا الأول في البرازيل والأعمال التي قمت بها من أجله ، واعتذر السيد رياض وقرر ارسال دعوة الى جريدة الهدى ، وهذا مثل حي من الأمثلة التي جعلتني أكن ليونس البحرى كل تقدير .

ومرة أخرى التقينا بيونس البحرى أثناء زيارة السيد رئيس وزراء السودان السابق للبلدان العربية في غضون عام ١٩٥٧ ، وكان السيد يونس البحرى يرافق الوفد السوداني ويقوم نحوه بواجب المساعدة . وفي عام ١٩٥٨ جاء السيد يونس بحرى وزوجته الى السودان وكان في نيته ان يستقر في السودان فقمت نحوه بواجب التكريم الا ان المقام لم يطب له فقفل راجعا . وآخر ما سمعت عنه انه اعتقل في العراق في ثورة ١٤ تموز الا انه قد أفرج عنه أخيرا .

الافلات من موتتين

كيف نجوت من الموت المحقق

وصلني خطاب بعد سفر يونس البحرى من أحد الأصدقاء في المكسيك يدعوني فيه للحضور للاشتراك معهم في الثورة التي يعملون لها للاطاحة بالحكم القائم في البلاد ... وسافرت الى المكسيك وهناك كنا ننسج خيوط المؤامرة في القهاوى ، حتى اكتملت عناصر الثورة فقمنا بها وكان عددنا ٥٠٠ ثائرا بأسلحتهم والتحمنا مع قوات الجيش فسقط منا ٤٠٠ ثائر وهرب الباقون الى التلال ، وهناك اتفقنا على تسليم أنفسنا الى السلطات المختصة ، وكان علينا أن نقطع التلال حتى نصل مرة أخرى الى القرية التي سنسلم أنفسنا فيها وعندما شارفنا حدود القرية أبصرت قوات السواري قادمة نحونا وفكرت لو ان طلقة واحدة خرجت من بندقية أحد الثائرين

فانا جميعا قد انتهينا اذ اننا أصبحنا فى متناول أسلحتهم والعناية الالهية وحدها هى التى جعلتنى أسير فى المؤخرة اذ أن الأمور جرت بشكل مدهش وأطلق أحد الثائرين رصاصة استقرت فى رأس أحد رجال السوارى فاردته قتيلا وفى الحال انصب علينا الرصاص وسريعا دفنت نفسى فى التراب وعندما انتهت المعركة وأسرنا « لسوارى » وجدت ان الأحياء ٢٩ وان الباقين قد لقوا حتفهم • وأخذنا السـوارى نحن التسعة والعشرين أسيرا الى فشلاقات الجيش واعتقلونا هناك من الساعة العاشرة صباحا حتى الساعة الرابعة بعد الظهر تماما وجاء الجنرال واستعرضنا ثم صـاح بأعلى صوته : Fuaile Todos أى : اضربوا الجميع بالرصاص •

وجاء ضابط برتبة كولونيل ومعه جنوده وأوقفونا بالقـرب من حائط عال ثم أخذوا يعصبون عيوننا ولكننا جميعا رفضنا ذلك وبدأ اطلاق الرصـاص •• فسقط الأول والثانى الى التاسع وفجأة من أحد أبواب الفشلاق الجانبية دخلن ثلاثة من النساء موشحات بالسواد وهن يولولن صارخات ثم ارتمين على قدمى الضابط الذى كان يجلس على صندوق من الخشب راجيات منه أن يطلق سراح ابنهم الوحيـد الذى لا عائل لهن غيره ووضعن تحت قدميه حليهن وأموالهن وانبهرت عينا الضابط بالحلى والأموال وقال بصوت أبح : Dee Todo أى اطلقوا سراح الجميع وكان ترتيب الابن الذى كان الدور عليه الثالث عشر ثم أنا وخمسة آخرين ، وخرجنا نحن التسعة كان هذا فى عام ١٩٣٦ وعدت أدراجى الى البرازيل وطنى الجديد .

وفى عام ١٩٤٧ رجعت الى المكسيك فى رحلة صحفية لاصدار عدد ممتـاز عن المكسيك لجريدة « الهدى » التى تصدر فى نيويورك وكان على أن أجمع لهذا العدد عشرة آلاف دولار .

ودخلت الى مكاتب شركة من الشركات وطلبت مقابلة مديرها واذن الى فلمـا دخلت اليه ارتفع وجهى كله من الدهشة وأسرعت محتضنا المدير الذى لم يكن سوى « سيمون » زميلنا الثائر الذى بسببه أطلق سراحنا فى عام ١٩٣٧ من أجـل الأموال التى دفعتها أسرته •

وسألته كيف أصبح مديرا لشركة كبيرة مثل هذه الشركة أجابنى بأنه بعد أن أطلق سراحه اقترض مبلغا من المال وسافر به الى امريكا وعمل تاجرا فى«لمبات فلبس» فدرت عليه أرباحا طائلة استثمرها فى شراء مئات الآف الأمتار من الأراضى الواقعة خارج المدينة وبنى فيها أكبر استاد لمصارعة الثيران فى امريكا اللاتينية وبعد حفلة الافتتاح الأولى دخلت الحكومة شريكة معه ، ومدت شوارع الأسفلت وأقيمت الكباريهات ـ والقهاوى وارتفعت قيمة الاستاد وارتفعت أسعار الأراضى ارتفاعا فاحشا وأصبح الرجل مليونيرا .

وقصصت عليه حالى بعد نجاتنا من الموت حتى اليوم والمهمة التى جئت من أجلها ... والمبلغ الذى يجب أن أجمعه فما كان من سيمون الا أن كتب لى شيك بمبلغ عشرة آلاف دولار ثم استضافنى أياما رجعت بعدها الى امريكا الشمالية عن طريق ميامى متمما عملى الصحفى فى نفس الطريق .

النجاة من الموت مرة اخرى

وبعد هذا الحادث حصل حادث آخر لم يكن فى الحسبان ، كان الليل قد انتصف حينما خرجت من البار ، وأخذت أوقع لحنا مثيرا بفمى وأنا أسير الهوينا طربا ، وفجأة أحسست بشىء صلب وراء ظهرى ويد تقبض على كتفى فى قوة ثم صوت هامس مشبع بالوعيد يأمرنى بالسير نحو السيارة الواقفة والا فان محتويات المسدس ستفرغ فى ظهرى .

كل هذا والشارع الذى يمتلأ بالناس حتى يفيض فى الأمسيات لا يحوى الا أنا والشخص أو الأشخاص الذين ورائى . وفى طريق منفصل وبالقرب من الغابة وقفت العربة ثم طلب منى الشخصان اللذان اختطفانى أن أنزل ، وقاداني حتى حافة واد ذى هاوية عميقة ثم أخرج أحدهما سيجارة وأشعلها ـ وقدمها لى وتراجعا سريعا ، ثم أطلقا النار على وتدحرجت من حافة الهاوية الى داخلها فى حذر شديد حتى وجدت مكانا استطعت أن أستقر فيه وبدأت الأمطار تهطل فى شدة وكانت الساعة الحادية عشر مساء .

ولم تصبنى طلقات الرصاص .. لأننى اكتشفت الحيلة من وراء السيجارة التى أشعلها أحدهما وقدمها لى فى الظلام الدامس لتهديهم الى مكانى وهذه حركة تفن فى القتل ولكنى وضعت السيجارة فى يدى ثم مددت يدى بعيدا فأطلقا الرصاص على يدى بزعم ان السيجارة فى فمى .

وبقيت فى مكانى ساكنا خوفا من أن يكتشفوا الخدعة وسمعت أحدهم يقول للآخر :

والله يا أخى أنا ضميرى مؤنبنى فى الحكاية دى ... عملوا فيه كده ليه ؟ ...

ورد الآخر : أهو خلاص مات .

وبعد أن تلاشت الأصوات قمت أتلمس طريقى وبعد ساعة عبرت الوادى من الجانب الآخر فوقع نظرى على ضوء باهت من الوادى فقصدته .

وطرقت باب الكوخ فأتانى رجل يحمل فى يده « فانوس » قلت له اننى من مدينة بلم ، فأدخلنى فأفرد لى الرجل سريرا حتى الصباح فسرت الى الطريق العام فأخذت تاكسيا الى منزلى واختفيت فيه يومين واتصلت بأصدقائى تلفونيا وقصصت عليهم القصة ، فطلبوا منى الخروج .

وذهبت الى مقهى « سنترال » فاذا بالرجلين اللذين اختطفانى يشربان فى هدوء، وطبطبت على ظهر أحدهما فالتفت نحوى وهب هو وزميله مندهشان وصاحا الا تزال حيا يا باروس ؟ وقلت أحمد الله اننى لا زلت حيا فضحكنا وعانقانى وأجلسانى بينهم ثم طلبا لى شرابا .

وأخبرانى ان الذى أمرهم بقتلى قد دفع لكل منهم ثلاثين جنيها وعرفت الشخص الذى دفع المبلغ ، فاذا به أحد أرباب الملايين ولكن بعد أسبوعين أصابه الله بمصيبة كادت تودى بحياته .

والقصة تبدأ فى « هوتيل كونتنتال » فى القاهرة عام ١٩٣٤ ولا داعى لذكر اسم الرجل لأنه لا زال على قيد الحياة اما الأسباب فهى سياسية بحتة . وأراد الله أن يعود الى ويعتذر كبقية أعدائى فى النهاية .

الى الشـــيلى
كيف قمت باصدار جريدة النظام فى جو مشحون بالتوتر !

وفى ريو فى يوليو عام ١٩٣٨ سافرت الى الأرجواى والأرجنتين ومنهـا عبرت جبل الأندس لأول مرة الى مدينة سنتياجو فى الشيلى بقطار ترانس أندينو الذى يتسلق هذه الجبال « الأندس » المغطاة دائما بالثلوج كما أنها أغلى سكة حديد فى العالم ذ كانت أجرة السفر نحو عشرين جنيها لرحلة تستغرق ستة عشر ساعة نظـرا لسيره البطىء للغاية القصوى ومرجع ذلك الى مايقتضيه تسلق تلك الجبال الشاهقة من زمن ـ كما ان القضبان التى يسير عليها القطار من أطرف ما شاهدت فى حيـاتى فقد كانت ذات أسنان بارزة على الجانبين لتقى القطار من التدحرج فى أثناء تسـلقه اذا حدث هبوط فى قوته أو لأى سبب آخر أو فى نزوله من المرتفعـــات الى سهل منخفض بأن تنزل من الفاطرة بين تلك الأسنان ـ اداة تؤدى عمل « المرمنة » العدية عند السير ـ كما توجد تماريح فى الخط يتسهل فيها القطار خطوة خطـــوة الى أن يجتازها . و نفاقه ليست كالأنفاق العادية التى تخترق الجبال من الداخل ولكنهـ أنفق خرجية صنعية تعمل على شكل مظلات فى سفوح الجبال الثلجيه يدخلها القطار طول سفح الجبل لتقى القضبان من تراكم الثلج عليها او اعاقة سير القطار ـ وقـد عمدوا الى عمل فنادق فى الطريق فى المنحدرات عند المحطات التى يقف بها القطار ـ ومن وسائل الاحتياط ضد خطر الحوادث فى هذه الرحلة ان مد سلك كهربائى على طول الخط الحديدى عبر هذه المناطق الخطرة ما أن يمسه سائق القطار بعصـــا فى طرفه سلك حتى تسمع أجراس فى المحطة التى تلى الموقع الذى وقف به القطـــار فيسارعون الى نجدته ـ وهناك مدن صغيرة تحتل السهول بها قطعان الماشية و لمزارع الكبيرة للفواكه وهى من أغنى البلاد بالماشية لتوفر المراعى منها مدينـــة لوساندس وسان فرناندو . وكانت نهاية رحلتنا الممتعة تلك مدينة سنتياجو عاصمـــة جمهورية شيلى فكأننا قد قطعنا ذلك الجزء من القارة الامريكية الجنوبية من الشرق الى الغرب كما وصلت فى تجوالى الى مضيق ماجلانس الذى يفصـــل تلك القارة عن الدائرة

وهذا هو السيد جورج ابو صباح صاحب جريدة « الاصلاح » يحادث السيد رشاد مراد القائم باعمال المعوضية المصرية فى سنتياجو تشيلى ومعهما المؤلف

القطبية المتجمدة الجنوبية وهى أقصى نقطة جنوبية فى العالم .

وصلت مدينة سنتياجو وهى مدينة عظيمة تقع فى السفح الغربى لجبال الأندس وفيها جالية عربية كبيرة من رجال المال والأعمال وبها صحيفة واحدة تصدر باللغة العربية يملكها ويحررها السيد جورج الياس أبو صباح عملت معه فى صحيفته وتوليت ادارتها ولما كان لزاما على أن أتعرف على داخلية البلاد فقد قمت بجولة صحفية للوقوف على الجاليات العربية المنتشرة فى طول البلاد وعرضها فزرت ٥٠٠ قرية ومدينة لموافاة الصحيفة بأخبار نشاطهم الاجتماعى والعلمى وبالتالى تسجيلهم تمهيدا لاصدار أول دليل احصائى اجتماعى تجارى يضمهم ، كنت أزمعت عمله وقد أتممت تلك الجولة وعدت لسنتياجو بمشتركين جدد لجريدة « الاصلاح » كما أصدرت أول دليل احصائى عن الجاليات العربية فى البلاد فى حجم مصغر ووليت عملى فى الصحيفة كمدير للادارة وقد كان السيد أبو صباح يتولى التحرير وتوجيه سياسة الصحيفة وقد كانت ذات ميول محورية متطرفة ولا غرابة فى ذلك فالجمهورية ذاتها

كانت تنزع الى مساعدة المحور وبينها وبين المانيا روابط قوية ومصـــالح سياسية وتجارية حتى أن جيش البلاد كان يتدرب تدريبا المانيا تقوم به بعثات من الضبـاط الألمان وكذلك الأسلحة واللوازم الأخرى حتى ملبوسات الجنـود كانت من الزى الالماني وكذلك السير باستقامة الركبة .

ابو صباح وجريدة « الاصلاح »

اندلعت نيران الحرب الأخيرة ولما دخلتها امريكا طلبت الى شيلى كباقى دول امريكا اللاتينية أن تقطع صلاتها مع دولتى المحور فكانت شيلى من أكثر البلاد تأثرا لهذه الحالة الطارئة التى أرغمت فيها على قطع صلاتها مع دولة صديقة ارضاء للولايات المتحدة الامريكية باعتبار روابط القارة الامريكيـــة ــ وقد صرح بذلك رئيس الجمهورية فى سنت ياجو عندما أعلن عن قطع العلاقات السياسية بأنه انما يعمل ذلك مع شديد الأسف ــ وهكذا تبدلت الحالة العامة فى البلاد وفترت تلك النزعة المحورية فى الصحف وغيرها بتغيير سياسة الحكومة المركزية فى البلاد الا صحب « الاصلاح » السيد أبو صلاح قد ثبت على مبدئه فى الدعاية لألمانيا رغم ما أصابه من عنت الحكومة وأخيرا عطلت صحيفته نهائيا وأقفلت الدار ووضع اسمه فى القائمة السوداء وبالعوا فى التنكيل به بشتى الطرق حتى سلبوه حق بيع ماكينات وأحرف الطباعة لينتفع بثمنها وهكذا ضرب ذلك الجندى الباسل أروع الأمثال فى الثبات على المبدأ الذى اختطه

وقف السيد اسكندر هلس والمؤلف يتحدثان الى يوسف الملاح عضو البرلمان الشيلانى

لنفسه وأنى بحق أقدره كأعظم صحفى رأيته ـ ونظرا لما نشأ بينى وبين هذا السيد النبيل وأفراد عائلته من ود وهو رجل على جانب عظيم من الكرم ودماثة الخلق كما انه رب عائلة تعتمد على هذه الصحيفة المصادرة فى كسب أودها فقد سعيت بكل الوسائل لاعادة اصدار الصحيفة تحت اسمى وانتحى بها ناحية مضادة لما كانت عليه أى لخدمة الدمقراطيات والحلفاء فكان ان وفقت مؤخرا عن طريق السفارة الامريكية ذاتها فأذن لى فى اصدارها تحت اسم « النظام » الذى اخترته لها مقابل دفع ثمن الماكينات والحروف الى دائنى صحيفة « الاصلاح » بالتقسيط .

السيدة اديلا ديب دى هلس التى كانت تعمل فى جريدة « النظام »

أصدرت جريدة « النظام » فى جو مشحون بالتوتر فأغلب الناس يساندون المانيا ودول المحور فلم تجد رواجا رغم الجهود الذى بذلتهـا فى ابعادها عن محيط السياسة ، وصبغتها بصبغة اخبارية مع العناية بالناحية الاجتماعية والأدب والثقـافة وهكذا سارت متعسرة تصدر نصف شهرية باللغتين العربية والاسبانيولية فمـا ان انقضت السنة الأولى حتى ارتفع عدد المشتركين فيها ارتفاعا محسوسا وصار القسم الاسبانيولى منها ينشر أخبار الحرب وصورها . كان يحرر هـذا القسم السيد اسكندر هلس والآنسة اديلة ديب وكانا طالبين فى الحقـوق ، الأول من أب أردنى والثانية من أب فلسطينى وقد أصبح هالس اليوم وزيرا للزراعة واقترن بأديلا ولهما أولاد وكلهم وعائلاتهم من أعز أصدقائى اليوم . وبجانب ذلك كنت قـد أسست اذاعة « ساعة فاروق » وكذلك « ساعة اذاعة الثقافة العربية » وحصلت منها على حق اذاعة الأخبار العالمية منها والمحطية باللغة العربية كما أصدرت دليـلا جـديدا لسنة

السيد نيقولا جارور من ارباب الملايين ووطنى عتيد

١٩٤١ يحتوى على معلومات وافية عن كل المهاجرين العـــرب فى شيلى تحت رعاية النادى الفلسطينى بعد أن قمت بجولة أخرى من شمال البلاد الى جنوبها وقـد لقى اقبالا عظيما كما عاون على رواج الصحيفة « النظام » وبهذا تمكنت من أن أقوم ببعض الواجب على تجاه صديقى البيل أبو صباح فى محنته ، وفى عام ١٩٤٥ أصدرت دليلى الثانى عن دول امريكا اللاتينية ـ بوليفيا ـ كولومبيـــا ـ اكوادور ـ فنزويلا ـ كروساوا ـ أوربا ـ بيرو ـ وقد اقتضانى ذلك السفر والتجوال فى كل هذه الدول مدينة مدينة حيث يوجد المهاجر العربى واستعملت فيها كل وسائل النقل المعـروفة لانجاز هذه المهمة ، وأهم ما رأيت فى تشيلى معامل تصفية سماد نترات الشيلى ويقع فى أقصى الشمال وذبح وسلخ الماشية فى أقصى جنوب الكرة الأرضية وهذا الجـزء من العالم يشبه تماما فى تعرجاته وغاباته وأهله الشمال الأقصى من الكرة الأرضية فى كندا غير ان الشمال اشتهر بمعامل الورق بدلا عن ذبح وتصدير الماشية .

عند ذلك تركت الصحيفة بعد انتهاء الحرب وبعودة المياه الى مجاريهـا تمكن صديقى أبو صباح من اصدار صحيفته من جديد تحت اسم «العالم العربى» وهكذا تحمل ذلك الرجل الشهم صنوف الحرمان والمشقة طيلة سنوات الحرب انتصـــارا لمبدئه فسارت سيرته مثلا أعلى للتضحية وانكار الذات .

مع السيد حايم سعيد صديق قديم ومليونير ، عند لقـــائى فى باريس

الفصل السادس

رحلتى الى الجنوب الاقصى من العالم

وبباخرة صغيرة تسير فى تعرجات الجزء الجنوبى من العالم سرت من بورتومونت الى مدينة مغالانس وسميت بهذا الاسم على اسم « ماجلان » البحر البرتغالى الشهير وهى تبعد عن أول مناطق القطب الجنوبى بنحو ٣ ساعات بزورق بحارى وقد مكثت بها ساعة وعدت أدراجى الى المدينة وكنا نقرأ الجرائد عند منتصف الليل فى المقاهى والميدين العامة وهناك أهم مذابح الضأن وقد تأتى بواخر خاصة لتنقل هذا اللحم الى انجلترا فالمواشى تدخل باخرة خاصة كل عنابرها مثلجة ، وأول ما تطأ البهيمة أرض الباخرة تسقط آلة فتقطع رأسها ثم يسير الجسم على ممر ويمر بعدد من العمال والآلات وبعد ٣ دقائق تجد الخروف ملفوفا نظيفا معلقا مسرا فى المكان المعد له فى الثلاجة الواسعة .

رحلتى الى الجنوب الاوسط فى الشيلى
ولاية أيسن

وبعد أن انهيت مهمتى فى الجنوب الأقصى جئت الى الجنوب الأوسط وأقصد بذلك ولاية أيسن ، وليس من خط بحرى مباشر اليها ، فعدت الى بورتومونت ثم رجعت اليها مرة ثانية مع انها تقع فى منتصف الطريق والسبب فى ذلك ان مغالانس تتعامل رأسا مع بورتومونت وهذه بدورها تتعامل رأسا مع أيسن فلا تمر عليها البواخر .

ولعل مدينة أيسن هى المدينة الوحيدة التى تقدمت تقدما سريعا فى ظرف وجيز جدا ، فى كل الشيلى بل فى العالم أجمع ، مستثنيا من ذلك تل أبيب أو تل عنيف التى عمرها اليهود فى فلسطين بسرعة مدهشة . وقد كان موقع مدينة أيسن منذ عشرة سنوات مضت غابات وأحراش كثيفة مخيفة وهى اليوم مدينة عصرية لطيفة تقع عند مصب نهر سمسون الذى يسمى الجزء الأدنى منه نهر أيسن ويبلغ عدد سكانها ١٤٠٠٠ نسمة وينتظر لها مستقبل باهر جدا .

وتمتد الولاية شرقا الى حدود الأرجنتين فيصلها طريق الى كومودور بفدافيا على ساحل الاطلانطيق وآخر الى « شيلى شيكو » أو شيلى الصغيرة على بحيرة بونيس ايرس وأهم المحصولات فيها الماشية وقد علمت ان هناك شركة عربية وهى عامر وأبو علوان تملك عشرات الألوف من الأغنام التى يقص صوفها ويباع سنويا كما ان لهذه الشركة باخرتان لنقل الركاب فى بحيرة بونيس أيرس . وفى ميناء أيسن فندقان من الدرجة الأولى بالنسبة للبلد أحدهما بلاس وهو للسيد خوليو شيلى والآخر السنترال وهو للسيد أنيس الهايب حيث توجد دار النادى العربى .

زيارتى لاكبر منجم نحاس نفقى فى العالم تقوم باستغلاله شركة برادن

قلة الحوادث وتشاؤم العمال

انتاج الشركة من النحاس يصل الى ٢٥٠٠٠٠٠٠ ريالا شهريا

لم يخطر ببالى قط أن أزور أكبر منجم نحاس نفقى فى العالم ، لولا الحاح الآنسة جلاديس الينا اريولا احدى طالبات سنتياغو كولدج ، التى جمعتنى بها الصدف فى اكسبريس الصباح الذاهب الى لؤلؤة الباسفيك «فلباريزو» عندما كانت تنوى قضاء عطلة الأحد بدون عائلتها فاخذتنى لها رفيقا .

ثم مضى شهران وتعرفت فى كازينو فينيادلمار على المستر اريولا ، والد جلاديس وهو أكبر مهندسى شركة برادن ونصح لى بأن أتخذ الخطط اللازمة لزيارة المنجم فى سنتياجو وقد تم ذلك بعد محادثة تلفونية قصيرة بين المستر اريولا والمدير العام ، على أن يقابلنى المهندس لويز شامى وهو سورى الاصل تلقى علومه فى جامعة نيويورك ، فى محطة كوبا ويرسلنى منها الى المنجم فى سيول وهذه هى محطة القوة الكهربائية وتبلغ قوتها ٢٥٠٠٠ حصان وعدد فولتاتها ٦٩٠٠٠ ، وقد شرح لى لويز شامى بان هذه القوة تضم الى قوة محطة نيجال على مسافة عشرة كيلو متر والبالغة قوتها ٣٥٠٠٠ حصان وعدد فولتاتها ايضا ٦٩٠٠٠ ، حيث تسير القوتان معا الى كل

محطات الشركة وهى سيول ورانكاجوا وكاليتونس وباهونا وبارون لتوزع قوتها على الضوء والمياه والفبارك ومعامل صب النحاس الخ .. ويبلغ خط سير هذه القوة ٢٠٠ كيلو متر ، ذكر لى المستر فكرى القائم بادارة بنجال بأن الماء فى محطته ينحدر من ارتفاع ٥٠٠ متر وهو اعلى ارتفاع لمحطة كهربائية فى جنوب امريكا وان قوة اندفاع المياه هى ١٨٠ رطل للبوصة المربعة ، اما سرعتها فتتقدم وتتأخر حسب الفتحات وان المحطة تستخدم ٧٥٠ قدم مكعب من الماء فى كل دقيقة وفى الحقيقة ان هذا المنجم هو من أهم مناجم العالم النقية عموما وثانى منجم نحاس ، يؤخذ منه يوميا ٢٥٠٠٠ طن من الجير والتراب المزوج بمختلف المعادن ، يستخرج منها بعد عناء كبير وطحن وتصفية وعملية طويلة عريضة ، ما هو اقل من ٢٪ او اقل من ٥٠٠ طن من النحاس الصافى ، ولعل هذه الكنوز هى التى استهوت أوائل المستعمرين الاسبان ، الذين استغلوه قبل ١٣٠ سنة بمساعدة العمال الهنود ، ولقد افتتحته شركة برادن كوبر ، وهذه بدورها تكون جزءا من الشركة الامريكية العالمية للنحاس فى سنة ١٩١٦ ومما يسهل عملها اليوم علاوة على الآلات الحديثة هو استخراجها المواد التى تستعمل لتصفيته واستغلاله من التراب والمعادن الاخرى بشكل رغوة ، من نفس المنجم ، ولها معامل كيماوية خاصة لتجهيزها ، هذا عدا معامل وورش الشركة التى تصنع كل القطع الميكانيكية التى يحتاج اليها المنجم والمطحن وورشة الصب وأدوات البناء والمطابخ والحمامات الخ ... وكم يتصور القارىء كبر الشركة متى علم ان القنال الذى تجرى فيه المياه الوسخة لقربها فى صهاريج عالية بين جبال الشيلى ، يبلغ طوله ٣٠٠ كيلو متر ، هذا وان للشركة سكة حديد خاصة يبلغ طولها ٦٥ كيلو متر ، عدا ٨٥ ميل خطوط كهربائية تسير فى أنفاق تتفرع الى عشر أنفاق أخرى داخل الجبل وان فى سيول وحدها ٨ سرايات لكبار مديرى الشركة و ٥٦ فيلا حرف (ا) و ٤٨ فيلا حرف (ب) و ٩٩ فيلا حرف (ج) و ١٥٠٠ منزل للعمال المتزوجين البالغة نسبتهم ٣٥ ٪ من مجموع الموظفين ، ثم معسكر خاص للعزاب ومتوسط كسب العامل يوميا ٢٢٫٥ ريال ويرتفع مرتبه الى ١٠٠ ريال فى اليوم وفى

المعسكر مستشفى عام وثمانية مراكز تعادل مراكز الصليب الأحمر فى المعسكرات يديرهـ ١٤ من أمهر الأطباء . وقد علمت بعد البحث ان مستشفى سيول من أحسن مستشفيات الشيلى وتعالج فيه كل الأمراض بما فى ذلك الزهرى والسرطان وله قسم خاص بأمراض النساء والولادة وكذلك حجر عمليات مجهزة بأحدث الآلات المصرية، ولكن تواضع المستر تورنر منعه عن ذكر تلك التفاصيل الهامة ، والتعليم هناك اجبارى ومجانى لأبناء العمال وعندهم ثلاثة مدارس وأخرى صناعية حكومية ، يتلقى فيها كلها حوالى ٣٠٠٠ تلميذ ، ويبلغ عدد النوادى ٦٠ وعندهم ٦ برك سباحة وميدان للجمباز يتمرن العمال فيه على كرة القدم ، والجولف ، والتنس ، والباسكت بول ، والهوكى وضرب النار الخ ...

هذا وقد زرت منازل العمال بصفة سرية فوجدت حالتها على ما قال المستر تورنر فقد أظهروا ارتياحا عظيما لمساكنهم اذ أنها تعادل مساكن الفئة المتوسطة فى المدن . ولا أريد أن أختتم حديثى هذا دون أن أسجل جزيل الشكر لمدام شامى التى لم يمض على زواجها أكثر من شهرين ، وهى سيدة جميلة الروح والجسم فقد قدمت لى أوتوموبيلها مع سائقه تحت تصرفى .

وفى عام ١٩٤٦ سافرت الى نيويورك حيث التحقت بصحيفة « الهدى » العربية لصاحبها سلوم مكرزل وقمت بجولة صحفية لموافاة الصحيفة بأخبار الجاليات العربية من جميع ولايات امريكا المتحدة من الشرق الى الغرب والجنوب الى الشمال والى كندا لأكتب عن نشاطهم الاجتماعى والتجارى وكان من أطرف مشاهداتى ان وجدت فى مدينة فربانكس المشهورة بصيد الثعالب للمتاجرة فى جلودها « الفرو » الشهيرة اثنتى عشر عائلة من الجالية العربية يقومون بشتى الأعمال التجارية وخلافها ماعدا ثلاثة أشخاص منهم ممن قضوا سبعة وعشرين عاما فى البحث عن الذهب أو البترول ولم تساعدهم الظروف بالعثور عليه الى ذلك الوقت الذى رأيتهم فيه فهذا دليل على منتهى المغامرة فى سبيل الثراء العاجل — وفى مدينة ادمنتون من ولاية البرتا وجدت الجالية العربية فيها جميعهم من المسلمين وقد أقامت سيدة سورية محسنة مسجدا من أجمل المساجد التى رأيتها .

السادة الصديق المهدى وعبد الله خليل ومحمد صالح الشنقيطى يستمعون لقضية السودان فى مجلس الامن عام ١٩٤٧

التحاقى بهيئة الأمم المتحدة

وبعد عودتى من هذه الرحلة الى نيويورك تفرغت لاصدار دليلى الثالث عن باقى دول امريكا الوسطى وجزر خليج الكاريبيان فشمل : اتتيقوا ـ كوبا ـ كوستاريكا ـ جزيرة دومنيكا ـ غواد الوبى ـ قواتيمالا ـ غيانا البريطانية ـ غيانا الفرنسية ـ غيانا الهولندية ـ هندوارس البريطانية ـ جمايكا ـ مارتنيك ـ ميكاراغوا ـ بناما ـ سنت دومينيقو ـ بورتوريكو ـ جزيرة سنت كيتس ـ سان سلفادرو ـ ترينداد ـ المكسيك ـ وطبعته فى نيويورك عام ١٩٤٧ فلقى اقبالا عظيما ثم أنشأت مكتب الصحافة العربية الامريكية وأصبحت صحفيا معتمدا لدى هيئة الأمم المتحدة فى ليك سكسس وفى تلك السنة أصبحت أيضا مراسلا لعدة جرائد فى القارة الامريكية .

الوفد السوداني الاستقلالي

تهاون المصريين — فشل التوحيد — حزب الامة وقوته والمهدي وسلطته

« بقلم الاستاذ احمد مطر »

المرآة — انقطع الاستاذ احمد مطر عن تجواله ونشر اختباراته عن احوال الحوالي على اثر وصول الوفود المصرية والسودانية الى نيويورك لعرض قضيتي مصر والسودان على مجلس الامن لجامعة الامم المتحدة . وبما ان الاستاذ مطر هو احد المجاهدين القدماء من جمعية « اللواء الابيض » وقد كان معتقلا مع صاحب الدولة النقراشي باشا والاستاذين المحاميين الدكتور احمد اسماعيل وتوفيق احمد البكري كما ان الاستاذ اسماعيل الازهري رئيس وفد وحدة وادي النيل كان له رفيقا في الدراسة الابتدائية تحتم على الاستاذ مطر ان يلغي رحلاته ويتكاتف معهم في العمل . وقد قابل الوفد الاستقلالي الذي تربط بعض اعضائه علاقات ودية مع بعض افراد عائلته . واننا ننشر له الان الحديث التالي —

وصل في الاسبوع الماضي الى نيويورك وفد سوداني جديد مؤلف من اربع شخصيات بارزة وهم الصديق عبدالرحمن المهدي حفيد السيد محمد احمد المهدي آخر محرري السودان في سنة ١٨٨١ وقد جاء بالنيابة عن والده السيد عبدالرحمن تعين بالسيخية وتتكلم الاسبانية علم لم تؤلف جمهورية واحدة ؟ —

تهاون المصريين —

وقد ذكر لنا مصري كبير في فندق « بلازا » — لقد تهاون المصريون كثيرا في نيل عطف اخوانهم السودانيين وكانوا ينظرون اليهم نظرة المستعمر المستعمل ففسحوا بذلك المجال للانكليز ان يمهدوا طريقهم السياسي تدريجا مما ادى الى التدهور وتوتر العلاقات الاجتماعية التي اصبحت بين نتيجة حاسمة اليوم وهي « الانفصال » وزاد بقوله — كان السودان دائما متاصلا ثائرا في سبيل استقلاله وهو في هذه الحالة يشبه لبنان « لا يرضى الضيم »

فشل التوحيد —

وقد تدخل اعوان الالفة وارباب الرأي نظير عبدالرحمن باشا عزام والدكتور حامد سلطان لتوحيد الوفدين السودانيين واتصل الوفد الاستقلالي بصاحب الدولة النقراشي باشا ولكن المساعي فشلت

حزب الامة وقوة المهدي وسلطته —

اما حزب الامة الذي تألف بعد الحرب فهو اقوى الاحزاب السودانية اذ انه يقوم على أسس قوية ودعائم سنية ويؤيده السيد عبدالرحمن المهدي الذي يتمتع بسلطة طبيعية موروثة عن والده وقد وطد هو دعائمها بعطفه وعنايته واهتمامه بامور رعاياه لاسيما اولئك الذين يعملون في مزارعه الواسعة في ارض الجزيرة . فهو يزورهم من وقت الى آخر وعندما يبلغ ابناؤهم وبناتهم

شركة مصر للطيران
عضو الاتحاد الدولي للنقل الجوي

MISRAIR

MEMBERS OF IATA

SSENGER TICKET & BAGGAGE CHEC

تذكرة السفر والمتاع

3

BILLET DE PASSAGE

BULLETIN DE BAGAGES

B 21210

1/2

AIR FRANCE

CIA. MEXICANA DE AVIACION S.A.

AMERICAN

ISSUED BY

THIOPIAN

AN AMERICAN-GRACE AIRWAY

SSENGER TICKET AND BAGGAGE CH

TISH OVERSEAS AIRWAYS CORPORAT

165791

AN AMERICAN WORLD AIRWAYS SYSTE

PASSENGER TICKET AND BAGGAGE CHECK

0834

ISSUED BY

TH AFRICAN AIRWAYS

BOLETO DE PASAJE

Nº 39967

AEROLINEAS ARGENTINAS

EL BOLETO ES PERSONAL E INTRANSFE-

RIBLE

OFICIA

-177-

عزام باشا يتحدث الى الصحفيين

المؤلف يتحدث الى عبد الرحمن عزام باشا

EL ORDEN

"El Orden" en su primer aniversario saluda al Presidente de la República, Excmo. señor Juan Antonio Ríos

النظام

تذوقوا بلاغة لغتكم

E'cos da embaixada do samba

MARILIA BAPTISTA FOI HOMENAEGADA

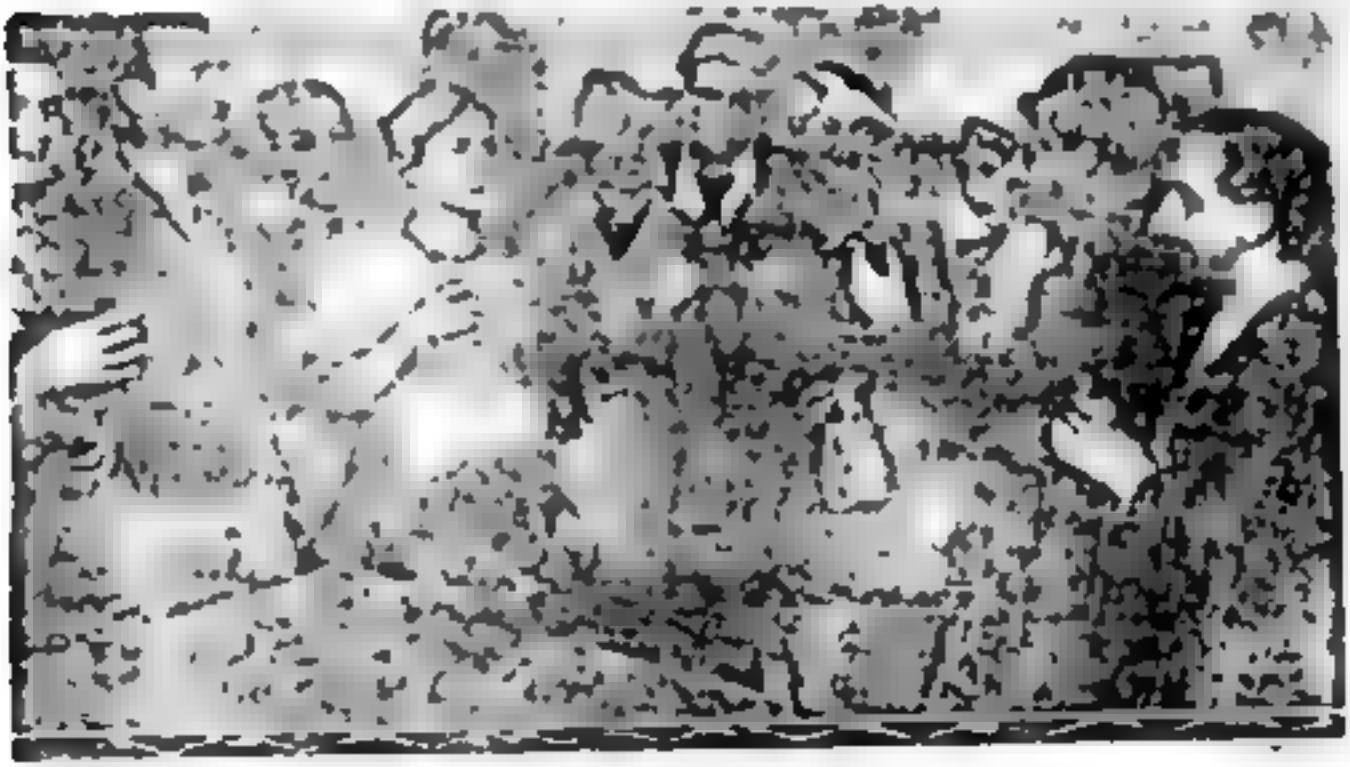

A embaixada do samba, dizem uns, fez brilhante sucesso no Uruguay, dizem outros que não correspondeu a expectativa. Despeito? Maldade? Falta de patriotismo? Qui lo sa?

A photographia que illustra estas linhas é um aspecto da homenagem prestada pela radio-emissora "El Mundo" ás cantoras brasileiras Marilia Baptista e Ivonne Rabello, em Montevideo. No grupo vê-se as homenageadas, o dr. Baptista, pae de Marilia, o reporter De Barros e outros componentes da embaixada do samba no Uruguay.

Marilia e Yvonne foram as unicas que ficaram num hotel, fóra da concentração. Marilia, durante o tempo que esteve no Prata, defendeu-se cantando [illegible] e [illegible], graças ao auxilio do chronista João da Rua.

بعض اعضاء سفارة رفعت اسامها الى الاوروجواي ويرى المؤلف الثالث من اليسار

مازق فى الامم المتحـدة

وبحكم عملى فى أوساط الأمم المتحدة ونتيجة لاتصالاتى برجال الهيئة ووفود الدول المعتمدة لدى المنظمة كانت أغلب وفود الدول التى لم تنل الحكم الذاتى أو وفودها معارضة لحكوماتها تلجأ لى لتقديم المساعدات والقيام بالدعاية اللازمة لهـا لبسط قضيتها وتقديم حججا للهيئة وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر وفد الصومال ومصر والسودان . وفى أثناء عرض قضية مصر جاءنى مصطفى مؤمن من جمعيـة

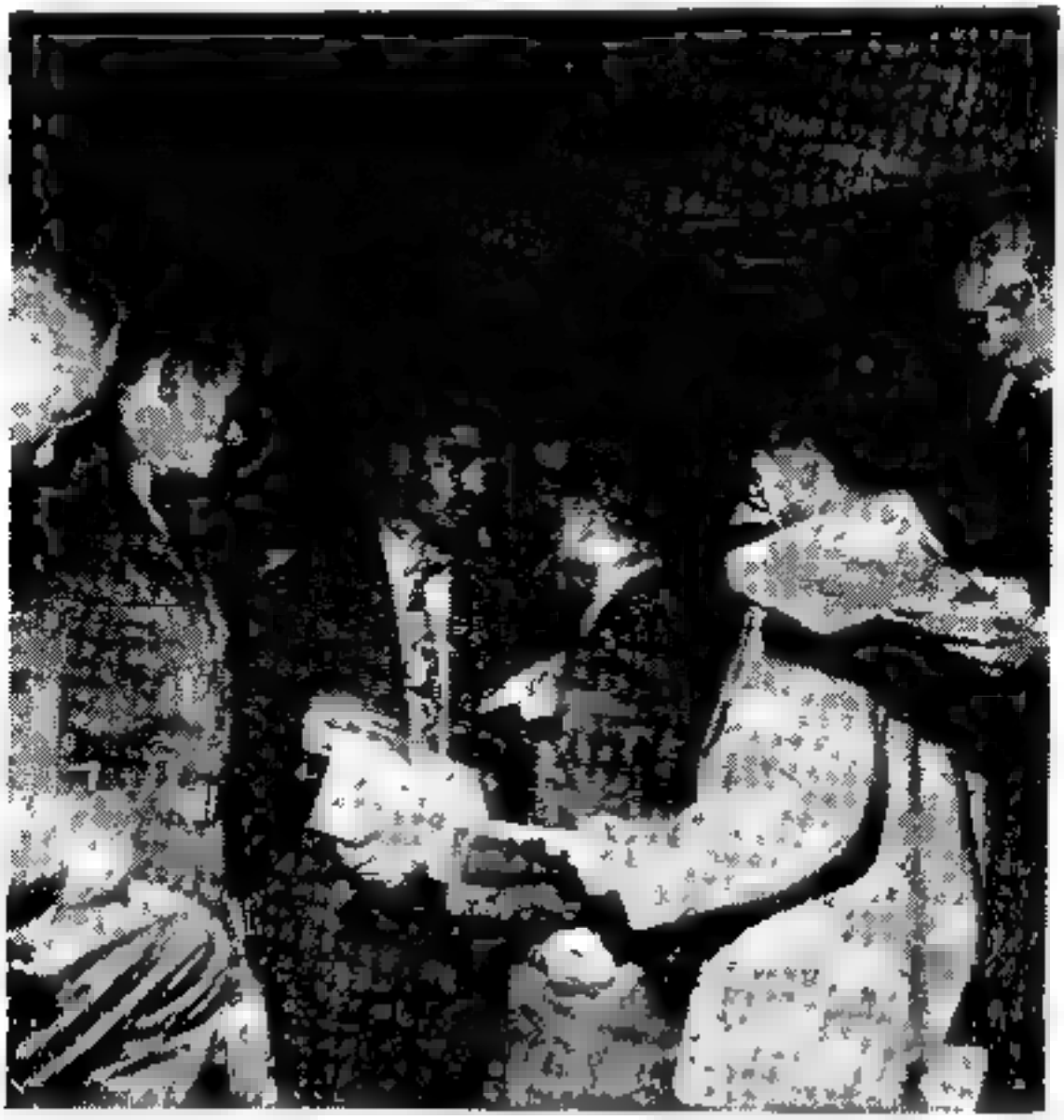

المؤلف معه البوليس السرى وقد التف حـولهما الصحفيون
ينصحون مصطفى مؤمن بالخروج من حضرة الامم المتحدة

الاخوان المسلمين بمصر وكان مغضوبا عليه من الحكومة وطلب مني أن أعينه في الاتصال بأجهزة الدعاية والوفود وبما انه لم يكن متفقا مع الحكومة المصرية آنذاك فقد أوعزت الحكومة بمنعه من حضور جلسات مجلس الأمن الذى ينظر القضية فرجاني أن أدبر له تذكرة لحضور جلسة كان النقراشي باشا مندوب مصر سيتحدث فيها ، وقد تمكنت من الحصول على التذكرة له وبدأت الجلسة وأخذ النقراشي يعرض وجهة نظر الحكومة المصرية وهنا انفجر مصطفى مؤمن مقاطعا وأخرج من جيبه عريضة مكتوبة بالدم وقال هذه العريضة مكتوبة بدماء أبناء وادى النيل وكانت في مضمونها معارضة ومهاجمة للحكومة المصرية فهجم عليه البوليس وأراد اخراجه ولكنه قاومهم وعض أحدهم في يده الى أن أدمت ، ثم أرادوا أن يخرجوه من ليك سكسس فلجأ لي البوليس وهمس في أذني قائلا « يا مطر نحن نعلم انك قد أحضرت له التذكرة وخير لك أن تعالج خروجه والا أصابك ضرر » . وذهبت اليه وأقنعته بالخروج وأخذنا سيارة أجرة الى نيويورك حتى فندق البلازا حيث كان ينزل وعندما عدت الى ليك سكسس أخبرني البوليس ان عفش مصطفى مؤمن خال من أي متفجرات أو قنابل وانهم قد تمكنوا من فتحه واعادته مرة أخرى في الفترة ما بين وقوع الحادث في ليك سكسس ورجوعه الى نيويورك .

وليست مهمة مجلس الوصاية مقتصرة على فحص هذه التقارير بل انه يعين بعثات تزور هذه المناطق فزارت مثلا بعثة في عام ١٩٤٧ سامبوا الغربية وزارت أخرى في عام ١٩٤٨ تنجانيقا ورواندا أورندي كما زارت في نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٤٩ بعثة الكمرون وتو . °لد الواقعتين تحت ادارة بريطانيا وفرنسا .

وفي ربيع عام ١٩٥٠ زارت بعثة أخرى سامبوا الغربية وغينيا الجديدة وجزر الباسفيك .

وبالاضافة الى ذلك فان مجلس الوصاية يبحث ويقرر في الشكوى التي تصل اليه من الأراضي الواقعة تحت الوصاية وقد وردت من هذه الشكاوى الكثير .

ويتقدم مجلس الوصاية كل عام بتقرير الى الجمعية العمومية يقوم على أساس ما ورد من التقارير وأبحاث البعثات الزائرة والشكاوى وغيرها وفى تقريره الى الجمعية العمومية يلخص المجلس نتائجه وملاحظاته عن الحالة فى الأراضى الواقعة تحت الوصاية ، ويدرس هذا التقرير فى اللجنة الرابعة للجمعية العمومية ـ وهناك لكل مندوب الحق أن يبدى رأيه فى صراحة .

وقد لعبت فيه الوفود العربية دورا هاما وتبوأ بعض أعضائه مراكز بارزة أهمها مركز الأستاذ شارل مالك الذى ضرب المثل بفلسفته ورزانته وقدكان رئيسا للمجلس الاقتصادى الاجتماعى والأستاذ فارس بك الخورى الذى أدهش العالم بدفاعه فى مجلس الأمن ولقد كان رئيسا له وسمو الأمير فيصل الذى كان موضع احترام واجلال كل الوفود قاطبة بما له من رأى ثاقب وبعد نظر وفاضل بك الجمالى الذى كان يسمى صوت العرب أما مصر فجاء منها قوم غيروا اعتقاد الغربى فى الشرقى وأصبحوا ينظرون اليه بعين التقدير والوزن وكفى ما قام به صاحب السعادة محمود فوزى المندوب الدائم فى الهيئة من كفاح وجهاد مستمر أكسبه اعجاب الجميع .

هذا وان الواجبات والمسئوليات الملقاة على أعضاء الأمانة العامة هى دولية بحتة وكل عضو فيها مهما كانت قوميته يعتبر موظفا مدنيا دوليا يخدم العالم وفى خدمة كهذه يكون قد أدى أكبر خدمة لبلاده ذاتها .

الفصل السابع

عملى فى السلك الدبلوماسى المصرى

بعد عودتى الى مصر بعد رحلتى حول العالم التى انتهت فى أوائل عام ١٩٥١ عينت من قبل الحكومة المصرية ملحقا صحفيا للمفوضية المصرية فى الأرجنتين وكان الواسطة فى ذلك الصديق العظيم والوطنى الحر المكافح عبد الرحمن عزام باشا وسافرت اليها فى صحبة الوزير المفوض الأستاذ حسن محرم وفى أثناء ذلك أنشأت مفوضية فى سنتياجو شيلى فى يوليو من تلك السنة وافتتحها الأستاذ رشاد مراد القائم بالأعمال والقنصل العام فيها ثم عدت منها بالأجازة فى يونيو عام ١٩٥٢ وعند وصولى مصر علمت انه قد استغنت الحكومة عن الملحقين الصحفيين فى السفارات

سفير الاجينتين فى تشيلى جلس يتحدث الى المؤلف بينما يقرأ محمد نجيب الرئيس السابق نسخة من احدى الاتفاقيات بين مصر والأرجنتين

الخارجية وبينما أنا فى مصر قامت حركة الجيش فى اليوم الثالث والعشرين من شهر يوليو ١٩٥٢ فتغيرت بذلك الأحوال فكان صديقى محمد نجيب الذى ذكره عبد القادر يقود الحركة وها هو نجيب الذى كان يشجعنى على الخدمة فى مصر قبل ٢٠ سنة فكان من اثر ذلك أن أعادنى الى الخدمة مرة أخرى وقضيت اجازتى فى السودان ثم عدت الى مصر فى سبتمبر ١٩٥٢ ومنها سافرت الى بونس ايرس وفى هذه الفترة أنابت الحكومة المصرية الدكتور حسن محرم وزير مصر المفوض لدى حكومات الأرجنتين وشيلى وأراجواى بأن ينوب عن مصر وسوريا فى المؤتمر الدولى للمواصلات اللاسلكية كما انتدبته الحكومة أيضا لحضور حفلات تسليم رئاسة الجمهورية الشيلانية للمرة القادمة من السيد غونسالس فيديلا الى الرئيس المنتخب الجنرال أبانيس فى نوفمبر من تلك السنة وقد حضرت بعثات سياسية من تسع وأربعين دولة و شتركت مع الأستاذ مراد رشاد فى هذه الحفلات الفخمة بوصفى فى السلك التمثيلى ولصداقتى القديمة بالرئيس الجديد الجنرال كارلوس ابانيس دل كامبو كما أقيمت صلوات فى الكنائس لانتصار حركة انجيش فى بونس ايرس وانتخبت مصر من ٩٢ دولة عضوا بمجلس ادارة اتحاد المواصلات السلكية واللاسلكية وهو مؤلف من ثمانى عشرة دولة وقد مثل مصر فيه المهندس جميل محرز مدير الادارة للتلغرافات المصرية والمهندس أنيس المطبعى ، كان لى فى كل ذلك يد .

وفى فبراير من عام ١٩٥٣ عدت الى مصر بالاجازة وبانقضائها انتدبت للعمل فى وزارة الخارجية المصرية لمدة شهرين على أن أصحب الرئيس اللواء محمد نجيب أثناء رحلته الى الوجه القبلى — وفى مايو من تلك السنة ترقيت الى وظيفة مستشار صحفى لأمريكا اللاتينية (بونس أيرس) وريودى جانيرو وملحقاتها بمرتب سكرتير أول بالسلك الدبلوماسى وسافرت الى بوينس ايرس فى مايو وفى يولية عدت بصحبة وفد الصحفة الأرجنتينية لحضور حفلات التحرير برياسة الصحفى الأرجنتينى السنيور امريكو باريوس الذى حمل رسالة من الرئيس بيرون وهدايا ونيشان الصليب الأرجنتينى للاستحقاق العسكرى وصدر مرسوم بذلك جاء فيه ان الرئيس نجيب « قد استحق تقدير كل الأمة وعرفانها » وقد احتفل البرلمان الأرجنتينى بمرور عام

على حركة التحرير المصرية ووافق على رفع المفوضية الأرجنتينية فى القـــاهرة الى سفارة وقد قمت باصدار كراسة باللغة الاسبانية عن «مصر اليوم» تحتوى على مقالات وصور عن نهضة مصر وحركة التحرير فى سنتها الأولى ــ وقد اختار الرئيس محمد

وقف الجنرال بيرون رئيس جمهـــورية الارجنتين سابقا بين المؤلف والسيد امريكو رئيس الوفد الصـــحفى الارجنتينى لاحتفالات يوليو سنة ٥٣

نجيب من المتحف الحربى المصرى بندقية أثرية وخنجرا وسكينا مطعمتان بالفضة وعصاه سودانية من خشب ثمين وسيفا مرصعين بالصدف وطربوشا لاهدائهما الى الجنرال بيرون رئيس جمهورية الارجنتين ردا لهديته كما أقام الرئيس نجيب بمنزله حفل شاى للصحفى الأرجنتينى الذى رفع لسيادته مجموعة من الصحف الأرجنتينية التى صورت فى صفحاتها الأولى أنباء حفلات أعياد ثورة مصر القوميةوقد كنت أقوم بالترجمة بين سيادة الرئيس والصحفى الأرجنتينى الكبير وبعد انتهاء حفلات التحرير سافرت فى أغسطس صحبة مبعوث الجنرال بيرون وأعضاء الوفد وكانت معنا بالطائرة هدية نجيب للجنرال بيرون على أن يسلمها وزير مصر المفوض فى الأرجنتين الأستاذ حسن محرم ويقدمها للرئيس بيرون فى حفلة رسمية ومعها أيضا رسالة من الرئيس نجيب تعرب عن أمله الكبير فى دوام علاقات المودة الأكيدة والصداقة البريئة بين مصر والأرجنتين لخير البلدين ومصلحة شعبيهما .

وبوصولنا بونس ايرس تقدم الوزير المفوض المصرى السيد حسن محرم بالهدايا فى حفل فخم بقصر الرئاسة تسلم فيها الرئيس بيرون الهدية والرسالةوتبودلت فيها الخطب المناسبة .

ولما كان حضرة الوزير السيد حسن محرم قد رقى سفيرا لمصر فى اليونان فقد أقيمت على شرفه عدة حفلات رسمية وخصوصية وقد أنعمت عليه حكومة شيلى بوسام الاستحقاق من درجة الصليب الكبير فى حفل عظيم وخطب فيه الوزير موجها الشكر الى الجنرال أبانيس رئيس الجمهورية الشيلانية ثم غادرنا السفير السيد حسن محرم مع أطيب التمنيات الى مقره الجديد فى أثينا .

هذا وقد خلفه كوزير مفوض فى الأرجنتين الأستاذ محمود محرم حماد مندوب مصر فى مجلس الوصاية التابع لهيئة الأمم المتحدة على الصومال وقد وصل سيادته الى بونس ايرس فى اليوم الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٥٣ هذا وقد عمد سيادته منذ حلوله فى المفوضية على ابعادى عنها بشتى الطرق الكيدية ووصل فى ذلك حدا لا يرتضيه من كان مثلى بعد كل الخدمات الجليلة التى أديتها لمصر فيكفينى أن ينعتنى بى بربرى يا سودانى ولى فى ذلك عظيم الشرف .

صفحة تطوى
كيف رفت وعدت الى العمل
فى ظرف نصف ساعة

كنت موظف بالخارجية المصرية وكان عملى ملحقا صحفيا بسفارتها ببونيس ايرس وكانت أهم أعمال منصبى هى الدعاية الواسعة النطاق فى الجرائد ، وفى عقد المؤتمرات الصحفية وغيرها من الأعمال .

وقد أديت لمصر فى هذا الميدان خدمات جليلة . فقد كانت معرفتى بايفا بيرون منذ أن كانت ممثلة فى الراديو قد فتحت الطريق أمامى لتتوثق صلاتى ببيرون رئيس جمهورية الأرجنتين عندما اقترن بها وبالتالى توطدت صلات السفير برئيس جمهورية الارجنتين عن طريقى ونتيجة لذلك فقد كانت الأمور تسير سيرا حسنا بين مصر بالسلك السياسى وسافرت الى بونس ايرس فى مايو وفى يوليو عدت بصحبة وفد الصحافه الأرجنتينية لحضور حفلات التحرير برئاسة الصحفى السيور لويز ماريا الياموت الذى حمل رسالة من الرئيس بيرون وهدايا ونيشان الصليب الأكبر والارجنتين حتى اننى كنت أقابل « بيرون » فى السادسة صباحا متى ما أردت فى مكتبه

ولتوثيق العلاقات الطيبة بين مصر والأرجنتين فقد اصطحبت وفدا من الصحفيين الارجنتينيين الى مصر لحضور احتفالات عيد التحرير وكان ذلك فى عام ١٩٥٣ .

وللارجنتينيين عادة هى انهم لا يتناولون طعامهم الا اذا شربوا « البيذ » فاتصلت بالصاغ صلاح سالم راجيا منه العمل على احضار نبيذ للصحفيين ورغم انه قد وعد مرة وثانية الا انه لم يف بوعده .

وانتهت أعياد التحرير وآن للصحفيين أن يعودوا الى بلادهم وعندما حزمت حقائبى للسفر معهم لمكان عملى أمرنى صلاح سالم ان أبقى فى وزارة الخارجية ولا أسافر وطلبت منه أن أعود بالوفد الذى أحضرته معى ثم أقفل راجعا الى مصر ورفض الصاغ صلاح سالم ثم قال أنا عاوزك هنا فى الوزارة عشان تبقى وكيلى ولكنى أفهمه ان واجب اللياقة يقضى بأن أعود بالوفد الذى أحضرته ثم أعود

وصرخ الصاغ : اما أن تبقى أو تعتبر نفسك مستقيل . واعتبرت نفسي مستقيلا وخرجت وبالصدفة قابلت صديقي محمد نجيب الذي كان في طريقه الى مكتبه فسلمت عليه وقلت : مع السلامة أنا خلاص رفدوني من الخارجية ، فقال من الذي رفدك ؟ قلت : صلاح سالم فقال : ازاي ؟ هوه ده كلام ؟ تعال معاي . وتبعته الى مكتبه .

وكان مكتب صلاح سالم بالقرب من نجيب في قصر عابدين فاستدعاه اليه وحدثه بشأني وتصافينا وقبلني صلاح على رأسي مسامحا. وقال: « عد الى عملك وفقك الله » فسافرت الا انه استدعاني ببرقية في ديسمبر سنة ١٩٥٣ ووصلت القاهرة في فبراير من نفس السنة فأقالني .

وفي تلك الأيام بدأ الخلاف بين محمد نجيب وبقية أعضاء مجلس الثورة يطفو على السطح ولكني لم آمن صلاح سالم ولم أثق فيه وفي ٢٤ فبراير ودعت نجيب ونويت السفر الى السودان والغريب ان هذه كانت أول رحلة لي بالقطار والباخرة لأرتاح قليلا وأصل الخرطوم يوم ٢٨ فبراير وأحضر افتتاح البرلمان السوداني في أول مارس ولكن في يوم ٢٥ منه وأنا في الشلال حملت الينا الجرائد استقالة محمد نجيب وحلت أن يكون الصاغ صلاح سالم متتبعا لأمري وصدق ظني حينما تقدمت بالباسبورت في الشلال فسألني الضابط : انت أحمد حسن مطر ؟ قلت نعم قال : معي أمر بالقبض عليك ووضعت تحت حراسة الأورطة وعدت بقطار المساء يحرسني اليوزباشي فتحي — وكان الضابط المرافق لي — وقد كان لطيفا معي للغاية وعندما وصلنا الى القاهرة رجوته أن يأخذني الى فندق سميراميس فلم يمانع وهناك اتصلت تليفونيا بعلي البرير وعمر عبد الباسط زياد وأحمد الطيب عبدون وأخبرتهم بنبأ القاء القبض علي وطلبت منهم عمل اللازم وأذكر انه في ذلك الوقت كان هناك وفد سوداني برئاسة خضر حمد يزور القاهرة — وبعد ثلاثة أيام من اعتقالي زارني عمر عبد الباسط وكان يحمل « كسرة وملاح » بدعوى انني مريض لا أتناول غيرهما ومع طيات الكسرة كانت هناك ورقة صغيرة تقول . الفرج قريب .

وفي يوم ٢٧ فبراير عاد محمد نجيب الى الحكم مرة أخرى فأمر بالافراج عني ولكنه لم يأمر بسراحي الا في يوم ٢٨ فأخذت طريقي الى السودان بالطائرة ولم أعد بعدها الى مصر .

بريد المهاجر

جولة بين الجوالي في اميركا

يقوم المنسق احمد حسن مطر بجولة بين الجوالي اللبنانية والسورية في الديار الاميركية حيث يشاهد المهاجرين وابنائهم وبيوتهم واعمالهم ويتحدث بنبأ. وايصاله الى جريدة الهدى النيويورسكية فيجمع مشاهداته وملاحظاته التي رغبنا في نشرها عن الجوالي، في بريد المهاجر نظراً لما رأينا فيها من الفائدة.

اننا ننشر هذا التقرير الطويل في مسؤولية صاحبه لكي نختصره من الاخبار عن اخواننا المهاجرين.

ومهما يكن من امر، فان هذا التقرير، الذي يتوقف اكثر ما جاء فيه على الامور الخاصة قد توفق الى حد بعيد في نقل الحالة التي يعيش فيها اخواننا هناك.

واليك الكلام للمنسق الجوالة:

في وترية اوهايو

تقطن طوليدو جالية ضربت رقماً قياسياً في التقدم بين جواليات، وبساعة موظفين بوسطة واحساني رغبة كثيرة لسراة في الحكومة المحلية للولايات المتحدة وواحد وليس ثم غيرهم في البوليس، ورغبة في المطاعم احدهم يرئيه زعيم، ومدير اكبر فندق هو بولس حكيم وفاكهاني ناجر خضر بها هو بولس فارس واكبر محل

ولوا. اما مناسار الجالية هناك فهو جورج افندي صباغ احد موظفي مصلحة البريد والمهم بامر الجالية الادبي والفني فهو الخطيب والمدافع والمدير والمدير، له مركزه لا ينازعه به احد.

لحساب بيطاغو

شكا فوجي ناي من الولايات المتحدة وكان في صحبتنا هناك سعد صادر الخطيب والمحامي الذي تحدث بعد الانتهاء منه الى توطيد العلاقات بين العرب والاميركان ورفع مستوى شاتنا وتعريفهم عليها مساً. ورئيسها اليوم هو السيد امين ابو نوم واعضاء ادارتها هم السادة امين ابو زيد وجبران ابو نوم، وديع الصايغ ونوم سيمي ومبشاء طويل وداود ابو يونس وبشاره حبايبي. هذا وقد امتد عرض الجالية الى مساعدة الصليب الاحمر ومساعدة منكوبي الفيضان في طوليدو ثم اشترت طائرة حربية "" "" الى مدافع.

ومن اعضائها البارزين السيد حنا صاحب معامل صنع الكنبا كما وكان حضرة رئيساً التحالف السوري اللبناني في الولايات الوسطى وهو من الرعيل الاول. وقد قدم له الجالية ساعة ذهبية اعترافاً بفضله وعمله الجم

وان اعظم شخصية تمر على [illegible]

TIFICADO DI RISERVISTA DE
Nº 19079
PASSAPORTE
PASSEPORT
Republica dos
Estados Unidos do Brasil
République des
Etats-Unis du Brésil
RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
RÉCÉPISSÉ
DE DEMANDE DE CARTE D'IDENTITÉ

الفصل التاسع

كيف عدت الى السودان

لقد أتاحت الحرب الثانية الفرصة لى عن غير قصـــد أن أعمـل الى جانب الديمقراطيات عندما أنشأت جريدة « النظام » فى سنتياجو (الشيلى) على أنقاض جريدة الاصلاح التى كانت تنحو الى مناصرة النازية تحت ادارتها السابقة برئاسة السيد أبو صباح الذى كنت أعمل معه فيها وكان من اثر تلك المعاونة الأدبيـة ان وصلتنى عدة خطابات شكر وتقدير من سفراء الولايات المتحدة والمملكة المتحـدة الذين خدموا فى تلك البلاد ولكن لم أعمد من جانبى لاستغلالها لازالة الموانع التى تعترض عودتى الى بلادى .

ولكن حدث فى عام ١٩٤٧ وقد كنت صحفيا معتمدا لدى هيئة الأمم المتحـدة فى ليك سكس أن حضر الى نيويورك الوفدان السودانيان برئاسة السيد اسماعيل الأزهرى وعضوية ابراهيم المفتى والدرديرى أحمد اسماعيل وعمر الحليفة عبد الله وتوفيق البكرى عن جامعة الاتحاد مع مصر من جانب والسيد الصديق المهـدى والاميرالاى عبد الله خليل والسيد الشنقيطى والسيد محمد أحمـد محجوب عن الجبهة الاستقلاليه من جانب آخر .

وقد كانت فرصة عظيمة حقا أن أتقابل مع مواطنى من السـودانيين فى امريكا بعد تلك المدة الطويلة وان أرى بعينى رأسى السودان ممثلا فى أشخـاص الوفدين ماعين لاسماع أصواتهم للعالم عن طريق هذه المؤسسة العالمية لا سيما وان السيد اسماعيل الأزهرى كان زميلا لى فى الدراسة الوسطى وقد كان لقاؤنا فى مطـار « لاجواردیا » من أسعد ساعات حياتى كما سرنى أن يكون السودان قد وصل الى هذا المستوى من النضج السياسى وكان عهدى به رازحا تحت الحكم الثنائى فشعرت بزهو ما بعده زهو وكانت الحادثة من أهم الأسباب التى حملتنى على محاولة العودة للسـودان وزاد حنينى الى الوطن فلم يعد يهدأ لى بال وبدأت أشعر بالغربة تخفق فى

جوانحي وزادني فى ذلك الحاج السيد محمد أحمد محجوب والسيد الصديق وما صوروه لى من مستقبل باهر ونجاح عظيم فى العودة .

فبدأت اتصالاتى أولا بالسير الكسندر كادوجان المندوب الدائم للمملكة المتحدة لدى هيئة الأمم المتحدة ولكنه قال لى : يا مطر انت تعلم ما أنا الا مندوب هنا وخير لك أن ترى المستر ديفز وزير المستعمرات البريطانى الذى كان موجودا فى ذلك الحين فى ليك سكس ولكن هذا بدوره قال لى : أنا وزير مستعمرات والسودان ليس مستعمرة بل ان بريطانيا وصية عليه ...

وبعد أن عرضت عليهما مشكلتى اعتذرا فى لباقة بأن موضوعى خارج عن دائرة اختصاصهما ولكنهما يعطفان على موضوعى اذا ما طلب منهما أن يقولا شيئا فى حقى من لندن . ثم حاولت عن طريق السيد الصديق المهدى الذى قابلنى بالقنصل العام البريطانى فى نيويورك وأظهر استعداده أن يوقع ضمانا كتابيا يتحمل المسئولية نيابة عنى اذا ما رفع القنصل العام هذا الموضوع الى لندن يطلب السماح لى العودة للسودان ولكن القنصل بدوره رفض التدخل لأن السودان لم يفوض بريطانيا باعطاء تأشيرات أو خلافه ولا يقع فى اختصاصه أيضا وهكذا أخفقت أولى المحاولات .

وفى عام ١٩٤٨ بانتقال هيئة الأمم المتحدة الى باريس حضرت لمتابعة عملى الصحفى وهناك تقابلت أيضا مع وفد من السودان منهم السادة على البرير وابراهيم المفتى وخضر عمر ويعقوب عثمان وأمين التوم وزين العابدين شريف فعملت معهم وقدمت لهم كل ما يحتاجونه من معونة أدبية فى دائرة عملى الصحفى بل اشتركت معهم فى عداد بيان لهيئة الأمم المتحدة يطالبون فيه استفتاء السودان فى نوع الحكم وقد دعوتهم خارج باريس على بعد ٤٠ كيلو متر فى منزل صديق لبنانى لأهيىء الجو للمحادثات .

ووصل باريس المستر هكتور ماكنيل وزير الدولة البريطانى رئيسا للوفد البريطانى فى هيئة الأمم المتحدة وجددت المحاولة مع أصدقائى الصحفيين بعد عقد مؤتمر معهم وهم السادة توم لنل مدير وكالة الأنباء العربية الآن والذى يرجع اليه الفضل الأكبر فى عودتى الى السودان وعابد بو حافه وفراى مندوب رويتر وعمر متز مندوب جريدة

السايس مونيتور وعيسى القرشى مندوب جريدة الجورنال الامريكان وخمسة عشر صحفيا آخرين وقر الرأى على مقابلة المستر هاكتور ماكنيل فحاصرنه فى احدى غرف سراى شايو وقد قام بالحديث نيابة عنا جميعا توم لتل وبعد أن فكر المستر هيكنور ماكنيل قليلا نادى المستر مورجان قنصل انكلترا فى دمشق والملحق بوفد المملكة المتحدة لهيئة الأمم فى ذلك الوقت ، وقال له « شوف من فضلك ان المستر مطر يرجع الى السودان » وهنا دوى التصفيق الحاد مع الشكر الجزيل وسرنا الى مكتب مستر مورجان وقام توم لتل بكتابة المذكرة نيابة عن الصحفيين والطلب نيابة عنى وسلمهما للمستر مورجان . وبعد ثمانية أيام وصلنى خطاب من المستر ميل وكيل

صورة المذكرة التى قدمها توم لتل ووقعها الصحفيون الاصدقاء

مذكرة عن احمد حسن مطر :

أود أن ألفت انتباه السلطة البريطانية مرة أخرى الى قضية أحمد حسن مطر السودانى الأصل ويحمل الآن الجنسية البرازيلية والذى قد أبعد من السودان لفترة تربو على الثلاث والعشرين عاما وذلك بسبب نشاطه الوطنى الذى أقحم فيه نفسه أيام شبابه .

وليس هناك أدنى شك من انه فى فترة ما أصبح هناك اعتقاد سائد بأن للسيد مطر ضلعا فى حادث مقتل السردار سيرلى استاك . وتبعا لهذا فقد قصد مطر الى موسكو حيث تحوم حوله شبهات الدوائر الرسمية بميوله الشيوعية . وعلى العموم فقد مضى أكثر من ربع قرن منذ أقلع عن النشاط الوطنى وأكثر من عشرين عاما منذ ذهابه الى موسكو . ولعل قمة ما وصل اليه نشاط مطر السياسى كان خلال الخمس وعشرين عاما التى قضاها متجولا فى أنحاء العالم ــ ولقد طاف مطر من الصين شرقا الى امريكا الجنوبية غربا . وفى تلك الأخيرة قضى الجزء الأكبر من سنى حياته فى المنفى ــ وهناك كون صلات حميدة مع السلطات البريطانية وحصل على شهادات الكثيرين منهم نظرا لما كان يقوم به من خير دعاية لصالح بريطانيا . وليس هناك شك فى انه كان يحاول بكل ما أوتى من نشاط لكسب صداقة البريطانيين ولكن هذه فى حد ذاتها تشير الى مدى التغير الذى طرأ على مطر منذ ذهابه لموسكو .

وحقيقة الأمر فان مطر يسعى الان للبعد عن أى معتقدات سياسيةقوية عدا تلك التى تعبر عن رغبته فى الابتعاد عن المتاعب • وهـو يرغب فى أن يفرض التزاما على نفسه يمنعه من المشاركة فى الحياة السياسية فى المستقبل • ولما كان برازيلى الجنسية فليس هناك أى دواعى أو سبب معقول لمنعه من العودة للسودان بتأشيرةدخول يعتمد تجديدها على سلوكه الحسن •

ويعطى السيد مطر سببين لقلقه ولهفته للعودة للسودان فأولا تقـدم السن بوالدته والتى هى بسبيل فقدان بصرها وعما قريب قد يتعذر عليها رؤيته بتاتا (ولقد توفى والده حديثا) • والسبب الآخر هو رغبته فى اصدار كتاب عن رحـلاته • ولم يسبق لأى فرد من أى قرية فى السودان ان قام بطواف مثلما قام به مطر • ويعتمـد مطر وكل أمله يتعلق فى عودته للسودان لاصدار هذا الكتاب • وهو يذكر بأنأحدى نتائج رحلاته هذه انه اقتنع بأن نظام الحكم فى بريطانيا لهو أحسن من أى نظام آخر فى دولة استعمارية •

وعلى العموم فان ابتعاد مطر المستمر من السودان لهو أسـوأ دعاية للسياسة البريطانية فى السودان فمطر صحفى يعتمد فى عيشه على حضوره للمؤتمرات الكبرى كدورات هيئة الأمم المتحدة • ورغم ميله الى حزب الأمة فان الأشقاء يجدون فيـه خير من يشيرون اليه لأى صحفى يعمل ضد السياسة البريطانية وذلك كرجل لا يزال مبعدا من السودان رغم مرور ثلاث وعشرين عاما دون محاكمته •

صورة الطلب الذى قدمه توم لتل بتوقيعى

باريس فى ٨ نوفمبر ١٩٤٨

السيد مستشار الشئون الافريقية

لنـدن

سيدى العزيز

أكتب الى سيادتكم والأمل يحدونى الى أن تتكرموا بمساعدتى لوضع حـد للحياة الشاقة التى أعانى منها بسبب ما اقترفته أثناء شبابى • وسبب ارسالى هـذا

الخطاب فى هذا الوقت هو ما علمته من القنصل العام بباريس • حيث أعيش الآن مؤقتا لتقديم بعض اعمال الصحافة ــ علمت من هذا القنصل بأنه من المتعذر الحصول ولو على تأشيرة دخول للندن ــ ولكن لو تعلمون سيادتكم أن الغرض الوحيد لحصولى على هذه التأشيرة هو أن أعرض عليكم قضيتى فأنتم ستجدون بأننى لم أنل فقط العقاب الكافى ولكن ستجدون أيضا بأننى لست ذلك الرجل الذى يستحق أن يبعد عن وطنه •

وأنا لأن مواطن برازيلى وليس هذا بسبب عدم رجوعى للسودان منذ أربع وعشرين عاما • ولكننى أبعدت من السودان لأسباب تشير اليها سجلاتكم وأعلم بأن هذه التقارير بها الكثير من المبالغة وعلى العموم فانه منذ زمن طويل وأنا أسعى للابتعاد عن محيط السياسة ــ وما أتمناه الآن هو العودة لوطنى • فمنذ ربع قرن وحيث كنت هنالك توفى والدى وفقدت والدتى بصرها تقريبا وانه ليصعب على الآن أن أتعرف على أحد من أقاربى • لهذا كله أرجو سيادتكم بالسماح لى بالعودة لوطنى

سيدى ، اذا لم يكن خطابى هذا مقنعا ، أرجو التفضل بالسماح لى بالحضور الى لندن لأعرض مسألتى ولأوقع على اقرار منى فاللاجئون السياسيون من كل أنحاء العالم قد وجدوا ملجأ فى لندن حيث وجد المحرمون والمصوص حماية طالما كانت العدالة تنتقد ذلك • وأنا لست مجرما سواء من الناحية السياسية أو الاخلاقية ولا أبغى مقاما فى لندن • ولكن أسعى فقط للسماح لى بالحضور طرفكم وعندما أقول ما أود ذكره وحصولى على الاجابة من سيادتكم فلكم الحق فى ابعادى من انجلترا مرة أخرى اذا كانت هذه رغبتكم •

وانى أتقدم بطلبى هذا لأنى أعتقد بأنكم عند رؤيتى فان الأمور ستتضح سيادتكم وتجدوننى تماما مختلفا عن ذلك الرجل الذى سجلته تقاريركم ــ وأذا كان لديكم أدنى شك فى هذا أرجو من سيادتكم الرجوع لهذه الشهادات التى أرفقها مع خطابى هذا وهى من بعض موظفيكم الرسميين بالخارج ــ وأرجو يا سيدى أن تعلم مقدار الذنب الذى يرتكب فى حق مجرم فى بريطانيا ويبعد عن وطنه وعن أهله

وعشيرته لفترة تزيد عن العشرين عاما . ان عقوبتى لعظيمة اذا لم يخطر ببالكم التفكير ولو القليل فى قضيتى هذه فيحكم على بالعيش طوال عمرى فى المنفى — وهل يا ترى تنكر الشعب البريطانى لمبادىء السماح لأحد الا سواى وهل يتنكر الانسان لهذه المبادىء للابد ؟

انى أطلب من سيادتكم السماح لى بالحضور الى لندن ومن ثم أرجو ياسيدى أن تأذنوا لى بالذهاب الى السودان .

المخلص

وبعد ثمانية أيام وصلنى خطاب من المستر ميال وكيل حكومة لسودان فى لندن يقول فيه انه بناء على توصية وفد المملكة المتحدة الموجود فى باريس قد سمحنا لك بدخولك السودان لمدة أربعة عشر يوما قابلة للتجديد وطلب منى أن أرسل جواز سفرى لتأشير عليه أو أحضر الى لندن فكانت مفاجأة سارة للغاية واحتفلت وزملائى لها احتفالا صاخبا وبعد أيام تقدمت الى القنصل الانكليزى فى باريس لعمل تأشيرة الى لندن بعد أن أطلعته على خطاب وكيل حكومة السودان فى لندن ورغم اقتناعه بهذه الوثيقة الا أنه رفض التأشيرة لدخولى لندن لأن الخطاب يتعلق بمسائل خاصة ببلاد أخرى وعليه فقد اعتزمت أن أحضر للسودان معتمدا على الخطاب دون الحصول على تأشيرة على الجواز .

عودة الغائب

وبانتهاء دورة هيئه الأمم المتحدة فى ديسمبر ١٩٤٨ سافرت من باريس الى داكار فى السنغال الفرنسى فى مهمة جريدة الهدى التيوبوركية التى أشرف اليها فى فصل سابق ومنها الى ساحل الذهب ونيجريا ولما لم تكن هناك مواصلات جوية بين نيجريا والسودان فقد صدف أن وجدت فى لاغوس استعدادا لتسيير خط جوى يربط بين عرب افريقيا والسودان وكانت أول رحلة تجريبية يقوم بها مدير شركة الطيران وكبار ضباط الشركة ولا يؤخذ بها ركاب ولكن بناء على توصية من السير JohnMcpherson مكفرسون حاكم عام نيجريا قبلت فى هذه الرحله بدون مقابل الى الخرطوم وهكذا ساعدتنى الظروف فى مسعاى للدخول وفى مسائل النقل لاتمام رحلتى الى السودان

ووصلنا الجنيبة أول بقعه من الوطن العزيز تطأها قدمى بعد غياب طويل وقضيت هنالك يوما وباقى يوم وكنت فى لهف يطغى على شعور من الحنين الجارف وتهتاج نفسى لرؤية كل ما هو سودانى وواصلنا الرحلة حتى الخرطوم وكان ذلك فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٩ ونزلت من الطائرة وأنا لا أكاد أصدق عينى وأصابتنى قشعريرة واهتزت أطرافى واغرورقت عينى بالدموع .

ويرى القارىء من هذا كم كنت مشغوفا بالعودة للسودان ومشتاقا لأهلى وذوى كما يتضح أن كل الصلات والعلاقات التى بينتها كانت تمهيدا لتسهيل العودة لهذا الوطن المحبوب وكم يؤسفنى اليوم بعد عودتى أن يقول بعضهم — ما لسبب الا لعرقلة ترقيتى : « من يعلم مطر كان بيعمل ايه فى السنين ديه كلها وده راجل مش ممكن يعتمد عليه لأنه تاركك وفقد الوطنية وزيادة على ذلك فقد كبر سنه ولا يمكن أن يهدأ ويستقر أو يعمل فى الحكومة » ولكن الحمد لله برهنت عمليا ما كنت أعمله وركنت الى الاستقرار فى خدمة الحكومة منذ سنة ١٩٥٥ .

وفى المطار كان على بعد يقف الفقيد عبد المنعم منصت ضابط المطار ومعه آخرون وقال عبدالمنعم أليس هذا مطر فرد أحدهم عليه قائلا : يا أخى وين مطر ده فى أمريكا ليه كام سنة . وعندما وصلت الى ضابط الجوازات وأخرجت جوازى لم يكن به تأشيرة الدخول فأخرجت خطاب التصديق بالدخول وقدمته لهم وقرأوا علمه اسمى فسلموا على بحرارة ولم يصدقوا عيونهم واتصل ضابط الجوازات بالسيد طاهر فريد وطلب منه الاذن لى بالدخول فأمر بدخولى وأخذت طريقى الى الفندق الكبير . أثناء اقامتى بالفندق استغرب الناس من هذا الامريكى الغريب الذى يتكلم عربى مكسر وكنت أصرف ببذخ شديد والاطف الجميع . واتصلت بالسيد الصديق المهدى وطلب منى أن أنزل عندهم وألح على وجاء شخصيا وأخذنى الى الدائرة . وفى اليوم الثانى وصل أهلى من مدنى وجاءوا الى الفندق وعندما لم يجدونى جاءوا الى فى الدائرة ونزلوا معى وأقاموا مدة طويلة وكان السيد الصديق يقيم لهم الولائم ويكرمهم كعادته دائما. وذهبنا الى مدنى وأقمت مع أهلى وكانت العادات والتقاليد السودانية جديدة على ولم أستطع التعود عليها الا بعد حين ورجعت الى الخرطوم وأنا سعيد برؤية بلدى

تلاميذ مدرسة واد مدنى فى سنة ١٩٤٩

ثم أشار على أهلى بزيارة محام شهير فزرته وقابلنى بابتهاج وسرور وأهدانى كتابا ألفه اسمه « كفاح جيل » وقد أشار فيه بأنى ذهبت الى البرازيل • ذلك هو السيد أحمد خير وزير الخارجية اليوم •

وأهلى ولكن كان على أن أعود الى امريكا لأتم بقية أعمالى • ولكن واجهتنى مشكلة وهى اننى صرفت كل ما كان فى يدى ولم يكن معى حتى أجرة الطائرة فلجأت الى أصدقائى وأقترضت منهم مبلغا يكفى أجرة السفر الى السودان الفرنسى حيث يمكننى من هنالك أن أطلب تحويل مبلغ من حسابى فى باريس •

يدهشنى أن الكثيرين من مواطنى يقولون اليوم «مطر دائما يذهب الى الفندق الكبير » ولكن القارىء قد يعذرنى اذا علم انى دخلت هذا الفندق وكنت أدخله قبل أن يبناه أى سودانى فلا عجب اذا داومت حتى اليوم على ارتياده •••

قوم سلم

فى المرة الأولى كان الناس يؤمون بيتنا زرافات زرافات وكان الحاج يوسف عثمان نقد نسيبى يقول « قوم سلم » ولما رأيت المسألة طالت ولم أجد وقتا للراحة سألته : الحكاية ايه فقالت النساء : «اجى ماجو يباركو ليك العودة بالسلامة» وطبعا لم يكن لى عهد بمثل هذه المجاملات فكنت أتعب ثم أدخل لكى استريح وكانوا يقولون للمباركين انه نايم الى أن هربت من واد مدنى من كثرة الزوار وعدت للخرطوم .

لم أكد أعود للخرطوم حتى شرعت فى مواصلة رحلاتى من جديد .وكما يلاحظ القارىء من قائمة سفرياتى فقد دخلت السودان لأول مرة فى الرابع من فبراير عام ١٩٤٩ وغادرته فى ٢٥ فبراير ميمما صوب جنوب افريقيا

ثم قمت برحلة طفت خلالها البلاد العربية كمراسل لصحف البرازيل فى الفترة الواقعة بين ١١ مارس ١٩٤٩ و ١٨ ابريل . ثم زرت غرب افريقيا للمرة الثانية فى حوالى ٣٠ ابريل ١٩٤٩ ثم الى باريس ولندن ونيويورك التى وصلتها فى ١٦ اكتوبر عام ١٩٤٩

وهناك أكملت طبع كتابى دليل العرب فى غرب افريقيا وقفلت راجعا الى باريس بعد أن فرغت من حضور جلسات هيئة الأمم المتحدة .

وعظت الدين باللغة الانجليزية

ثم سافرت لغرب افريقيا لكى أتفرغ لتوزيع كتابى . ومن طريف ما أذكره فى هذه الحقبة ان لفيفا من علماء الدين فى لاغوس طلبوا منى أن أحاضرهم عن ظهور هلال رمضان المبارك فلم أجد بدا من أن أقف خطيبا بينهم أتحدث عن ظهور الهلال وفضائل الصوم وأركانه باللغة الانجليزية .

وقد لاقت محاضرتى نجاحا وترحيبا بالغا فأقبلوا نحوى شاكرين مقدرين والح بعضهم على تقبيل يدى ودعانى الحاكم العام لتناول الشاى على مائدته وشكرنى لأنى — حسبما قال — قد أنقذتهم من مشكلة تعسر عليهم حلها . وقد أخذنا صورة

تذكارية مع كبار علماء الدين نشرتها فى كتابى ولكن مع الأسف ليس عندى من نسخه لأنشرها انما قد رآها الكثيرون فى الخرطوم .

أساطير ... !!

وبدأت أنعم بالاستقرار فى السودان حتى كثر معارفى وأخذ المارة يحيونى فى الطرقات وأرد التحية بأحسن منها دون أن أميز شخصياتهم. وكثيرا مايقبل على بعضهم ويقصون على تاريخا يرجع الى ثلاثين عاما مضت بأنهم كانوا زملائى فى البوسطة أو فى شركة خزان مكوار عندما شردت . وكل هؤلاء وأولئك فى مستوى عمرى أى يناهزون الخمسين ..

وهناك جيل أقل منهم سنا يروون لى بأنهم كانوا صغارا ايفاعا فى المدرسة عندما كانوا يسمعون ان مطرا قد سافر الى امريكا ويقرأون أنبائى فى الجرائد فكان كل ذلك يتمثل لهم كأعمال السحر أو الأساطير . وهم فى ذلك محقون لأن السفر فى ذلك الوقت الى أوروبا كان عملا خارقا للعادة ... بله السفر الى امريكا ... والى جنوبها ... لقد كان ذلك يومذاك جنونا ومغامرة كبرى ... واليوم أفخر بأنى أول سائح سودانى بحق وحقيق ، بل ومن أعظم سواح العالم .

أقاربى بشر أشكال وألوان ومن مختلف الاحجام

وبارحت السودان فى يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٥ بعد أن أمضيت احدى عشر يوما متنقلا بين الخرطوم وواد مدنى ولقد وجدت من الأحياء بين أهلى والدتى وشقيقى زين العابدين وبعض أبناء عمى وخالى . اما الباقون فقد وسعتهم رحمة الله

ولغريب انى وجدت أشقاء لى جدد بعضهم متزوج وله أولاد واكتشفت شبكه عائلة تمت لى بأواصر القربى لم أعرف واحدا منهم . فقدمونى اليهم فردا فردا ... واتضح ان هذا أخى وتلك أختى زوجة فلان ... وتعرفت على فلان هذا وفلان ذاك فقدموا لى أنجالهم وهم خليط من الألوان والأعمار . واضطررت أن أحصل بين ذرعى تشكيلة منهم من اللون الأصفر والبرتقالى والشيكولاتى والأزرق الغامق الذى يكاد أن يكون جنوبيا قحا ...

وكل هؤلاء بعد أن اتضح انهم أهلى وأقاربى لهم مطالب لا يمكن أن يحققها سواى .. فمنهم من يريد اكمال دراسته .. ومنهم من ينوى الزواج .. ومنهم من تود أن تقوم بحتان أنجالها .. وهكذا وجدت نفسى فى مشاكل متعددة لا حصر لها .

ثم جربت أن أبحث عن عمل رابح أجنى منه ما يوازى ما كنت أربحه من محاضراتى وكتبى فى امريكا اللاتينية وغيرها أى ما يعادل ٥٠٠ جنيها شهريا ... فقيل لى ... انك مجنون .. فهذا مرتب الحاكم العام !!

ولهذا تركت السودان لأقوم بمشروع محاضرات جديدة وكتاب جديد ووجهتى جنوب افريقيا .

نصف مليون ميل

بلغ عدد الأميال التى قطعتها بعد حساب دقيق ما يزيد على نصف مليون ميل ويعتبر هذا رقم قياسى قطعه شخص ، باستثناء أشهر ملاحى الطائرات .

محطات مرور للراحة من وعثاء السفر

ثم عرجت على ليوبولد فيل مرة ثانية محاولا دخول جنوب افريقيا فموزمبيق وعدت للخرطوم فى ١٨ ابريل ١٩٥٠ وغادرتها الى مصر فباريس ونيويورك وواشنطون وعدت أدراجى الى بروكسل وباريس ووصلت الخرطوم للمرة الثانية فى ٥ يوليو عام ١٩٥٠

والجدير بالذكر ان باريس ولندن وروما لم تكن لى الا محطات مرور أستريح فيها من عناء العمل ووعثاء السفر .

رحلة حول العالم للترفيه عن النفس

ثم زرت اثيوبيا فى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٠ كما يتضح من قائمه الرحلات الذى تظهر فيه جليا أسماء البلدان وتواريخ زياراتى ومن الغريب حقا أن يلاحظ القارىء تعدد عوداتى للخرطوم التى بلغت أكثر من سبع مرات مابين ٤ فبراير ١٩٤٩ و ١٧ ديسمبر عام ١٩٥١

وأذكر انى عدت اليها راسا من بونس أيرس مابين ١٥ مارس ١٩٥١ وأول مارس ١٩٥٤ نحو ست مرات وهى الفترة التى قضيتها موظفا بالسفارة المصرية بالأرجنتين .

وتقف قائمة الرحلات لغاية ١٢ ديسمبر ١٩٥١ اذ لم أعد أهتم بتسجيل رحلاتى بعد ذلك التاريخ ولو عنيت حقا برصدها لبلغت مايزيد عن المائة رحلة • وعلى رغم كثرة الرحلات يؤسفنى أن كتب أحدهم للجمارك من جدة يقول « كثرت رحلات مطر وانى أشتبه انه يهرب أموالا بفضل حصانته الدبلوماسية » فاهمس فى أذن هـــذا قائلا « انى أسافر قبل أن تولد » وليس لدى حصانة دبلوماسية كسودانى فى بلدى.

اما رحلتى حول العالم فقد كانت للترفيه •

السودانيون فى الخارج

ولما مررت بلندن لأول مرة سررت جدا عندما التقيت فيها بعدد كبـــير من

السيد أحمد الطيب عبدون وصديق وصديقة فى باريس

السودانيين وكنت أحس بالزهو وتنتابنى العزة القومية كلما وجدت نفسى بينهم •

وكان يسعدنى أن أدفع عنهم مصاريفهم اذا تواجدنا فى أى مـــكان عام وأذكر ذات مرة ان دخلت مطعما وجدت فيه واحدا وعشرين سودانيا فسارعت بدفع حسابهم كلهم وخرجت راضى النفس قرير العين

كما كنت أحرص على اسداء النصح والارشاد للكثيرين منهم وتوطدت عرى الصداقة بينى وبين عدد غير قليل ممن التقيت بهم فى الخارج • ومن بينهم الصديق

الممثل الامريكى المعروف مكى رونى يحمل نجل عبد الله عباس
ووقف والده يبتسم

مأمون بحيرى الذى كان قد استشارنى فى أمر ما وكنا سويا فى السـودان فعمل بنصيحتى ونجح مسعاه نجاحا باهرا وهو لا زال يذكرنى بهذه النصيحـة وينادينى بيا « عم مطر » شكرا على نصيحتك مما يسعدنى ويدعونى للفخر بالصديق مأمون وبأمثاله من الشباب الناهض المثابر الذى حقق آماله .

محاضرتى التى أصبحت مثلا

وكان المشرف على البعثات الأستاذ نصر الحاج قد كلفنى ذات يوم أن أخصص جانبا من وقتى لأحاضر الطلبة عن طرف من رحلاتى ومشـاهداتى ولم يدر بخلدى أنهم كانوا يريدون أن يسمعوا شيئا عن الطب والفلك والفقه . فقصصت عليهم بعض فكاهاتى فاندهشوا وأخذ الطلبة ينظرون لى بعيون واسعة مليئة بالحيرة . اما نصر فقد لاحظت ان لونه قد تغير كأنما الدم قد هرب من وجهه وبانت عليه علامات الذهول كأن لسان حاله يقول لى : لا ياشيخ !!

فتوقفت عن الحديث والتفت اليه قائلا Allright وغيرت مجـرى حديثى .

ولكن هذه الواقعة لم تنته عند هذا الحد . فقد تناقلتهـا الألسنة وشوهتها وسموا الحديث محاضرة وأخذوا يضربون الأمثال بمحاضرة مطر الامريكانى .

عمر الخيام فى هوليوود

والتقيت فى لوس انجلوس بالشاب عبد الله عباس الذى فقد والده فى احدى اصطدامات العراق القبلية بعد الحرب العالمية الأولى . وكان قد تبناه امريكانى وهو يعمل اليوم مدلكا لأشهر الممثلين والممثلات فى هوليوود ويتخصص فى التدليك بشركة ريبيلك بيكتشرز السينمائية وله قصر فخم فى مصانع السينما أطلق عليه «عمر الخيام»

المدلك عبد الله عباس يدلك جسم ستوارت

٢١٦٠٠٠ دولار عشت بها فى خلال ثلاثين عاما

اما مصاريف الاقامة وما يتبع ذلك من مأكل ومشرب وملابس فان متوسطها يمكن تقديره بعشرين دولار فى اليوم على الأقل فى زمن الرخاء الى زمننا هذا وهو زمن الغلاء الفاحش أى ٦٠٠ دولارا فى الشهر أى ٧٢٠٠ دولارا فى السنة أى ٢١٦٠٠٠ دولارا فى ثلاثين عاما تمرت فيها عن بلادى .

كاى وند من احمل ممثلات هوليود وقفت بين المغنى الشهير بوب كروسبى والدكتور نقولا بيطار فى منزل عبد الله عباس

٤٥ر٦٠٠ دولار صرفتها على هواية السياحة

بلغت تكاليف سفرى منذ تركت السودان ٤٥ر٦٠٠ دولارا وذلك على حساب متوسط قيمة خمسة رحلات . فاذا قدرنا ان الرحلة تكلف ٢٠٠ دولار والثانية ١٠٠ والثالثة ٥٠ والرابعة ٢٠ والخامسة ١٠ فان مجموع قيمة الرحلات الخمس يصبح ٣٨٠ دولار أى ان متوسط قيمة الرحلة الواحدة ٧٦ دولارا

فاذا ضربت هذا الرقم فى ٦٠٠ رحلة لبلغت جملة الرحلات ٤٥ر٦٠٠ دولارا مع العلم ان عدد الرحلات الغير مسجلة جاوز المائة ولم تحسب

جنوب افريقيا

فى عام ١٩٤٩ غادرت السودان فى رحلة الى جنوب افريقيا وفى مطار نيروبى بكينيا حاولت دخول البلد حتى يحين موعد الطائرة ، ولكن ضابط التأشيرة عاد بعد دقائق وأخبرنى ان اسمى فى « القائمة السوداء » ولذلك فأنا ممنوع من دخول كينيا

وجلست فى المطار حتى قيام الطائرة التى أخذتنا الى جنوب افريقيا مقصدى . ولكن هناك منعت أيضا من دخول البلد مع أنى أحمل تأشيرة ، واضطررت للرجوع الى السودان فى نفس الطائرة ، ولما طالبونى بقيمة تذكرة الرجوع رفضت الدفع لأنى غير مسئول عن رجوعى الاضطرارى ، فاضطروا لدفع التذكرة .

وفى عام ١٩٥٠ تمكنت من دخول «جوهانسبرج» ولكن « اللوكاندة » التى قصدتها امتنعت اداراتها عن قبولى نزيلا بها لأننى « ملون » ... وتذكرت أننى أحمل بطاقتين لشخصين من أعضاء وفد افريقيا فى هيئة الأمم المتحدة ، فاتصلت بهم تلفونيا ، فأخبرونى أنهم على بعد ٤٥ دقيقة بالسيارة من المكان الذى اتصلت فيه بهم

وجاءوا بعد مدة وقابلانى بالترحاب ، وكان مدير اللوكاندة ، يرقب هذه الحفاوة البالغة وعلى وجهه سيماء الدهشة والاستغراب ... وخطا الرجلان الى المدير ثم أخذه جانبا وتحدثا معه ، فخصص لى الرجل حجرة محترمة فى فندقه « فايقون »

وفى ظهيرة اليوم التالى سمعت طرقات متوالية على باب حجرتى دخل بعدها ضابط الهجرة الذى طردنى فى المرة السابقة .. فسألته :

ما الخبر ... ؟

فقال : تعال معى الى مكتب الهجرة .. وهناك قابلت الرئيس الذى أعطانى « الفورم » الذى ملأته بالأمس وأنا أدخل المدينـــة ، وقال لى انك لم تجاوب على سؤال واحد هنا أرجو أن تجيب عليه الآن .

وكان السؤال : هل طردت أو نفيت أو رفض قبولك فى جنوب افريقيا ؟

وأجبت على السؤال المكتوب :

نعم رفض قبولى فى جنوب افريقيا لخطأ من ضابط الهجرة .

فضحك الرجل وهو يقرأ الاجابة وقال «يمكنك أن تبقى ماشئت» ... وبقيت

الســـــودان القـــديم

أن السودان كقطر زراعى يعتمد سكانه فى غذائهم الأســاسى على الذرة التى بدورها يتوقف انتاجها على الأمطار . وعلى نسبة هطول هذه الأمطــار من الكثرة والقلة فى المناطق المختلفة يتوقف رخاء أو جدب المعيشة وقد لا تكون قلة الأمطــار حدثا بل مجاعة يشترك فيها الانسان والحيوان . أذكر قبل رحيلى الى الخارج اكتوبر بشرور هذه المجاعات كالتى حدثت فى عام ١٩١٤ أى بعد اندلاع الحــرب الكبرى الأولى فقد حدث أن شحت السماء فمات الزرع ويبس الضرع فعملت الحكومة على استجلاب الذرة من الهند لانقاذ البلاد ورغم اننا كنا صغارا ولكننا كنا نرى أفواجا من الأهالى القادمين من نواحى ود مدنى تكاد لا تحملهم أرجلهم من الجوع يجوسون خلال السوق على غير وعى وكأنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن خلو البطون التى تحمل الأرجل هى المسئولة وقد فتكت هذه المجاعة بالكثيرين من السكان الذين لم يجدوا طريقهم الى المدن وقد شاهدنا أناسا كثيرين فى السوق من هؤلاء النازحين من الخارج يقتاتون بلكــب المستخرج من معاصر الزيت وهو كالحجارة أو أشد قسوة

وهو مالا تحتمله معدة بشر وكثيرا ما كان سببا أفضى الى الموت فى بعض الحالات ـ كما تحصرنى مجاعة أخرى عقب انتهاء الحرب وفى عام ١٩١٩ بالذات وكنا فى الخرسوم وكانت الحكومة قد استجلبت أيضا كميات كبيرة من الذرة تبيعها للاهالى فى أماكن متفرقة فى المدينة كانت تجمع حولها السوة والصبيان والرجال كأنهم فى يوم الحشر للحصول على ما يقيم أودهم ويحتملون فى سبيل ذلك ضرب سياط البوليس المكلف بحفظ النظام أثناء صرف الذرة فكانت مناظر تتفتت لها القلوب وتتفطر لها الأفئدة .

اما عدا هذين السنتين كان الرخاء عاما وتكاليف المعيشة منخفضة بدرجة لا تقدر فيكفى للرجل أن تشترى جلبابا من الدمورية لا تكلفه سبعة قروش ومن الدبلان ليس أكثر من خمسة عشر قرشا ومن أجود أنواع الدبلان أو التيل أو أن يتمتل بخمسة قروش ـ اما كماليات السكر والشاى فقد كان رأس السكر ويزن ٣ ١/٢ ـ ٣ ٣/٤ رطل يباع بثلاث قروش اما المواد المذائية فيكفى العائلة المتوسطة لطبختها اليومية من الخضار ما بين ٢ ـ ٥ مليمات ربما دخلتها اسلطة . وأقة لحم الضانى ٢٥ مليما والبقرى ١٥ مليما ـ والدجاجة بقرش وجوز الحمام بقرش ورطل المسلى بخمسة عشر مليما وهكذا . وعلى ذلك اترك تقدير الفارق بين تلك الايام فى سوداننا القديم وبين ماهى عليه الحالة الآن وأترك القارىء المحترم ليقارن ويوازن أى نعيم كنا نحن فيه اما الآن فقد وجدت بالسودان رغم اعتماده على الذرة التى تنتجها الأمطار الكثيرة من الوسائل الأخرى ما يكفل زراعة الذرة لاستهلاك على الأقل بعض السكان دون وسيلة الأمطار ـ كما ان سكان المدن قد أخذوا بأساليب الحياة المتحضرة فصاروا يستبدلون القمح بالذرة أو الدقيق المستورد كعوض عن الذرة وبذلك تتوفر الذرة لمن لا يزالون يعتمدون عليها ـ كما ان الماشية وهى جزء من ثروة البلاد أمنت الاقراض عن طريق الجدب وقلة المرعى بوجود مساحات كثيرة فى المشاريع الزراعية تزرع ذرة وأنواع من الحبوب كالفاصوليا والفول وغيرها ويمكن الاعتماد عليها فى ايجاد العلف للحيوان فى مناطق المرعى .

اما عن المسوجات والملبوسات فرغم ارتفاع مستوى أسعارها بنسبة كبيرة جدا عن دى قبل فيمكن الاستعاضة عن استيرادها باقامة مصانع للغزل و لنسيج هنا لمنتج

على لأقل حاصه الأمشة الشعبية لتصبح فى ميسور سواد المسكان ليختفى تماما « الثوب الذى يلبسه الرجل ويعطل من حركته لعدم ملاءمته للعمل » .

اما الملبوسات التقليدية التى كانت سائدة فى سوداننا القديم كاستعمال «الرهط» للفتيات فقد اختفى تماما وقد كانت الفتاة لا تفارقه الا عندما تتزوج وحتى ذلك الوقت لا بد له من ملازمتها حتى بعد انقضاء أيام الزواج الأولى حتى تستعيض عنه « بالقرقاب » الذى يرمز الى انها أصبحت امرأة وهو عبارة عن قطعة من القماش لا تقل عن ٣ ـ ٤ أمتار تلفها المرأة حول وسطها الى قدميها كلف المومياء ويشل من حركتها فى مشيها أو مما كانوا يسمونها « التنورية » وهى تشابه « القرقاب » ولكنها محاطة حول الخصر تلبس دائما كالسراويل بدلا من « القرقاب » الذى يلف دائما ومن وقت لآخر وكانت الفتيات فى زمننا يلبسن الرهط فقط ولا شىء «فوقه أو تحته» الى أن تبلغ الرابعة عشر فتحصل على ستر نصفها الأعلى وبلفة أخرى لم تبلغ درجة « الثوب » كما ان الحفاء كان متفشيا فى الصغار أولادا وبناتا . والبنت الى أن تبلغ مرحلة الزواج لا تفكر فى أن « تنتعل » ـ اما الصبية ـ غير المتزوجين بزى خاص كتلامذة المدارس يبقون كذلك الى ماشاء الله ـ اما عن لبس الشبان فلا يفكر فيه الى بعد السن السابعة على الأقل وبعدها يلبس « الثوب » وخصوصا فى الأرياف اما فى المدن فيلبس « جلبابا » اذا كان من بين متوسطى الحال عائلنا والا فعريانا تماما وقد تغير الحال الآن وأصبحنا لا نرى هذه المناظر الا لماما فى بعض المناطق المتخلفة ـ اما العادات القديمة التى كانت تلازم الأفراح فقد تغيرت أيضا فى بعض الأماكن وخصوصا المدن وقد اختفت عادة الضرب «بالسبوط» فى الأعراس أثناء « السيرة » وتجريح الأيدى بالسكين ليقطر منها الدم فوق الدلوكة « وصاحبة الدلوكة » و ن يجعل لبنات من العريس « مسخة » لدعابتهن طيلة الأسبوع الأول وان يلبسوه الخرز فى عنقه ويعصبون رأسه بمنديل بعد أن يثقلن « رأسه » « بالضريرة » ويربطن على يديه حزمة من خيوط الحرير الأحمر ويلبسونه سوار امرأة تتكحل عينيه صباحا ومساء اينما سار ولا يسمح له أن ينقص هذا « الطاقم » الذى يلبسه ويحمله الا بعد الأسبوع الأول كما يدهن جسمه فى الصباح والمساء أيضا فما ان ينقضى الأسبوع

الا وتراه قد أصبح كتلة من الأوساخ المتراكمه فى جسمه وثوبه •

وقد كانت الأغانى فى عهدنا وفى الأفراح بالذات تختلف كل الاختلاف عن ماهى عليه الآن ــ فأغانى « الدلوكة » التى تمتاز بأغانى البطولة والحمـــاس والفروسية تثير المستمع العادى فيفقد أعصابه ويتعرض للضرب بالسوط وتجريح ســاعد اليد اليسرى بالسكين فى خطوط عميقة الى أن ينزف منها الدم وكثيرا ما شهدنا صبياننا يفعلون كل ذلك وهم فى حالة غيبوبة تامة بكاد الفرد لا يتمالك أن يقف على قدميه وهو فى هذه النشوة التى أسبغتها عليه أغانى غانية « الدلوكة » فيحتمل عشرات من ضربات السوط على ظهره الى أن تسيل الدماء الى قدميه وهــو لا يحرك ساكنا ولا تطرف له عين وقد أصبحت لكثيرين منهم عادة التعرض لهذا الضرب فى كل الأفراح حتى أن ظهورهم تصبح ولا موضع فيها يخلو من جرح ــ اما أغانى الرقص الذى تقوم به البنات فيحترفها مغنون من الصبيان ويتألف الطقم من ممن ومساعدة وثلاثة من «الطبارة» على الأقل وجميعهم يقفون عندما تبدأ البنت فى الرقص « والطبارة » هؤلاء يخرجون أصواتا من حناجرهم تتمشى مع الراقصة لضبط النغم ويصفقــون بأكفهم تصفيقا موزونا مع الأغنيه ويختلف مابين « ثقيل » « وخفيف » كبحور الشعر وهكذا ترقص البنت وتقدم أول «شبال» للعريس وهذا معناه أن يطأطأ العريس رأسه أمام الراقصة فى مستوى رأسها لتصب شعر رأسها على رأسه وهو نوع من الاعتراف له بمكانته كعريس يدخل الحياة الزوجيه لأول مرة وان طاعة المرأة له واجب مقدس ــ وهكذا يستمر الفرح سبعة أيام نهارا وليلا وتقام هذه المراقص فى كل وقت ولباقى الزوار الحق فى أخذ « الشبال » من الراقصات الاخر •

الســودان فى ربع قرن

تركت السودان عام ١٩٢٣ وعدت اليــــه عام ١٩٤٩ أى ربع قرن من الزمان فوجدت تغييرا محسوسا فى شتى مرافق الحياة فقد أخذت البلاد تسير قدما فى طريق المدنية وتأخذ بأساليبها ــ لقد عم الوعى القومى البلاد فانتظمها من شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ــ تقدمت الزراعة فى هذه الفترة بتكملة خزان ســنار الذى تركته فى طور البناء وذلك بزراعة أراضى الجزيرة الشاسعة قطنا ومحصولات غذائية كما أقيم خزان جبل لأولياء كما قامت مئات المشاريع الزراعية منها المشاريع الكبرى كمشاريع

الجزيرة أبا ومشروع البساطة وجميعها تنتج قطنا مما زاد فى ثروة البلاد كما امتد الخط الحديدى من سنار المدينة عبر الخزان الى سهول القضارف الغنية بتربتها وامتد الى كسلا ومنها الى محطة هيا عند تقاطع خط الخرطوم ـ بور سودان .

وقد ساعد التوسع فى النقل الميكانيكى على ربط مديرية دارفور فى غرب السودان بباقى أجزاء السودان عن طريق الأبيض حيث ينتهى الخط الحديدى من الخرطوم وربط أنحاء مديرية كردفان بعضها البعض وخصوصا جبال النوبة القديمة حيث نجحت أيضا زراعة القطن فى موسم الأمطار فى مناطق الدلنج وكادوجلى وتلودى كما انتشرت السيارات أيضا مديرية أعالى النيل عن طريق جبال النوبة ومديرية بحر الغزال عن طريق جنوب كردفان وجنوب دارفور وقد كانت وسائل النقل القديمة فى جميع هذه المناطق هى الجمال والبغال هذا عدا استعمال النقل الميكانيكى فى المديريات الجنوبية بين البلاد بعضها البعض مما ساعد على انتعاش الحركة التجارية

وقد زاد عدد المدارس الأولية والوسطى والثانوية زيادة محسوسة كما أصبحت هناك جامعة سودانية على غرار جامعات العالم وزاد عدد المستشفيات والشفخانات و ردادت الاقبال عليها بعد أن كان الأهلون يحجمون عن طلب العلاج فيها . وقد أفادت بعض المدن من الانارة بالكهرباء وتنقية مياه الشرب كود مدنى والأبيض وكوستى وعطبرة وبورتسودان وغيرها وقد كانت قاصرة على المدن الثلاثة فى ذلك الوقت

كما أصبح للسودان قوة عسكرية قائمة بذاتها وهى فى طور النمو والزيادة كما ارتفعت الصناعة وصار فى السودان الجنوبى مصانع للغزل واستخراج السكر بالطرق الحديثة ومعاصر للزيوت بدلا عن الطرق البدائية التى كانت تستعمل قديما ومصانع للصابون والمدابغ للجلود ومصانع اللحوم المعلبة فى كوستى .

هذا قيل من كثير مما وصلت اليه البلاد من تقدم هذا بخلاف العمران وتحسين المساكن وارتفاع مستوى المعيشة بين الأهالى واخذ سكان المدن بما تقدمه المدنية من وسائل المتعة كالسينمات وغيرها كما أقبل شباب البلد على الرياضة البدنية وأقيمت الأندية الرياضية فى جميع مدن السودان تقريبا مما يساعد على خلق جيل جديد

صحيح لجسم سليم الخلق لبناء سودان المستقبل وتركت مدينه الخرطوم وليست بها سيارة واحدة وكانت وسائل التنقل الوحيدة داخل المدينة هى مركبات الخيل وكانت تعد على الأصابع والحمير — كما كان الترام البخارى هو وسيلة الاتصال بين مدينتى الخرطوم البحرية وأم درمان الأخيرة قبل قيام كبرى أم درمان كان اتصالها عن طريق المعدية النهرية التى تمخر بين المدينتين عند المقرن الى الموردة فى أم درمان حيث يأخذ الراكب الترام البخارى من شاطىء الموردة الى داخل مدينة أم درمان عن نفس الطريق الحالى الى أبى روف وقد حل الترام الكهربائى الآن محل الترام القديم وأصبحت المدن الثلاثة مرتبطة تمام الارتباط هذا زيادة على الاوتوبيسات وسيارات الأجرة التى لا حصر لها •

واتسعت مدينة الخرطوم ذاتها فى رقعتها بعد ان كانت تنحصر من خط السكة الحديد جنوبى المدينة والنهر وقامت المبانى الجميلة والمتاجر الواسعة وخططت الميادين العامة الخضراء وترامت أطرافها خارج محيطها القديم جنوبا الى قرب شجرة غردون حيث أقيمت المصانع ومناطق أخرى للسكن امتدت شرقا على طول المدينة القديمة وبها الدور الأنيقة والميادين الجميلة حتى أصبحت العاصمة تضارع بعض العواصم فى افريقيا •

اما واد مدنى المدينة الثانية التى رأيتها بعد عودتى فقد كان نصيبها من المدنية وأساليبها الحديثة وافر أيضا اذ أصبحت تنار المدينة بالكهرباء وبها الماء النقى للشرب وقامت فيها المبانى الفخمة والأندية والميادين والمتنزهات الجميلة وهى عاصمة الجزيرة التى تنتج القطن فى المشروع الزراعى الكبير الذى يستمد ريه من ترعة خزان سنار وبذلك انتعشت تلك الرقعة من البلاد وقد كانت حمراء بلقعا فى عام ١٩٢٣ الا فى أيام الخريف حيث كانت تزرع بالذرة للاستهلاك الاقليمى — اما اليوم فهى غيرها بالأمس وقد ارتفع مستوى المعيشة بين السكان وأخذ البعض منهم بأساليب الحياة الحديثة وأقاموا المساكن الجميلة بدلا من المبانى الطينية العتيقة والأكواخ التى كانوا يعيشون فيها وزودها بوسائل المتعة كما أقيمت فى بعض القرى مرشحات للماء النقى وأنشئت

المدارس والشفخانات ومراكز تعليم الكبار ومحو الأمية وهكذا تسير عاصمة الجزيرة ونواحيها نحو مستقبل باسم مشرق وخصوصا بعد أن آل أمر البلاد فى حكمها الى بنيها فنأمل أن يتم على أيديهم الكثير مما تحتاج اليه بعض المدن فى السودان من تقدم وخصوصا تلك المناطق المتخلفة فى دارفور وجبال النوبة ومديريات الجنوب التى كان حظها ضئيلا بالنسبة الى بقية البلاد والعمل على ربطها بالشمال بخطوط حديدية حتى يتم تعاشها اقتصاديا واجتماعيا لتسير فى ركب بقية أجزاء البلد الأخرى وتنمية مواردها بالوسائل الحديثة بعد أن بقيت تلك الحقبة الكبيرة وهى فى شبه معزل عن بقية أجزاء القطر الأخرى .

مغامرات قلبى

أننى قد لا أكون مغاليا اذ قلت ان قلبى لم يعرف للحب سبيلا ـ باستثناء حبى الأول فى السودان لهيلين اليونانية ـ وأعنى ذلك الحب العذرى الذى كتب عنه الكتاب وما زالوا يكتبون ـ ولو فى أبسط درجاته ، اما حبى الأول ، ان صح أن يسمى حبا ـ وأنا أسميه نزوة صبيانية ، غمرتنى فى مطلع صباى وكانت خليقة بأن تتطور فتصبح حبا جارفا لو لم يعمل والدها على ابعادها عن محيطى بعد أن انكشف أمرنا ـ لقد بدأت فعلا تظهر على كل الأعراض التى تنتاب المحب المدله ـ وكنت قد عرفتها وهى طالبة صغيرة لم تبلغ الرابعة عشر من عمرها وكنت موظفا صغيرا فى مصلحة البريد أكبرها بخمس سنوات وكنت قصيرا ممعنا فى القصر لا أكاد أبين أكثر من طالب مازال فى سنها ـ ممتلىء الجسم وكانت هى كذلك وكنت جريئ مقداما ما عنت لى فكرة الا أسرعت فى تنفيذها ولكنى كنت أرعى تقاليد بلادنا فاخترت ان أسير بحذر ـ رأيتها ذات يوم فوقعت من قلبى موقعا لم أدر كنهه ـ وكان لها أخوان يصغرانها بقليل يذهبان معها للمدرسة اليونانية فصرت أخرج من منزلنا مبكرا لأراها قبل أن تركب هى وأخواها العربة (الكارته) الى المدرسة وكان منزلهم فى طريق منزلنا لناحية السوق فما أن أتملى بالنظر اليها حتى آخذ طريقى الى مكتب البريد حيث أعمل وبعد الظهر عقب خروجى من المكتب أمر على منزلهم محاولا عقد صداقة مع

المؤلف فى المكسيك

أخويها مستعينا بدراجة فى بعض الأوقات (بالأجرة) ليركباها بالتناوب أمام المنزل بعد أن علمتهما وأخيرا جاء دورها لتتعلم ركوب الدراجة وهكذا قام بيننا حب كانت نتيجته أن رفت من الخدمة وهاجرت من بلادى ولولاها لبقيت موظفا الى يومنا هذا وعلى أبواب الاحالة على المعاش .

اما بعد أن هاجرت الى أوروبا وامريكا فان كثرة تجاربى فى المحيطين السياسى والاجتماعى لم أجد فيها متسعا من الوقت لأحب حبا صحيحا لأتزوج وفى بدء حياتى السياسيه كنت أرفض الزواج حتى من اللائى طلبن يدى من ربات المال والجمال أولا لأننى كنت أعشق السياسة ووهبتها حياتى وان الزواج يتعارض وهذه الرغبة وثانيا كنت أرى أنه من العار قبول طلب امرأة تريد الزواج أو أن أعيش عالة على امرأة وهكذا ضاعت منى الكثير من الفرص .

فكم من مرة حدث بعد أن انتهى من القاء محاضرة أن يقبل على عدد من المهنئات ويتبارين فى دعوتى الى منازلهن فسرعان ما تنبرى احداهن وتحدثنى عن مالها من أموال وأملاك وما ذاك الا لأتقدم ولكن لا ألبث أن أبقى يوما أو يومين فى تلك المدينة حتى أبرحها لبلد آخر لأقوم بالدعاية كما قدمنا ــ ولكنى لا أنكر اننى أحببت نساء

عائلة صديقة من السورينام التقى بها المؤلف فى نيويورك

حب خطف اذكر منهن خوليا وانطونيا البرازيليتين فى عام ١٩٣٣ وايف من هاملتن عاصمة برمودا لم أمكث فى مدينتها سوى ٤٨ ساعة وكلاريس وهى ابنة مليونير عرفتها فى الطائرة وكانت تجلس بجانبى من سان فرنسيسكو الى لوس انجلوس عام ١٩٤٧ وتبادلنا نوعا من الغرام ثم افترقنا وكأن العناية الالهية قضت أن تتم حديثنا اذ قابلتها بعد ساعتين فقط فى ردهة بفولى هلز أو تيل وهو أهم فندق فى مدينة السينما يغشاه أرباب الملايين وكبار الممثلات والممثلين وجلسنا وقصت على قصتها وتتلخص فى أنها تعشق ان تصبح ممثلة فاستأذنت من والديها فى بضعة شهر من الاجازة المدرسية تجرب فيه حظها على انفراد وكنت قد دعوت روبرت ويزمولر (طرزان) لعشاء وكانت هى معنا وسافرت صباح اليوم التالى ولعلها أجمل مخلوقة رأيتها فى حياتى .

وفى عام ١٩٥٠ تعرفت على انيا المكسيكانية ولها من العمر ٢٢ عاما وبعد ليلة من لقائنا عرضت بل وألحت على أن تتزوجنى ولكنى كنت مسافرا الى غواتيمالا والأخيرة انجليزية عرفتها عام ١٩٤٩ وكان عمرها اثنى عشر عاما وكنت كلما

ورت لندن أراها تكبر وتترعرع وقدقابلتها فى عام ١٩٥٤ فاذا بها شابة بلغت السابعة عشر ودعتنى الى حفل شاى فى منزلها وأجلستنى الى جانبها وابتدأت تذكرنى بالماضى وتقول أتذكر يا مصر كيف كنت أعاكسك وأجرى وراءك وكان يوم وصولك عيدى

مصر مورز وحفيدتها وقد دعا هما المؤلف من لندن الى باريس لما قاما به نحوه من اكرام

أيام الشباب فى البرازيل سنة ١٩٢٥

يوم عيد — ولكنى ودعتها لأنى كنت مسافرا انى جنيف وهكذا اتسع قلبى لكل هؤلاء ولم تتلح مهن واحدة فى صيدى والحمد لله .

مـــن انا

خرجت الى هذه الحياة كما يخرج عادة أبناء عامة الشعب من طبقة الصناع ــ لم تتميز نشأتي بمال وفير أو جاه عريض ولا حبتني الطبيعة بذكاء خارق ولا ذهن متوقد ــ فقد كنت ــ كما قيل عني ــ دون الوسط في الذكاء في أيام دراستي وقد ذقت فيها مرارة الفشل والاخفاق لرسوبي في امتحان احدى السنين حتى أقدمت على محاولة الانتحار غرقا في النيل لضياع جهود سنة دراسية بحالها وقد كتب علي أن أمضي سنة أخرى في نفس الفرقة وأن أستقبل القادمين الجـــدد الناجحين من الفرقة التي دون فرقتي وأن أزاملهم كما زاملت قبلهم من خلفوني وراءهم وانتقلوا الى فرقة أعلى ــ أكملت التعليم الأوسط ولما كنت لم أستشعر رغبة في مواصلة تعليمي العالي فقـــد فضلت الاستخدام في الحكومة كما حاولت أن أجد طريقي الى المدرسة الحربية بعد أن أمضيت فترة قصيرة في الخدمة ولكن حال قصر قامتي دون طلبي وهكذا قبعت في العمل الحكومي الى أن اختتم بتلك المأساة التي سبق ذكرها .

فكأن الأيام والأحداث تعاونتا على أن أسلك طريقا غير الذي سلكه غيري من أبناء السودان وكأنها تعدني لما خبىء لي في عالم الغيب من سفر ومغامرات ومخاطرات مما لم يكن في الحسبان لولا ذلك لكنت قضيت العمر في الخدمة ولكنت الآن على أبواب الاحالة على المعاش .

وهكذا قدر لي أن أخرج الى هذا العالم وأن أذرعه شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ــ طفت القارات الخمس ، أوروبا بأسرها ــ بما في ذلك امريكا الشمالية والجنوبية من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي ــ افريقيا بأسرها ــ شبه الجزيرة العربية ــ آسيا ــ الهند ــ ايران ــ ومكثت في أفغانستان لصعوبة مواصلاتها الجوية التي لا تصلها الا كل أسبوع مرة ولرداءة طقسها وجزء من الصـــين ــ اســتراليا ــ نيوزيلاندا واليابان وجزر المحيط الهندي الشرقية والغربية ــ وجزر الاطلانطي . والملايو وفيتنام وهونج كنج وشنغهاي .

تعرفت الى جميع شعوب العالم أشـــكالا وألوانا ، آدابا وأخلاقا بمـ فيهم الاسكيمو فى الاسكا فيما عدا أجناس اللابس والسمويدز ـ استعملت كل وسائل النقل وقطعت مئات الآلاف من الأميال على الطـائرات كلفتنى عشرات الآلاف من الجنيهات ـ تقلبت بى الظروف والأحوال فبعد أن لامست السماء وتوسدت الغبراء نمت فى أعلى قاطحات السحاب ـ كسبت كثيرا وبددت أكثر ، صـادقت الأخيـار والأشرار من الرجال ـ وخالطت العظماء والفقـراء وزاملت ونزلت وانهزمت ـ ذقت حلاوة النجاح أو مرارة الفشل ـ جربت السـجون وحيـــاة التشرد القاسية واشتركت فى انقلابات ومؤامرات عالمية خطيرة كنت أحمل رأسى بين كفى ـ شارفت على الموت فى عدة مناسبات كدت للنـاء وكادت لى النساء ولكنى خرجت من معركهن بدون خواء .

وأتتنى فرص الثراء الضخم أكثر من مرات وفرص الاستقرار مرات أيضا ولكنى ركلتها لأنعم بحريتى وحياتى الطليقة التى لا قيود فيها ولا توجيه . عرفت النفوس البشرية والطبائع البشرية . عرفت من هو مثال الانسان ومن هـو أحط من أنواع الحيوان ـ خرجت الى هذا العالم وأنا غرير ساذج بهرنى سحره على الخرائط وبين كتب التاريخ ودروس الجغرافيا فألقيت بنفسى فيه دون علم أو وعى . طرقت أبواب السياسة عن غير فهم وادراك ـ وأبواب الوطنية دون سابق تجارب وأبواب الديانات والمبادىء الاجتماعية دون معرفة وهكذا كل الأبواب فى هذه الحياة مادخلت بابا الا خرجت منه الى آخر وأخيرا وبعد أن سلخت أكثر من ربع القرن أكسبتنى تجـارب العمر وقهرتنى حوادث الزمن وعواديه فصرت لا أقيم للحياة وزنا وسيان عندى ان أكون ثريا أو معدما ـ شبعا أو مخمصا ـ أسير فيها لا ألوى على شىء قانعا راضيا عما فات وغير مبال بما هو آت ـ هكذا أرادت الأيام أن تسير لى وفق مشيئتها بعد أن سطرت فى كتابها ما قدر لى من نصيب وأن أعود الى مسقط رأسى ومن حيث بدأت فى الوقت الذى أرادت الظروف أن أعود فيه لأنى وقد حاولت كثيرا هذه العودة من قبل كنت دائما نصيبى الفشل بما وضع أمامى من عقبات وموانع ... فهل قدر لى

آن ينتهى بى المطاف وأنعم بالاستقرار كغيرى من آبنـــاء جلدتى أم غير ذلك فمن أكون أنا .

أول سائح سودانى ومن القلائل فى العالم

وأول من أبرق رامزى ماكدونالد سنة ١٩٢٤ رئيس الوزارةالبريطانية فى لندن يطالب باستقلال مصر والسودان ونفيت على اثر ذلك .

أول من أسس جمعية مكافحة الاستعمار .

أول سودانى نظم مسابقة جمال أوروبية امريكية الخ .

قضى احمد حسن مطر شيخوخته فى الخرطوم وتوفى فى أواخر عام ١٩٨٤م عن أثنين وثمانين عاما .

fellow ...
sted on suspicion of ...
neral Sir Lee Stack, the Governor
d the Commander-in-Chief of the Egyptian
neral Stack had been shot and mortally wounded in
... on 19 November 1924. Three days later Viscount

مقدمة

الطبعة الاولى

السيد احمد حسن مطر رجل غنى عن التعريف فهو السودانى العالمى الذى جاب الافاق كلها وطاف العالم من غربه الى شرقه ومن شماله الى جنوبه وتم له ذلك فى وقت مبكر من حياته . تغرب فى العشرينيات وتحمل العيش مبعدا عن وطنه عشرات السنين حتى عاد اليه بعد ان نال استقلاله فاسهم فى بناء تطوره ولا يزال يقدم طاقة جهده فى العمل من اجل رفعة بلاده .

لقد عرفت السيد مطر زميلا منذ الصبا الباكر . واسعدنى ان اراه فى نيويورك عندما ما ذهبت على راس وفدنا الى منظمة الامم المتحدة لشرح قضيتنا الى الراى العام العالمى فكان جم النشاط واسع الاتصالات . كاول صحفى سودانى يكرس جهده للعمل بارونة الامم المتحدة وكان خير معين لنا فى اداء رسالتنا من اجل تحقيق الحرية للوطن .

كان السيد مطر ابان تغربه عن الوطن بعد ان شاءت قوة الاستعمار وقدرت ابعاده . خير سفير لبلاده فى دول امريكا اللاتينية قبل ان تنال بلادنا استقلالها وتعرف طريقها الى التمثيل الدبلوماسى .

اسماعيل الازهرى

...llow ...
...d on suspicion of ...
...al Sir Lee Stack, the Governor
...the Commander-in-Chief of the Egyptian
...eral Stack had been shot and mortally wounded in
...on 19 November 1924. Three days later Viscount

مقدمة

الطبعة الاولى

السيد احمد حسن مطر رجل غنى عن التعريف فهو السوداني العالمي الذي جاب الافاق كلها وطاف العالم من غربه الى شرقه ومن شماله الى جنوبه وتم له ذلك في وقت مبكر من حياته ، تغرب في العشرينيات وتحمل العيش مبعدا عن وطنه عشرات السنين حتى عاد اليه بعد ان نال استقلاله ...اسهم في بناء تطوره ولا يزال يقدم طاقة جهده في العمل من ...حل رفعة بلاده .

لقد عرفت السيد مطر زميلا منذ الصبا الباكر ، ...اسعدني ان اراه في نيويورك عندما ما ذهبت على راس وفدنا ...ى منظمة الامم المتحدة لشرح قضيتنا الى الراي العام العالمي ... فكان جم النشاط واسع الاتصالات ، كاول صحفي سوداني يكرس جهده للعمل بارونة الامم المتحدة وكان خير ...عين لنا في اداء رسالتنا من اجل تحقيق الحرية للوطن .

كان السيد مطر ابان تغربه عن الوطن بعد ان شاءت ...ة الاستعمار وقدرت ابعاده خير سفير لبلاده في دول ...ريكا اللاتينية قبل ان تنال بلادنا استقلالها وتعرف طريقها ... التمثيل الدبلوماسي

اسماعيل الازهري